Staatsbibliothek
zu Berlin
Preußischer Kulturbesitz

W a f a y t al-a½y n wa-anb ¾ abn ¾ az-zar

Vollständiger Titel: W a f a y t al-a½y n wa-anb ¾ abn ¾ az-zam n

PPN: PPN78262023X

PURL: http://resolver.staatsbibliothek-berlin.de/SBB0001578100000000

Signatur: Ms. or. fol. 3045

Kategorie(n): Außereuropäische Handschriften, Islamische Handschriften

Projekt: Orientalische Handschriften digital

Strukturtyp: Handschrift

Seiten (gesamt): 369

Seiten (ausgewählt): 1-369

محمد زكريا الكاندهلوي

W.B.
113

Ms. orient. fol. 3045.

سعد

١٧٧

٤ ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن حبتة الانصاري

١٩ ابو يوسف يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن ابي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي

٤٧ ابو عبد الله يعقوب بن داود بن عثمان بن عمر بن طهمان السلمي بالولاء مولى بني صالح

٤١ ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هرون بن داود بن كلس وزير العزيز

٤٦ ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن ابي السرايا محمد بن علي المفضل بن عبد الكريم

٤٩ ابو بكر يموت بن المزرع بن يموت ابن عيسى بن موسى بن سفيان بن [illegible]

٥٤ ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الامام الشافعي

٥٥ ابو القسم يوسف بن احمد بن يوسف بن كج الكجي الدينوري كان احد الائمة

٥٦ ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي

٥٩ ابو محمد يوسف بن ابي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي

٦٠ ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن خرزاذ النجيرمي

٦١ يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة بن يعقوب الهمداني صاحب المقامات والكرامات

٦٤ ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالاعلم الاسعدي

٦٥ ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب

٧٤ ابو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود الثقفي

٨١ ابو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني امير المسلمين ملك الملثمين

١٠٥ ابو يعقوب يوسف بن ابي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب

٩٧ ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين

١٤٩ ابو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب الموفق صاحب ديوان الانشا

١٥٢ ابو عمر يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرمادي الشاعر المشهور

١٥٤ يوسف بن لؤلؤ [illegible] المعروف بابن الذهبي الموصلي الاصل [illegible]

١٥٤ ابو المحاسن يوسف بن اسمعيل بن علي بن احمد بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالشواء

١٥٨ ابو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي احد فضلاء الاندلس

١٦١ ابو محمد يعقوب بن اسحق بن زيد بن عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي

١٦٢ ابو يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق

١٦٥ ابو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي

١٦٧ ابو عوانة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن يزيد النيسابوري

١٧١ ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي

١٧٢ ابو موسى يونس بن عبد الاعلى بن موسى بن ميسرة

١٥٧ ابو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك

محمد بن زكريا التركي

8

إني بليت بأربع ما سلطوا الا لعظم بليتي وعنائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

الجزو السابع من وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان
مما أثبته النقل أو السمع
أو العيان جمع القاضي الصدر
العلامة شمس الدين أبي العباس
أحمد بن محمد بن ابرهيم بن خلكان
البرمكي رحمه الله تعالى

يقول ...
عبد الله ...
...
...

acc. ms. 1905.71.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمة دينار

وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشي التيمي من موالي آل المنكدر من أهل
المدينة سمع من ابن أبي عمر رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر
وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج روى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن
أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون
يعقوب بن أبي سلمة مولى آل الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه في ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به فلما استخلف عمر رضي الله
عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر إنا تركناك حتى تركنا لبس الخز
فانصرف عنه وذكر محمد بن سعد في كتاب الطبقات وقال يعقوب بن
شيبة قال مصعب وكان الماجشون يعين ربيعة الرأي على أبي الزناد لأن
أبا الزناد كان معاديا لربيعة فكان أبو الزناد يقول مثلي ومثل الماجشون مثل
ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا في طلبه فهرب
منهم فانقطعوا عنه إلا صاحب فخار فإنه ألح في طلبه فوقف له الذئب فقال
أما هؤلاء فأنا أعذرهم فأنت ما لي ولك ما كسرت لك فخارة قط والماجشون
ما كسرت له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشون عرج بروح الماجشون

فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخل غاسل اليوم يغسله
فرأى عرقا يتحرك في اسفل قدمه فاقبل علينا وقال ارى عرقا يتحرك ولا ارى ان
اعجل عليه فاعتللنا على الناس بالامر الذي رايناه وفي الغد جاء الناس وغدا
الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا الى الناس فمكث ثلثا على حاله
ثم انه استوى جالسا فقال ائتوني بسويق فاتي به فشربه فقلنا له خبرنا ما رايت
فقال نعم عرج بروحي حتى اتى بي الملك الى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم
هكذا في السموات حتى انتهى الى السماء السابعة فقيل له من معك فقال الماجشون
فقيل له لم يأذن بعد بقي من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما
وكذا كذا ساعة ثم هبط فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر عن يمينه
وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذي معي
من هذا قال هذا عمر بن عبد قلت انه لقريب المقعد من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انه عمل بالحق في زمن الجور ذكر هذا يعقوب بن شيبة
في ترجمة الماجشون وذكر ابو الحسن محمد بن احمد بن القواس الوراق
ان يعقوب الماجشون مات سنة اربع وستين ومائة رحمه الله تعالى هكذا
كله نقلته من تاريخ الحافظ بن عساكر وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف
في ترجمة محمد بن المنكدر ان الماجشون من مواليه واسمه يعقوب وكان فقيها ثم
قال بعد ذلك وكان للماجشون اخ يقال له عبد الله بن ابي سلمة وابنه عبد العزيز

ابن عبد الله توفي ببغداد وصلى عليه المهدى ودفنه في مقابر قريش
وذلك في سنه اربع وستين ومايه قلت وقد تقدم في هذا الكتاب في
ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله وذكرت ما قاله العلماء في
معنى الماجشون فاغنى عن الاعادة هاهنا والله اعلم قوله ما كسرت له كبرا
ولا بربطا الكبر الموحده وبعدها راء وهو طبل ذو وجه واحد والبربط
بفتح البائين الموحدتين وبينهما راء وفي الاخير طاء مهملة وهو نوع من العود
الذي للغناء واصله بر وهو الصدر بالفارسي وبط الطاير المعروف
فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمي به واسمه بالعربي العود والمزهر
ايضا بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الهاء وبعدها را والعجمي البربط كما ذكرنا

ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم بن حبيب

القاضي يعقوب ابن خنيس

ابن خنيس بن سعد بن حبته الانصاري وسعد بن حبته احد الصحابة
رضى الله عنهم وهو مشهور في الانصار باسمه وهي حبته بنت مالك
ابن بني عمرو بن عوف واما ابو سعد بن حبته فهو عوف بن بجير بن معويه
ابن سلمى بن بجيله حليف بني عمرو بن عوف الانصاري هكذا ساق نسب
سعد بن حبته في الاستيعاب واما الخطيب ابو بكر البغدادي فانه قال
في تاريخه هو سعد بن بجير بن معويه بن قحافه بن بليل بن سدوس

ابن عبد مناف بن ابی اسامه بن سحمه بن سعد بن عبد الله بن قدادبن
ثعلبه بن معویه بن زید بن الغوث بن بجیله کان القاضی ابو یوسف المذکور
من اهل الکوفه وهو صاحب ابی حنیفة رضی الله عنه کان فقیها عالما
حافظا سمع من ابی اسحق الشیبانی وسلیمن التیمی ویحیی بن سعید
الانصاری والاعمش وهشام بن عروة وعطا بن السایب ومحمد بن
اسحق بن یسار وتلك الطبقه وجالس محمد بن عبد الرحمن بن ابی لیلی
ثم جالس ابا حنیفة النعمن بن ثابت وخالفه فی مواضع کثیرة وکان
الغالب علیه مذهب ابی حنیفه روی عنه محمد بن الحسن الشیبانی
الحنفی وبشر بن الولید الکندی وعلی بن الجعد واحمد بن حنبل ویحیی
ابن معین وکان قد سکن بغداد وتولی القضاء بها للثلثة من الخلفاء
المهدی وابنه الهادی ثم هرون الرشید وکان الرشید یکرمه
ویجله وکان عنده حظیا مکینا وهو اول من دعی بقاضی القضاة
ویقال انه اول من غیر لباس العلماء الی هذه الهیئة التی هم علیها الی
هذا الزمان وکان ملبوس الناس قبل ذلك شیا واحدا لا یتمیز
احد عن احد بلباسه ولم یختلف یحیی بن معین واحمد بن حنبل وعلی بن
المدینی فی ثقته فی النقل وذکر ابو عمر بن عبد البر صاحب کتاب
الاستیعاب فی کتابه الذی سماه کتاب الانتقا فی فضایل الثلثه الفقها

ان ابا يوسف المذكور كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين
حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير
الطبري وتحامى حديثه قوم من اصحاب الحديث من اجل غلبة الراي عليه
وتفريعه الفروع والاحكام من صحبة السلطان وتقلده القضا وحكى
ابو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا يوسف قال كنت
اطلب الحديث والفقه وانا مقل رث الحال فجاء ابي يوما وانا عند
ابي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمد رجلك مع ابي حنيفة
فان ابا حنيفة خبزه مشوي وانت تحتاج الى المعاش فقصرت عن
كثير من الطلب واثرت طاعة ابي فتفقدني ابو حنيفة وسال عني فجعلت
اتعاهد مجلسه فلما كان اول يوم اتيته بعد تاخري عنه قال لي ما شغلك
عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي وجلست فلما انصرف الناس دفع
الي صرة وقال استمتع بها فاذا فيها مائة درهم فقال لي الزم الحلقه واذا
فرغت هذه اعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة
اخرى ثم كان يتعاهدني وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شيء وكانه
كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب وحكي ان والد
ابي يوسف مات وخلف ابا يوسف طفلا صغيرا وان امه هي التي انكرت عليه
حضوره حلقة ابي حنيفة ثم روى الخطيب ايضا باسناد متصل الى علي بن الجعد

قال اخبرني ابو يوسف القاضي قال توفي ابي وخلفني صغيرا في حجر امي فاسلمتني
الى قصار اخدمه فكنت ادع القصار وامر الى حلقة ابي حنيفة فاجلس استمع
فكانت امي تجي الى الحلقة ابي حنيفة فتاخذ بيدي وتذهب الى القصار وكان ابو حنيفة
يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على امي وطال عليها
هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شي له
وانما اطعمه من مغزلي وآمل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها
ابو حنيفة مري يا رعنا ها هو ذا يتعلم اكل الفالوذج بدهن الفستق
فانصرفت عنه وقالت له انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته
فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضا وكنت اجالس الرشيد واكل
معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون الرشيد فالوذجه
بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم ضحكك قلت خيرا ابقى الله امير المومنين
فقال لتخبرني والح علي فاخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فعجب من ذلك
وقال لعمري ان العلم دينا ودنيا وترحم على ابي حنيفة وقال كان ينظر
بعين عقله ما لا يراه بعين راسه وحكى علي بن المحسن التنوخي عن ابيه عن جده قال
كان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انه كان قدم بغداد بعد موت
ابي حنيفة رحمه الله فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه فجي
بابي يوسف فافتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب منه

ودخل العايد على الرشيد يوما فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه
فقال شئ من امر الدين احزننى فاطلب فقيها كى استفتيه فجاءنى بابى يوسف
قال ابو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا
عليه اثر الملك وهو فى حجرة محبوس فاومى الى باصبعه مستغيثا
فلم افهم منه ارادته وادخلت الى الرشيد فلما تمثلت بين يديه
سلمت ووقفت قال لى ما اسمك فقلت يعقوب اصلح الله امير المومنين
قال ما تقول فى امام شاهد رجلا يزنى هل تحده قلت لا فحين قلتها
سجد الرشيد فوقع لى انه رأى بعض اهله على ذلك
وان الذى اشار الى بالاستغاثة هو الزانى ثم قال الرشيد من اين
قلت هذا قلت لان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ادرءوا
الحدود بالشبهات وهذه شبهة تسقط الحد معها فقال واى
شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك اكثر من
العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحد اخذ حقه
بعلمه فسجد مرة اخرى وامر لى بمال جزيل وان الزم الدار فما خرجت
حتى جاءتنى هدية الفتى وهدية امه وجماعته وصار ذلك اصل
للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتينى وهذا يشاورنى
ولم يزل حالى يقوم حتى قلدنى القضاء قلت وهذا الخالف ما نقله

قبل هذا في انه ولي القضا لثلثة من الخلفاء والله اعلم بالصواب
وقال محمد بن طلحة بن جعفر ابو يوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو
صاحب ابو حنيفة وافقه اهل عصره ولم يتقدمه احد في زمانه
وكانت له النهاية في العلم والحكم والرياسة وعلو القدر واول من
وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب ابي حنيفة واملى المسايل
ونشرها وبث علم ابي حنيفة في اقطار الارض وقال عمار بن
مالك ما كان في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف لولا ابي يوسف
ما ذكر ابو حنيفة ولا محمد بن ابي ليلى ولكنه نشر قولهما وبث
علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة مرض ابو يوسف في
زمن ابي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده ابو حنيفة وخيف عليه
منه ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال ان يمت
هذا الفتى فهو اعلم من عليها واشار بيده الى الارض وقال ابو يوسف
سالني الاعمش عن مسألة فاجبته فيها فقال لي من اين لك هذا فقلت
له من حديثك الذي حدثتناه انت ثم ذكرت له الحديث فقال
لي يا يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع ابواك وما عرفت
تاويله حتى الان وقال هلال بن يحيى كان ابو يوسف يحفظ التفسير
والمغازي وايام العرب وكان اقل علومه الفقه ولم يكن في اصحا

ب

ابی حنیفة مثل ابی یوسف وذکر ابو الفرج المعافا ابن زکریا النهروانی
فی کتاب الجلیس والانیس عن الشافعی رضی الله عنه انه قال مضی ابو
یوسف القاضی لیسمع المغازی من محمد بن اسحق او من غیره واخل بمجلس
ابی حنیفة ایاما فلما اتاه قال له ابو حنیفة یا ابا یوسف من کان صاحب
رایة جالوت فقال له ابو یوسف انک امام وان لم تمسک تحت هذا
سالتک والله علی رؤس الناس ایما کان اولا وقعة بدرا واحد فانک
لا تدری ایهما کان قبل الاخر فامسک عنه وذکر فی الکتاب المذکور
ایضا عن علی بن الجعد ان القاضی ابا یوسف کتب یوما کتابا وعن
یمینه انسان یلاحظ ما یکتبه ففطن به ابو یوسف فلما فرغ من الکتابة
التفت الیه وقال له هل وقفت علی شی من خطا فقال لا والله ولا حرف
واحد فقال ابو یوسف جزیت خیرا کفیتنا مؤنة قرائته ثم انشد

کانه من سوء تادیبه   اسلم فی کتاب سوء الادب

وقال حماد بن ابی حنیفة رایت ابا حنیفة یوما وعن یمینه ابو یوسف
وعن یساره زفر وهما یتجادلان فی مسلة فلا یقول ابو یوسف
قولا الا افسده زفر ولا یقول زفر قولا الا افسده ابو یوسف الی ان
اذن مؤذن الظهر فرفع ابو حنیفة یده فضرب بها فخذ زفر وقال لا
تطمع فی ریاسة ببلد فیها ابو یوسف وقضی لابی یوسف علی زفر ولم یکن بعد

ابی یوسف فی اصحاب ابی حنیفة مثل زفر وقال طاهر بن احمد التبریزی
کان یجلس الی ابی یوسف رجل فیطیل الصمت فقال له ابو یوسف الا تتکلم
فقال بلی متی یفطر الصایم قال اذا غابت الشمس قال فاذا لم تغب الی نصف
اللیل فضحك ابو یوسف وقال اصبت فی صمتك واخطات انا فی استدعاء
نطقك ثم انشده

عجبت لازراء العیی بنفسه وصمت الذی قد کان بالقول اعلما
وفی الصمت ستر للعیی وانما صحیفة لب المرء ان یتکلما

ومن کلام ابی یوسف صحبة من لا یخشی العار عار یوم القیمة وکان یقول
رؤس النعم ثلثة فاولها نعمة الاسلام التی لا تتم نعمة الا بها والثانیه
نعمة العافیه التی لا تطیب الحیاة الا بها والثالثه نعمة الغنی التی لا
یتم العیش الا بها وقال علی بن الجعد سمعت ابا یوسف یقول العلم شیء
لا یعطیك بعضه حتی تعطیه کلك وانت اذا اعطیته ذلك من اعطائه
البعض کنت علی غرر وکان ابو یوسف راکبا وغلامه یعدو وراءه فقال
له رجل استحل ان یعدو غلامك وراءك لا ترکبه فقال له ایجوز عندك
ان اسلم غلامی مکاریا قال نعم قال ابو یوسف فیعدو معی کما کان یعدو
لو کان مکاریا وقال یحیی بن عبد الصمد خوصم امیر المؤمنین الهادی الی
القاضی ابو یوسف فی بستان له وکان الحکم فی الظاهر للهادی وفی الباطن

بخلاف ذلك فقال الهادي لابي يوسف ما صنعت في الامر الذي ننازع
اليك فيه فقال خصم امير المؤمنين يسالني ان احلف امير المؤمنين ان شهوده
شهدوا على حق فقال له الهادي وترى ذلك فقال قد كان ابن ابي ليلى يراه فقال
الهادي اردد البستان عليه وانما احتال عليه ابو يوسف بعلمه ان الهادي
لا يحلف وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي ابو يوسف بينا انا البارحة
قد اويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقا شديدا فاخذت على ازاري
وخرجت فاذا هرثمة بن اعين فسلمت عليه فقال اجب امير المؤمنين
فقلت يا ابا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن ان يكون
امير المؤمنين قد دعاني لامر من الامور فان امكنك ان تدفع بذلك الى
غد فلعله ان يحدث له امر فقال ما الى ذلك سبيل قلت فما كان السبب
قال خرج الي مسرور الخادم وامرني ان آتي بك امير المؤمنين فقلت تاذن لي
ان اصب علي ماء واتحنط فان كان امر من الامور فاكون قد احكمت شاني وان
رزقني الله العافيه فلن يضرني ذلك فاذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا
وتطيبت بما امكن من الطيب ثم خرجت فمضينا حتى اتينا دار امير المؤمنين
هرون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به فقلت
لمسرور يا اباهاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضيق فتدري لم
طلبني قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر قلت ومن قال ما عندهما ثالث

ثم قال لي مر فاذا صرت في الصحن فانه في الرواق وهو ذاك جالس فحرك
رجلك بالارض فانه سيسالك فقل انا قال ابو يوسف فجئت ففعلت ذلك
فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن
يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد علي السلم وقال اظنا روعناك فقلت
اي والله وكذلك من خلفي فقال اجلس فجلست حتى سكن روعي ثم التفت
الي وقال يا يعقوب تدري لم دعوتك قال لا قال دعوتك لاشهدك على
هذا ان عنده جارية سالته ان يهبها لي فامتنع وسالته ان يبيعها فابى
ووالله لئن لم يفعل لاقتلنه قال ابو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت له
وما بلغ الله بجارية تمنعها امير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزله قال
فقال لي عجلت علي في القول قبل ان تعرف ما عندي قلت وما في هذا
من الجواب قال ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقه ما املكه لا
ابيع هذه الجاريه ولا اهبها فالتفت الى الرشيد فقال لي هل له في ذلك
من مخرج فقلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها فيكون لم يهب ولم
ولم يبع فقال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فاشهدك اني وهبت له
نصفها وبعته نصفها الباقي بماية الف دينار ثم قال ائتي بالجاريه فاتي
بها وبالمال فقال خذها يا امير المؤمنين بارك الله لك فيها فقال الرشيد
يا يعقوب بقيت واحده فقلت وما هي قال هي مملوكة ولا بد ان تستبرا

ووالله لئن لم ابت معها ليلتي هذه اظن ان نفسي ستخرج فقلت يا امير المؤمنين
تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ فقال اني قد اعتقتها فمن يزوجنيها
فقلت انا فدعى بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته
اياها على عشرين الف دينار ودعى بالمال فدفعه اليها ثم قال لي يا يعقوب
انصرف ورفع راسه الى مسرور وقال يا مسرور فقال لبيك قال احمل
الى يعقوب مائتي الف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل ذلك معي قال بشر بن
الوليد فالتفت الى ابي يوسف وقال هل رايت باسا فيما فعلت فقلت لا فقال
خذ حقك منها قلت وما حقي قال العشر قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت
لاقوم فاذا بعجوز قد دخلت فقالت يا ابا يوسف ان بنتك تقريك السلم
وتقول لك والله ما وصل الي في ليلتي هذه من امير المؤمنين الا المهر الذي
عرفته وقد حملت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما احتاج اليه فقال
رديه فوالله لا قبلتها اخرجتها من الرق وزوجتها امير المؤمنين وترضى
لي بهذا قال بشر فلم نزل نطلب منه انا وعمومتي حتى قبلها وامر لي منها
بالف دينار وقال ابو عبد الله اليوسفي ان زبيدة زوجة الرشيد كتبت
الى ابي يوسف ما ترى في كذا واحب الاشيا الي ان يكون الحق فيه كذا
فافتاها بما احبت فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات
في كل واحدة لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها فيه جام دنانير

فقال له جليس له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهديت له هدية
فجلساؤه شركاؤه فيها فقال ابو يوسف ذاك حين كانت الهدايا اللبن
والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند ابى يوسف القاضى وعنده جماعة
من اصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية ام جعفر يعنى زبيدة احتوت
على تخوت دبيقى ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند وغير ذلك
فذاكرنى رجل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتته هدية
وعنده قوم جلوس هم شركاؤه فيها فسمعه ابو يوسف فقال ابى تعرض
ذلك انما قاله صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب
ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام انقل الى الخزائن ونقلت من كتاب
اسمه اللطيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال كان عبد الرحمن بن
ابن مسهر اخو على بن مسهر قاضيا على المبارك قلت وهى بضم الميم
وبعدها باء موحدة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف
وهى بليدة بين بغداد وواسط على شاطى دجله قال فبلغ القاضى
خروج الرشيد الى البصره ومعه ابو يوسف القاضى فى الحراقه
فقال عبد الرحمن القاضى لاهل المبارك اثنوا على عند امير المؤمنين
وعند القاضى ابو يوسف فابوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوه
طويلة وطيلسانا اسود وجاء الى الشريعه فلما اقبلت الحراقه رفع صوته

وقال يا امير المؤمنين نعم القاضي قاضيا قاضي صدق ثم مضى الى شريعة
اخرى فقال مثل مقالته الاولى فالتفت هرون الى ابي يوسف وقال
يا يعقوب هذا خير قاض في الارض في موضع لا يثني عليه فيه الا رجل واحد
فقال له ابو يوسف واعجب من هذا يا امير المؤمنين هو القاضي يثني على
نفسه قال فضحك هرون وقال اطرف الناس هذا لا تعزل ابدا وكان
الرشيد اذا ذكره يقول هذا لا يعزل ابدا وقيل لابي يوسف اتولي القضا
مثل هذا فقال انه اقام ببابي مدة وشكى اليّ الحاجة فوليته وقال
ابو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح اخبرني بعض
اصحابنا قال قال الرشيد لابي يوسف بلغني انك تقول ان هؤلاء الذين
يشهدون عندك وتقبل اقوالهم متصنعة قال نعم يا امير المؤمنين قال
وكيف ذاك قال لان من صح ستره وخلصت امانته لم يعرفنا ولم نعرفه
ومن ظهر امره وانكشف خبره لم ياتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة
وهم المتصنعة الذين اظهروا الستر وابطنوا غيره فتبسم الرشيد وقال
صدقت وقال محمد بن سماعه سمعت ابا يوسف في اليوم الذي مات
فيه يقول اللهم انك تعلم اني لم اجر في حكم حكمت فيه بين اثنين
من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك
وكان عندي والله ممن يعرف الحق في امرك لا يخرج عنه وهو يعلمه

واخبار ابو يوسف كثيرة واكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه
وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير الفاظا عن عبد الله بن المبارك
ووكيع بن الجراح ويزيد بن هرون ومحمد بن اسمعيل البخاري وابي الحسن الدار
قطني وغيرهم ينبوا السمع عنها فتركت ذكرها والله اعلم بحاله وكانت ولادة
القاضي ابو يوسف سنة ثلث عشره ومايه وتوفي يوم الخميس اول وقت
الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنين وثمانين ببغداد وقيل سنه
اثنين وسبعين ومايه وولي القضا سنة ست وستين ومايه ومات
وهو على القضا رحمه الله تعالى واما ولده يوسف فانه كان قد نظر
في الراي وتفقه وسمع الحديث من يونس بن ابي اسحق السبيعي والسري
ابن يحيى وغيرهما وولي القضا بالجانب الغربي من بغداد في حياة ابيه
وصلى بالناس الجمعه في مدينة المنصور بامر الرشيد ولم يزل على القضا
الى ان مات في رجب سنة اثنين وتسعين ومايه ببغداد رحمه الله
وذكر الخطيب البغدادي ان ابا يوسف القاضي لما مات ولى الرشيد
مكانه ابا البختري وهب بن وهب القرشي قلت وقد تقدم ذكره
في الواو وكان ابو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقا لابي يوسف
ولابنه يوسف فلما توفي يوسف سمع الخريمي رجلا يقول اليوم مات الفقه
فانشد الخريمي هذه الابيات

يا ناعى الفقه الى اهله ان مات يعقوب ولا تدرى
لا يمت الفقه ولكنه حول من صدر الى صدر
القاه يعقوب الى يوسف فزال من طيب الى طهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى حل وحل الفقه فى قبر

رحمهم الله تعالى وخنيس بضم الخاء المعجمة تصغير اخنس وهو الذى تاخر انفه عن وجهه مع ارتفاع قليل فى الارنبة فالرجل خنس والمراة خنسا وهو التصغير تصغير ترخيم وحقيقته ان تحذف منه الحروف الزوايد تصغر الباقى كما قال ازهر وزهير واسود وسويد واحمد وحميد وغير ذلك وحبته بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناه من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن هذا المعنى فى هذا الاسم فى عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم اجده وبجير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء والجيم المفتوحة والاول اصح والباقى معروف لا حاجة الى ضبطه وسعد بن حبته من جملة من استصغر يوم احد هو والبراء بن عازب وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهم فرده النبى صلى الله عليه وسلم وراه النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا مع حداثة سنه فدعاه فقال له من انت فقال سعد بن حبته فقال اسعد الله جدك ومسح على راسه رضى الله عنه

تعالى في تاريخ حلب حكاية يليق ان اذكرها هاهنا لانها مثل هذه الحكاية وهي
ان كسرى انوشروان بن قباذ قد ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل
والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند فقال لكسرى ايها الملك
انك قلدتني امرا من صلاحه ان تحمل على بعض الغلظة في الامور وهو عرض
الجنود في كل اربعة اشهر واخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤديين
على ما ياخذون على تاديب الرجال الفروسية والرمي والنظر في
مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعة في اجراء السياسة مجراها
فقال كسرى ما المجاب بما سال باحظى من المجيب لاشتراكهما في فضله
وانفراد المجيب بعد بالراحة حقق مقالتك فامر فبنى له في موضع العرض
مصطبة وفرش له عليها البسط الفاخرة ثم جلس ونادى مناديا لا يبقين
احدا من المقاتلة الا وحضر العرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فامرهم
فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فيهم فامرهم فانصرفوا
فنادى في اليوم الثالث لا تخلص من المقاتلة احد ولا من اكرم بالتاج
والسرير فانه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة وبلغ كسرى ذلك فتسلح
بسلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يوخذ به الفارس خفافا
ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا
وحرزا تلزمه منطقة وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان باوتارهما

وثلاثون نشابة ووترهن ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفر ظهريا
فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما
فلم يجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما واعترض على بابك فاجاز
على اسمه وقال لسيد الكماة اربعة آلف درهم ودرهم وكان اكثر من له من الورق
اربعة الف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من مجلسه دخل على
كسرى فقال ايها الملك لا تلمني على اغلاظي فما اردت به الا التدبير للمعد
له والانصاف وحسم مادة المحاباه قال كسرى ما اغلظ علينا احد فيما يريد
به اقامه اودنا او صلاح ملكنا الا احتملنا غليظته كاحتمال الرجل شرب
الدواء الكريه لما يرجوه من منفعته ٥ رجعنا الى تتمه اخبار عمرو بن الليث
الصفار قال السلامي ايضا كان رافع بن هرثمه يتعاطى تبعا لابي ثور وكان
ابو ثور احد قواد محمد بن طاهر فلما انصرف يعقوب الى سجستان صحبه ابو ثور
ومعه رافع بن هرثمه وكان رافع طويل اللحيه كريه الوجه قليل الطلاقه
فدخل يوما الى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب انى لا اميل الى هذا
الرجل فيلحق بحيث شا فباع رافع جميع آلاته ثم انصرف الى منزله بباميين
وهي من قرى كنج رستاق واقام هناك الى ان استنفره احمد بن عبد الله
الخجستاني من جبل هراه من قرا باذغيس فكان الخجستاني من اتباع يعقوب
الصفار ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة احدى وستين

ومائتين وكان يظهر الميل الى الامرا الطاهرية مستميلا بذلك قلوب اهل
نيسابور اليه حتى انه كان يكتب في كتبه احمد بن عبد الله الطاهري ثم كتب الخجستاني
الى رافع بن هرثمه وهو في بلده يستقدمه فقدم عليه فجعله صاحب جيشه وللخجستاني
حروب ومواقف مشهوره ليس الغرض في ذكر شيء منها هاهنا ثم ان غلامين
من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد سكر ونام وذلك في ليلة الاربعا لست
بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين وكان رافع بن هرثمه غايبا فقدم بعد
ذلك على جيش الخجستاني فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراه وقيل نيسابور ثم
عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصفار عن ولايه خراسان وجعلها لابي
عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة احدى وسبعين ومائتين وهو مقيم
ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمه ماخلا اعمال ماورا النهر
فان الموفق بالله اقر عليها نصر بن احمد بن اسد الساماني خليفه لمحمد بن طاهر
ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان وكانتا للحسن
ابن زيد العلوي وتوفي في سنة سبعين ومائتين واستولى عليها اخوه
محمد بن زيد فجاه رافع في سنة اربع وسبعين ففارقها محمد بن زيد الى استراباد
فحاصره رافع بها مدة سنتين ثم فارقها ليلا في نفر يسير الى بلاد الديلم
واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين وتولى الخلافه
بعد المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق المذكور قال وعزل رافع بن هرثمه

عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقي رافع بالري ثم انه هادن الملوك
المجاورين له لستعين بهم على عمرو بن الليث فلما تم له ذلك خرج الى نيسابور
فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر سنة ثلث وثمنين وهزمه
عمرو وتبعه الى اسورد وقصد رافع ان يخرج منها الى هراة او مرو
فعلم عمرو ان مقصده سرخس فقصدها عمرو وياخذ عليه الطريق
فعلم رافع ذلك فخرج من اسورد ومعه دليل فاخذ به على جبال طوس
حتى اورده باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو اليها وحاصره بها
فانهزم رافع واصحابه ووصل الى نواحي خوارزم على الجمازات
وحمل ما كان معه من آلة ومال في شرذمة قليلة وذلك يوم
السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلث وثمنين ومائتين فوجه
اليه امير خوارزم نايبا يقوم بخدمته وما يحتاج اليه الى ان يصل خوارزم
فوجد النايب رافع في خف من اصحابه فقتله لسبع خلون من شوال
سنة ثلث وثمانين وقطع راسه وحمله الى عمرو بن الليث وهو
بنيسابور فانفذ عمرو راسه الى المعتضد ولم يكن رافع بن هرثمة وانما
هرثمة زوج امه فانتسب رافع اليه لانه اشهر ورافع بن نومرد قال
ابن جرير الطبري في تاريخه في سنة ثلث وثمنين في يوم الجمعة لثمان
بقين من ذي القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة وقدم

عمرو بن الليث الصفار براس رافع بن هرثمة الى بغداد يوم الخميس
لاربع خلون من المحرم سنة اربع وثمانين ومائتين على المعتضد فامر
بنصبه على الجانب الشرقي الى الظهر ثم امر بتحويله الى الجانب الغربي
بقية النهار الى الليل ثم رده الى دار السلطان قال السلامي وصفت
خراسان الى شط جيحون لعمرو بن الليث قلت وقد مدح البحتري
الشاعر المشهور رافع بن هرثمة وكناه ابا يوسف في مديحه وارسلها
اليه فارسل عشرين الف درهم وهو بالعراق قال السلامي لما وجه
عمرو بن الليث براس رافع بن هرثمة الى المعتضد سال ان يوليه
عمل ما وراء النهر مثل ما كان برسم عبد الله بن طاهر فوعده بذلك
2 ثم ارسل اليه المعتضد هدايا فوصلته وهو بنيسابور فابى ان يقبلها
دون الوفاء بما وعده من تولية اعمال ما وراء النهر فكتب الرسول
الى المكتفي بالله بن المعتضد وكان بالري وعنده جماعة من خواص
ابيه بما ساله عمرو فانفذ اليه العهد بها فحمل اليه العهد والهدايا
التي سيرها اليه المعتضد بالله وامتنع من اخذها وكان في الهدية
سبع دسوت خلع فوضعت بين يديه وافاض عليه الرسول الخلع
واحدة بعد اخرى وكلما لبس خلعة صلى ركعتين ثم وضع العهد قدامه
احمد فقال ما هذا فقال الذي سالته فقال عمرو ما اصنع به فان اسمعيل بن

لا يسلم الى ذلك الا بمائة الف سيف فقال انت سالته فسر الان لتتولى
العمل في ناحيته فاخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ثم انفذ عمرو الى
الرسول ومن معه سبع مائة الف درهم وصرفهم ثم جهز عمرو جيشا الى
اسمعيل بن احمد فعبر اسمعيل اليهم نهر جيحون وقاتلهم فقتل بعضهم وهزم
الباقون وعمرو بن الليث في نيسابور وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثني عشرة
ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمنين ومائتين وعاد اسمعيل الى بخارا وفي
اعمال ماوراء النهر قال السلامي انتدب عمرو بن الليث الى محاربة اسمعيل
محمد بن بشر فلما عبر اسمعيل جيحون دخل موسى السجري على محمد بن بشر وهو
حلق راسه فقال له هل استاذنت اسمعيل في حلق راسك يعني ان
حلق راسه لاسمعيل لانه انتصب الى محاربته فقال له محمد اعرب عني لعنك
الله ثم تحاربوا من الغد فانكشف اصحاب ابن بشر وقبضوا عليه وحز
راسه في جملة سائر الروس وحملوها الى اسمعيل وادخلوا جماعة من
اصحابه ليميزوا الروس عن راس ابن بشر فاعلم بعضهم اسمعيل بما قال
موسى السجري لابن بشر فعجب مما جرى الفال به وذكر الطبري في تاريخه
في سنة سبع وثمنين ومائتين ما مثاله وفي يوم الاربعا لخمس بقين من
جمادى الاولى ورد كتاب فيما ذكر عن السلطان انه كانت بين اسمعيل
ابن احمد وبين عمرو بن الليث وقعة فاسر عمرا واستباح عسكره وكان

من خبر عمرو واسمعيل ان عمرا سال السلطان ان يوليه ما وراء النهر فولاه
ذلك ووجهه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع واللواء على ما وراء النهر لمحاربة
اسمعيل بن احمد فكتب اليه اسمعيل انك قد وليت دنيا عريضة وانما في يدك
ما وراء النهر وانا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيما بهذا الثغر فابا
اجابته الى ذلك وذكر له من امر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو لو اشا
ان اسكره ببدر الاموال واعبره لفعلت فلما يئس اسمعيل منه حاربه ولم
يكن منهم قتال كبير حتى هزم عمرو فولى هاربا ومر باجمة في طريقه قيل له
انها اقرب فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح ومضى في نفر
يسير فدخل الاجمة ووحلت به دابته فوقعت ولم تكن له في نفسه حيلة
ومضى من معه ولم يلووا عليه فجاء اصحاب اسمعيل فاخذوه يسيرا
فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح اسمعيل وذم عمروا وقال يقلد ابو ابرهيم
اسمعيل ما كان في يد عمرو ويوجه اليه بالخلع ثم ذكر الطبري ايضا في
سنة ثمان وثمنين ما مثاله وفي يوم الخميس اول جمادى الاولى ادخل
عمرو بن الليث بغداد وذكر ان اسمعيل بن احمد خيره بين المقام عنده اسيرا
وبين توجهه الى امير المؤمنين فاختار توجهه الى امير المؤمنين فوجهه وقال
السلامي في اخبار خراسان ثم خرج عمرو الى بلخ فلاقاه اسمعيل فهزمه وقبض
عليه وذلك يوم الثلثا النصف من شهر ربيع الاول سنة سبع وثمنين ومائتين

وانفذه مقيدا الى سمرقند قلت وهي من بلاد ما وراء النهر قلت وهذا النهر
هو جيحون قال وضم اليه اخاه ابا يوسف ليحفظه الى ان ورد عليه من المعتضد
عبد الله بن الفتح بعهد خراسان واللوا والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين
وقدم عليه اسناسا ليتولى حمل عمرو بن الليث الى بغداد فسلمه اسمعيل اليه
فحمله وقال ابن ابي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه ان عمرو بن الليث الصفار
انهزم وقتل خلقا كبيرا من اصحابه وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الاربعا
لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومائتين وقبل ذلك
هرب ابن ابي ربعة كاتب عمرو بن الليث الى اسمعيل بن احمد الى قايد من قواده
في خلق كثير فاصبح عمرو في يوم الوقعه وقد عرف الخبر ثم كثر هرب اصحابه
الى اسمعيل بن احمد فضعف قلب عمرو وهرب واشتغل اسمعيل بالعسكر وبعث
في طلب عمرو جيشا فوجدوه واقفا على فرس فقبضوا عليه وسير اسمعيل
الى المعتضد واخبره بما جرى وانه سيره الى سمرقند حتى يرد عليه امر
امير المؤمنين واشتد سرور الخليفة بذلك وقلد الخليفة اسمعيل ما كان
يتقلده عمرو مضافا الى عمله وتوجه عبد الله بن الفتح الى اسمعيل في
طلب عمرو فلما وصل الى اسمعيل وجه فاحضر عمرا وقيده وارسله والى
جانبه رجل من اصحاب اسمعيل بيده سيف مشهور وقيل لعمرو ان تحرك
في امرك احد رمينا راسك اليهم فلم يتحرك احد ووصلوا الى النهروان

يوم الثلثا لثلث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمنين وفك قيد عمرو فلما
كان يوم الخميس مستهل جمدى الاول ركب الجند للقايه وعمرو فى القبة قد
ارخى جلالها عليه فلما وصل باب السلامه انزل عمرو من القبة والبس
دراعه ديباج وبرنس السخط وحمل على جمل له سنامان يقال له اذا
كان ضخما على هذه الصوره الفالج فى غايه الارتفاع وكان عمرو قد اهداه فيما
اهدى للخليفه وقد البس الجمل الديباج وحلى بذ وابب وارسان مفضضه
وادخل بغداد فاشتقها فى الشارع الاعظم الى دار الخليفه بقصر الحسنى
وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع دهاء منه فرقت له العامة وامسكوا
عن الدعاء عليه ثم ادخل على الخليفه وقد جلس واحتفل به فوقف بين
يديه ساعة وبينما قدر خمسين ذراعا وقال له هذا يبغيك يا عمرو ثم اخرج
من بين يديه الى حجرة قد اعدت له وكان اخو يعقوب الصفار قد تزوج
امراة من العرب بسجستان فلما توفى يعقوب تزوجها اخو عمرو ثم توفيت
ولم تخلف ولدا وكان لها الف وسبع مايه جاريه قال بعضهم كنت عند
ابى على الحسن بن محمد بن الفهم المحدث فدخل رجل من اصحاب الحديث فقال
له يا ابا على رايت عمرو الصفار امس على جمل من الجمال الذى كان اهداها
من ثلث سنين فانشد ابو على ٥

وحسبك بالصفار نبلا وعزة   يروح ويغدوا فى الجيوش اميرا

حباهم باجمال ولم يرد انه على جمل منها يقاد اسيرا

وعمل في ذلك على بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المقدم ذكره

ايها المغتر بالدنيا اما ابصرت عمرا

اركب الفالج بعد الملك والعزة قسرا

وعليه برنس السخطة اذلالا وقهرا

رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا

ان ينجيه من القتل وان يعمل صفرا

قال الطبرى وتوفى المعتضد لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفى بالله ابو محمد على وكان غايبا في الرقة عند موت ابيه فقدم بغداد وامر يوم الثلثا لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة المطامير التى كان ابوه اتخذها لاهل الجرايم ومات عمرو الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسنى وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام امر بقتل عمرو بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه اى اذبح الاعور وكان عمرو اعور فلم يفعل صافى الحرمى ذلك وهو الذى امره المعتضد بقتله وانما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته وكره قتل عمرو ولما دخل المكتفى بغداد سال فيما قيل القسم بن عبيد الله عن عمرو اخى هو فقال نعم فسر بحياته وقال اريد

ان احسن اليه وكان عمرو بعث الى المكتفى وبعثه بزاكيتا ايام مقامه بالري في حياة ابيه المعتضد فذكر ان القسم كره شواله عنه ودس اليه من قتله وكانت مدة مملكته اسى وعشرين سنة قلت وانما قيل ليعقوب الصفار لانه كان يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهمله وسكون الفاء وبعدها راء وكان اخو عمرو يكنى الحمين حكى شيخ من الصفارين قال كان يعقوب وهو غلام في دكانه وهو يتعلم عمل الصفر ولم ازل اتامل بين عينيه وهو صغير ما آل من امره قيل له وكيف ذلك قال ما تاملته قط من حيث لا يعلم بتاملي الا وجدته مطرق اطراق ذي همة وفكرة وروية فكان من امره ما كان وقال على بن المرزباني الكاتب الا صفهاني سالت بعض اصحاب بني الصفار عن عمرو بن الليث اخي يعقوب الصفار وصناعته وعمرو يومئذ محبوس بمدينة السلم فسكت عني فلما توفي عمرو قال كنت سالتني عن عمرو وصناعته ولم يكن من الحزم اخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الآن انه لم يزل مكاريا الى ان عظم شان اخيه يعقوب وتمكن من خراسان فلحق به وترك اكرا الحمير قلت ذكر جماعة من ارباب التاريخ في كتبهم ان ابا احمد بن عبيد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي المقدم ذكره في هذا الكتاب كان يقول عجايب الدنيا ثلث جيش العباس بن عمرو الغنوي يوسر العباس وحده وينجوا من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه

وكانوا عشرة آلف وجيش عمرو بن الليث يوسر عمرو وحده ويموت في السجن
ويسلم جميع جيشه وكانوا خمسون الفا وانا اترك في بيتي بطالا يعني نفسه ويولي
ابني العباس الحسن بن العباس ببغداد قلت وكان من حديث العباس بن عمرو
الغنوي ان القرامطه لما اشتد امرهم وانتشروا في البلاد وبالغوا في القتل
ارسل اليهم المعتضد بالله في سنة سبع وثمانين ومائتين جيشا مقدمه العباس
المذكور فاسره ابو سعيد رئيس القرامطه في الوقعه واسر جميع من معه من
الجيش وفي اليوم الثاني من الوقعه احضر ابو سعيد القرمطي الاسرى وقتلهم
بأسرهم واحرقهم واطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده وكان ذلك في آخر شعبان
من السنه وكانت الوقعه بين البصره والبحرين وهي قصة طويلة مشهورة وهذا
خلاصتها اذ ليس هذا موضع التطويل في شرحها وسياتي ذكرها مع الاستقصا
في التاريخ الكبير ان شاء الله تعالى قلت والبيتان المذكوران قبل هذا وانهما
مكتوبان على قبر يعقوب الصفار وآخر البيت الاول منهما
وماكنت من ملك العراق بآيس هذا نصف بيت من جملة ابيات ترنم بها
معوية بن ابي سفين الاموي لما تغلب على الشام وجاءه جرير بن عبد الله البجلي
من عند علي بن ابي طالب عليه السلم برسالة وكان علي اذ ذاك مقيما بالكوفه فلما
ادى جرير الرسالة الى معوية وانفض المجلس امر معويه بنزول جرير في مكان
قريب منه وجعل يترنم بهذه الابيات في تلك الليله ليسمع جرير فيعيد ذلك

١٥

على علي بن ابي طالب عليه السلم والابيات المشار اليها هي

تطاول ليلي واعترتني وساوسي لآتٍ اتى بالترهات السباسب

اتاني جرير والحوادث جملة بتلك التي فيها اجتداع المعاطس

اكايده والسيف بيني وبينه ولست لاثواب الدني بلابس

ان الشام اعطت طاعة يمنية تواصفها اشياخها في المجالس

فان يفعلوا اصدم عليا بجبهة يفت عليها كل رطب ويابس

واني لارجو خير ما نال نائل وما انا من ملك العراق بآيس

قلت الترهات بضم التاء المثناه من فوقها وتشديد الراء وبعدها الهاء والالف وبعدها تاء ثانية مثناه من فوقها والسباسب بفتح الباء الموحده وبعدها سين مهملة وبعد الالف باء موحدة ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهي الباطل واصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارسي معرب ثم استعير في الباطل فقيل الترهات السباسب والجبه الخيل والجبهة الجماعة من الناس ايضا فكانه قال اصدمه بالخيل والرجال والباقي معروف لاحاجة الى تفسيره ورأيت خط بعض اهل هذا الفن ان عمرو بن الليث لما اسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكري في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه اخوه يعقوب بن محمد وبعث

بهما الى مدينة السلم ثم ولي بعده الليث بن علي بن الليث وهو ابن اخي يعقوب
وعمرو المذكورين على سجستان اخاه المعدل وسار الى بلاد فارس فهرب السبكري
منه تطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست
وتسعين وقدم عليها مونس المظفر وبدر الكبير والحسين بن حمدان والقوا مع
الليث بن علي فانهزم جيشه واسر هو واخوه محمد وابنه اسمعيل وعاد مونس الى
بغداد ومعه الاسرى في المحرم سنة سبع وتسعين وشهر الليث بن علي على الفيل
وولي المعدل بن علي بن الليث على سجستان فسار اليه احمد بن اسمعيل الساماني
في خلق كبير من الفارس والراجل فاخذ منه البلاد ثم ملك سبك السبكري
الصفاري مدة ثم حمل ومعه محمد بن علي بن الليث الى بغداد وانقضى امر الصفارية
والله اعلم

ابو يوسف يعقوب بن ابي يعقوب

يعقوب بن يوسف بن عبد المومن صاحب الغرب

يوسف بن ابي محمد عبد المومن بن علي القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب قد
تقدم ذكر جده عبد المومن وسياتي ذكر ابيه يوسف ان شاء الله تعالى ولما
مات ابوه في التاريخ المذكور في ترجمته اجتمع راي اشياخ الموحدين وبني
عبد المومن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه باميرالمومنين
كابيه وجده ولقبوه المنصور فقام بالامر احسن قيام وهو الذي اظهر ابهة
ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط احكام الناس على

على حقيقة الشرع ونظر في امور الدين والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واقام الحدود حتى في اهله وعشيرته والاقربين كما اقامها في ساير الناس
اجمعين فاستقامت الاحوال في ايامه وعظمت الفتوحات ولما مات ابوه كان
معه في الصحبة فباشر تدبير المملكة من هناك واول ما رتب قواعد بلاد
الاندلس فاصلح شانها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة
شهرين وامر بقراءة البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وارسل بذلك
الى ساير بلاد الاسلام الذي في مملكته فاجاب قوم وامتنع قوم اخرون ثم
عاد الى مراكش الذي هي كرسي مملكتهم فخرج عليه علي بن اسحق الملثم من
جزيرة ميورقه في شعبان سنه ثمانين وملك بجايه وما حولها فجهز اليه الامير
يعقوب عشرين الف فارس واسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في اول سنة
ثلث وثمانين وخمس مايه فاستعاد ما اخذ من البلاد ثم عاد الى مراكش وفي
سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينه شلب وهو في غرب مدينه
الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها واخذها وانفذ في الوقت جيشا
من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن من بلاد الفرنج كانوا
قد اخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطله
وساله الصلح فصالحه خمس سنين وصار الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنه
ولم يبق منها سوى القليل خرجت طايفه من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد

المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبايل الموحدين والعرب واحتفل وجاز الى الاندلس وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسمايه فعلم الفرنج به فجمعوا خلقا كثيرا من اقاصي بلادهم وادانيها واقبلوا نحوه قلت ورايت بدمشق في اواخر سنه ثمان وستين وستمائة جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله ابن حمويه شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر الى مراكش واقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدوله فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره هاهنا فقال لما انقضت الهدنه المذكوره بين ابي يوسف يعقوب ابن يوسف بن عبد المومن صاحب المملكه المغربيه وبين الاذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الاندلس وقاعده مملكته يوميذ طليطله وذلك في اواخر سنة تسعين وخمسمايه عزم الامير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الافرنج وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى ايس منه اطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الامير يعقوب الى مراكش فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم من البلاد وعاثوا فيها واغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس واقتضى الحال تفرقة جيوش

الامير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا بالمدافعه والممانعه فكثر طمع الاذفونش
في البلاد فبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون
المتاخمه له من بلاد الاندلس وكتب اليه رسالة من وزير له يعرف بابن الفخار
وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح
الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب
ولا ذي عقل لازب انك امير الملة الحنيفيه كما انا امير الملة النصرانيه وقد
علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعيه
واخلادهم الى الراحة وانا اسومهم بحكم القهر اجلا الديار واسبي الدراري
وامثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا امكنتك يد القدرة
وانتم تزعمون ان الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا
لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي عنك انك اخذت في
الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام
تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا ادري اكان الجبن ابطا بك ام التكذيب بما
وعد ربك ثم قيل لي انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعله لا يسوغ
لك التقحم معها وها انا اقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعنك
على ان تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان وترسل الى جملة من

عبيدك بالمراكب والشوانى والطرايد والمسطحات واجوز بجملتى اليك واقاتلك
فى اعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك وهدية عظيمة
مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحقيت امارة
الملتين والحكم فى البرين والله يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره
ولا خير الا خيره ان شا الله تعالى فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه
وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع وفى اخره هذا البيت
من شعر المتنبى ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم
ثم امر بكتب الاستنفار واعتداء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات بظاهر
البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه
الى الاندلس وسار الى ان دخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتاهبوا
فكسرهم كسرة شنيعة وذلك فى سنة اثنين وتسعين وخمس مايه انتهى ما نقلته
من الجزء المذكور قلت ثم وجدت فى كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل
تاليف ابى الحجاج يوسف بن محمد بن ابرهيم الانصارى البياسى هذه المكاتبة وجوابها
قد كتبها الافونش بن فرذلند الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين الاتى ذكره
ان شا الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة ايضا والله اعلم قلت وذكر
البياسى بعد هذا ما يدل على انه نقلها من خط الصيرفى الكاتب المصرى فان

كان كذلك فما يمكن ان يكون هذه الرساله الى يعقوب بن يوسف لان
الصين في متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله اعلم ورايت جماعة
من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه ان شا الله
تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعًا عظيمًا وقصدوه وبلغ الامير يعقوب خبر
مسيرهم وكثرة جموعهم فما هاله ذلك وجد في السير نحوهم حتى التقوا في
شمالي قرطبه على قرب قلعه رباح في مرج الحديد وفيه نهر شقه وعبر الى منزله
الفرنج واضافهم وذلك في يوم الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين
وخمس مئة واتفق في ذلك طريقة ابيه وجده فانهما اكثر ما كانا يصتفان
يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ووقع القتال وبرزت الابطال
وصبرت الرجال فامر الامير يعقوب فرسان الموحدين وامراء العرب
ان يحملوا ففعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستاصلهم قتلا وما
تخلص منهم الا نفر يسير ولولا دخول الليل لم يبق منهم احد وغنم المسلمون
اموالهم حتى قيل ان الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون الف درع واما
الدواب على اختلاف انواعها فلم يحصل لها عدد ولم يسمع في بلاد الاندلس
بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين انهم لا ياسرون مشركا محاربا ان ظفروا به ولو
كان ملكا عظيما بل تضرب رقابهم كثروا او قلوا فلما اصبح جيش المسلمين اتبعوهم
فالقوهم قد اخلوا قلعه رباح لما دخلها من الرعب فملكها الامير يعقوب وجعل

وجعل فيها واليا وجيشا ولكثرة ما حصل من الغنايم لم يمكنه الدخول الى
بلاد الفرنج فى ذلك الوقت فعاد الى مدينه طليطله وحاصرها وقاتلها
اشد قتال وقطع اشجارها وشن الغارات على بلادها واخذ من اعمالها
حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها وهدم اسوارها
وترك الفرنج فى اسواء حال ولم يبرز اليه احد من المقاتلة ثم رجع
الى اشبيليه واقام الى اثناء سنة ثلث وتسعين وعاد الى بلاد الفرنج
مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقايه وضاقت
عليهم الارض بما رحبت فارسلوا اليه يلتمسون الصلح منه فاجابهم الى ذلك بلغ
لما اتصل به من اخبار على بن اسحق الميورقى المقدم ذكره فى هذه الترجمة فانه
كان قد خرج على بلاد افريقيه وخرب اكثر بلادها وتوجه نحو الغرب وسولت
له نفسه النزول على بجايه لما علمه من اشتغال الامير يعقوب بجزيرة الاندلس
والجهاد فيها وتاخره عن بلاد المغرب مدة ثلث سنين فاوقع الصلح بينه
وبين ملوك بلاد الاندلس جميعهم على ما اختاره لمدة خمس سنين ثم عاد الى
مراكش فى اواخر سنة ثلث وتسعين ولما وصل اليها امر باتخاذ الاحواض
والروايا والات السفر للتوجه الى بلاد افريقيه فاجتمع اليه مشايخ الموحدين
وقالوا له يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فمنا من له خمس سنين ومنا
من له ثلث سنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة فى هذا العام وتكون الحركة فى

قاصد العراق في التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج واخبره طبيبه
ان لا دواء له الا الحقنة فامتنع منها واختار الموت عليها وكانت مدة علته
بالقولنج والفواق ستة عشر يوما ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي
اربع عشرة سنة وشهورا وذكر شيخنا ابن الاثير في سنة خمس وستين
ومائتين انه مات فيها يعقوب بن الليث في تاسع عشر شوال من السنة وذكر
حديث القولنج وامتناعه من الحقنة وانه مات بجندي سابور من كور الاهواز
قلت وهي من اعمال خوزستان بين العراق وبلاد فارس وقال شيخنا
ايضا وكان المعتمد قد انفذ اليه رسولا وكتابا برضاه واستمالته وقلده
اعمال فارس فوصل الرسول اليه ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده
سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل واحضر الرسول فادى
الرسالة فقال له قل للخليفة اني عليل فان مت فقد استرحت منك
واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينك الا هذا السيف حتى آخذ
بثاري او تكسرني او تفقرني فاعود الى هذا الخبز والبصل واعاد الرسول
راجعا فلم يلبث ان مات يعقوب وكان الحسن بن زيد العلوي يسمي يعقوب
السندان لثباته وكان قل ان رئي متبسما وكان عاقلا حازما وكان
يقول كل من عاشرته اربعين يوما ولم تعرف خلقه فانك لا تعرفه في اربعين
سنة ولما تولى عمرو احسن في التدبير والسياسة غاية الاحسان

حتى يقال ما ادرك في حسن السياسه للجند والهدايه الى قوانين المملكة
منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث وذكر السلامي في كتاب اخبار خراسان
شيا كثيرا من نهضته وكفايته وقيامه بقواعد الولايه فتركته طلبا
للاختصار وذكر انه كان ينفق في الجند في كل ثلثه شهور مره ويحضر
بنفسه على ذلك وان عارض الجند يقعد والاموال بين يديه والجند
باسرهم حاضرون وينادي المنادي اولا باسم عمرو بن الليث فتقدم دابته
الى العارض بجميع آلة الفارس فيتفقدها ويامر بوزن الثمانية درهم
باسم عمرو فتحمل اليه في صره فياخذ الصره ويقبلها ويقول الحمد لله الذي
وفقني لطاعة امير المومنين حتى استوجبت منه الرزق ثم يضعها في خفه
ثم يدعى بعد ذلك لاصحاب الرسوم على مراتبهم فيستعرضون بالاتهم
التامه ودوابهم الفره ويطالبون بجميع ما يحتاج اليه الفارس والراجل
من صغير آلته وكبيرها فمن خل باحضار شي منها الزموه رزقه فاعرض
يوما فارسا كانت دابته في غاية الهزال فقال له عمرو يا هذا تاخذ مالنا
تنفقه على امراتك تسمنها وتهزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد الارزا
امض فليس لك عندي شي فقال له الجندي جعلت لك الفدا لو اعرضت
لك امراتي لاستسمنت فيها دابتي فضحك عمرو وامر باعطايه وقال له استبدل
بدابتك قلت ذكر القاضي كمال الدين المعروف بابن العديم الحلبي رحمه الله

ورغب اليه في السلامة دنيا ودينا بلطفه مد الله في عمرك وكتب
يوم الاثنين لثلث ليلة خلت من جمدى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين ثم
تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر علي بن الحسين خمسة عشر الف انسان
ووجه احمد بن الليث في الطلايع وذلك في غداة الاربعا لاربع خلون من
الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلايع يعقوب ثم التقى الجيشان
فحملوا حملة وفي الثانية ازالوا اصحاب علي بن الحسين عن مواضعهم وصدقت
الجالدة فانهزموا ومروا على وجوههم لا يلوي احد على احد وعلى الحسين
يتبع اصحابه ويصيح بهم ان ارجعوا واثبتوا ويناشدهم الله تعالى فلم
يلتفتوا اليه وبقي في عدة من اصحابه فوافت المنهزمة ابواب شيراز مع
العصر يوم الخميس المذكور وكانت الوقعة بين الظهر والعصر فضاقت
عليهم الابواب فمروا على وجوههم في نواحي شيراز وبلغت هزيمتهم الاهواز
وكانت القتلى منهم خمسة الف واصابت علي بن الحسين ثلث ضربات
واعترته اسياف اصحاب يعقوب وسقط عن دابته فارادوا قتله
فاعلمهم انه علي بن الحسين فاخذوا عمامته ووضعوها في وسطه وقادوه
الى يعقوب وطلب الذي اسره الثواب من يعقوب فامر له بعشرة
الف درهم فابى ان ياخذها فقال انما جيتني بكلب اسرته مالك عندي
غيرها ووقع يعقوب لعلي عشرة اسواط بيده واخذ حاجبه بلحيته فنتف اكثرها

وامر يعقوب ان يقيد على بقيد عشرون رطلا وسيره مع طوق بن المغلس
في الحبه وكان قد انفذ الى ابن المغلس وقيده ايضا وصار يعقوب من فوره
الى شيراز وتفرق اصحاب على بن الحسين في النواحي ثم دخل يعقوب شيراز
والطبول تضرب بين يديه وظن ان اهل شيراز يؤذونه فيستحل دماءهم
واموالهم لحربهم فلم ينطق احد لانه كان وعد اصحابه ان هو ظفر ان يطلقهم
وينهب شيراز وبلغ القوم ذلك ورجع يعقوب الى عسكره بعد ان طاف شيراز
فلما اصبح نادى بالامان ليخرجوا الى الاسواق فخرج الناس ونادى في كتاب على
ابن الحسين ان رمت الذمه ممن آواهم وحضرت الجمعة فامر الخطيب فدعا
للامام المعتمد بالله ولم يدع لنفسه فقيل له في ذلك فقال الامير لم يقدم
بعد وقال انما مقامي عندهم عشرة ايام ثم ارجع الى عمل سجستان وبعث
لخاه الى منزل على بن الحسن فاحضر الفرش والاثاث وفتش على الاموال
فلم يقف عليها فاحضر عليا فتهدده وتوعده فذكر انه يدلهم على المال
فحمل الى منزله فاستخرج اربع مايه بدره وقيل انه اخذ منه الف بدره وعوض
يعقوب اصحابه عن اهل شيراز كل رجل ثلثمايه درهم ثم عذب يعقوب عليا
انواع العذاب وعصر ابنتيه وشد الجوزتين على صدغيه فقال على اخذت
مع ما اخذت مني فرسي وقيمته اربعون الف دينار والح عليه العذاب وقيده
باربعين رطلا فدلهم على موضع في داره فاستخرجوا منه اربعة آلف درهم وجوهرا

كثيرا ثم الح عليه يعقوب بالعذاب واعلمه انه لا يعتقه منه بدون ثلثين الف
الف دينارا واختلط وتوسوس من شدة العذاب وسلمه الى الحسين بن درهم
فضربه وعذبه وشتمه وعذب طوق بن المغلس ايضا وحبسهما في بيت واحد
وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمدى الاولى
من السنة الى بلاده وحمل علي بن الحسين وطوق بن المغلس معه فلما بلغ
الى كرمان البسهما المصبغ من الثياب وقنعهما بمقانع ونادى عليهما
وحبسهما ومضى الى سجستان وخلع الخليفة المعتز بالله لثلث خلون
من رجب من هذه السنة وتولى الخلافة الامام المهتدي بالله في ذلك
اليوم وخلع المهتدي صلاة الظهر يوم الثلثا لاربع عشرة بقيت من
رجب سنة ست وخمسين ومائتين وبويع المعتمد على الله ولم يكن
ليعقوب الصفار في خلافة المهتدي كبير امر بل كان يغزو ويحارب
من يليه من الملوك بسجستان واعمالها وتطرف كور خراسان وما
قرب من قوهستان ونواحي هراه وبوشنج وما اتصل بسجستان
الف ج ثم عاد يعقوب الى بلاد فارس وجبى غلالها ورجع بنحو ثلثين الف
درهم وصار الى سجستان واقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب
والخراج وكاتب الخليفة وحمل بعض ما يجبى من الاموال فكان مقدار
ما يحمل خمسة آلاف الف درهم في السنة من الخراج من بلاد فارس

مكان مقيما بها غلبة عليها ولو امكن الخليفة صرفه عنه ببعض اوليائه لما
اقره ثم ورد الخبر في جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب
مدينة بلخ ثم خرج منها ودخل نيسابور في ذي القعدة سنة تسع وخمسين
واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعي امير خراسان وجميع الطاهرية ثم خرج عنها في
المحرم سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيدا ونيفا وستين من
اهله وتوجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوي امير طبرستان وجرجان
ووجه من اخذ سارية طبرستان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل
يوم الف قفيز شعيرا ثم خرج يعقوب الى طبرستان وخرج اليه الحسن
ابن زيد في خلق كثير واعلم يعقوب اصحابه انه يقتل من انهزم منهم وتقدم
بنفسه للحرب وتبعه خمس مائة من عبيده فحمل على الحسن واصحابه حملة
واحدة فكانت الهزيمة على القوم وكان الحسن بن زيد قد اعد في طريقه
في كل قرية لانهزامه برذونا وبغلا لانه كان رجلا ثقيلا كثير اللحم
وتلاحق اصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد في خمسة آلاف خيل جيدة ففاته
واخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا اكثرها عين وظفر
بجماعة من آل ابي طالب فاسالهم واسرهم وكانت الوقعة يوم الاثنين لاربع
بقين من رجب سنة ستين ومائتين ثم تقدم يعقوب فدخل آمل قلت
وهي بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام وهي كرسي بلاد طبرستان

مال وهرب الحسن بن زيد الى مدينة يقال لها شالوس فلم يجد من اهلها ما كان
يعرفه منهم فتنحى عنهم ثم خرج يعقوب من آمل في طلب الحسن بن زيد فرحل
مرحلة واحدة وبلغه الخبر ان الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قد دخل
مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم في الفي تركي فانزعج يعقوب لذلك
وقصر من الايغال في طلب الحسن بن زيد فرجع وكتب الى امير الري في
ذي الحجة من سنة ستين يامره ان يخرج عن الري ويعلمه ان امير المومنين
قد ولاه اياها فبلغ ذلك الخليفة فعاقب غلمانه وانكر ذلك عليهم لانهم
كانوا في الحبس عنده ببغداد واخذ الاموال ثم دخل سنة احدى وستين
ومائتين ويعقوب بطبرستان فخرج من المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن
زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع اليه من الديلم واهل الجبال وطبرستان فشعب
من يعقوب وقتل من لحق من اصحابه فرجع يعقوب الى جرجان فجاءت فيها
زلزلة عظيمة قتلت من اصحابه الفي انسان ورجعت طبرستان الى الحسن
ابن زيد وآمل وسارية وما يتصل بها واقام يعقوب بجرجان يعسف اهلها
بالخراج وياخذ اموال الناس ودامت الزلزلة ثلثة ايام ووافا جماعة
من اهل جرجان الى بغداد فسئلوا عن يعقوب الصفار فذكروه بالجبروت
والعسف فعزم الخليفة على النهوض اليه واستعد لذلك ولما رجع
الصفار الى جوار الري ورجع الحاج من الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله

الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ يتولى العراق بان
يجمع الحاج من اهل خراسان وطبرستان وجرجان والري ويقرا عليهم كتابا منه
اليه فجمع الحاج القادمين من اقصى البلاد وقرا عليهم كتاب امير المؤمنين
بالوقوع في الصفار وعمل به ثلثين نسخة ودفع الى اهل كل كورة نسخة لتذيع
الاخبار بهذه النسخ في الآفاق ونمى الخبر الى يعقوب الصفار بما كان من
حبس غلمانه وما كان من جمع الحاج في دار عبيد الله وما دفع اليهم من النسخ
وانكشف له راى الخليفة في قصده فرجع الى نيسابور وانما رجع لانه لم يجد
عنه نصلح للقاء الخليفة ولما دخل الى نيسابور اساء الى اهلها باخذ اموالهم
وجعل يريد جهة سجستان في جمادى الاولى من سنة احدى وستين ومائتين
ولما رجع الى سجستان خرجت كتب الخليفة الى اصحاب الممالك بخراسان وذوي
الجاه والعدد بتولية كل انسان ناحيته فوردت الكتب واصحاب الصفار متفرقون
في كور خراسان ثم ان الصفار وصل الى عسكر مكرم من اعمال خوزستان
وكاتب الخليفة وساله ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموما الى الطاهر
ابن حسين الخزاعي من الكور وشرطتي بغداد وسر من رأى وان يعقد له على
طبرستان وجرجان والري واذربيجان وقزوين وان يعقد له على
كرمان وسجستان والسند وان يحضر من قرئت عليهم الكتب التي نسخت
في دار عبد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرى عليهم خلاف ما قرى عليهم اولا

من ذكره ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك الموفق بالله ابو احمد
طلحه بن المتوكل على الله وهو اخو الخليفه المعتمد على الله وهو والد المعتضد
بالله الخليفه القايم بعد عمه المعتمد على الله وكان الموفق مستوليا على الامور
كلها وليس للمعتمد معه شي سوى اسم الخلافه لا غير واجابه الى ما طلب
وجمع الناس وقرا عليهم ما احبه الصفار واجيب الى الولايه التي طلبها واضطربت
الموالي بسر من راى من اجابه الخليفه الى ما طلبه الصفار وتحركوا ثم ان الصفار
لم يلتفت الى ما اجيب اليه من ذلك ودخل السوس وهي ايضا مدينه من خوزستان
بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم على محاربه الخليفه المعتمد وتاهب
له المعتمد لينحدر اليه في دجله ثم تقدم الصفار وتقدم اليه عسكر الخليفه
وقد كانت الموالي ارتابت واتهمت الامير الموفق وتوهمت ان اقبال الصفار
بسبب ما انفذت اليه من الكتب والا فاي عجب اعجب من خارج قصد من
زرنج كرسي سجستان وهي الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان
الوصول الى بلاد العراق لمحاربه الخليفه وهو في جيوشه وعدده وتقادم
تمكنه في شرق الارض وغربها والصفار منفرد بجيشه ليس معه من يعضده
ولا يشاركه في هذا الامر ولما بلغ الخليفه ذلك دعا ببرد النبي صلى الله عليه
وسلم وقضيبه واخذ القوس ليكون اول من رمى ولعن الصفار فطابت انفس
الموالي ولما كان صبحه الاحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار

في النغبه الى موضع يقال له اضطربند وهي قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الاوسط وجمع اصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك واقبل وعليه دراعه ديباج سودا ولما توافق الصفان خرج من الموالي خشنج القايد فقام بين الصفين وقال لاصحاب الصفار يا اهل خراسان وسجستان ما عرفناكم الا بطاعة السلطان وتلاوة القران وحج البيت وطلب الاثار وان دينكم لا يتم الا باتباع الامام وما نشك في ان هذا الملعون قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن كان منكم الحق وتمسك بدينه وشرايع الاسلام فلينفرد عنه اذا كان شاقا للعصا مجادبا للسلطان فلم يجيبوه عن كلامه وكان هذا خشنج مقداما شجاعا مقدما ولما تخلص محمد بن طاهر ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين امير خراسان من اسر الصفار وقد تقدم ذكر اسره وحمله مقيدا قال له خشنج يا ال طاهر اشتريتمونا باموالكم واهديتمونا الى ولد العباس فاستخلفونا وملكونا الاضياع والاموال حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة الاسلام فلم نخرج من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والي خراسان مع مولانا امير المؤمنين وخلصناك بعد الاسر والقيد الثقيل من مدينته الى مدينه على بغل اكاف ورددناك من العراق الى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به مولانا علينا من خلاصك

25

واولانا هذا الفعل الجميل فيك رجعنا الى تتمه خبر الصفار قال الراوي وحرد
عسكر الصفار وكان مسافه معسكره ميلا في ميل وكانت دوابهم على غايه
الفراهه وقيل ان جمعهم يزيد على عشرة الف انسان ووضع الخليفه العصاه في
الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل واستعدوا للحرب وجدوا
فيها وشمروا وقيل ما هو الا ان تنصروا او تهزموا فلا ترجع دولتكم اليكم
ووقف الخليفه المعتمد بنفسه والى جانب ركابه محمد بن خالد بن زيد بن مزيد
ابن زايده الشيباني وقد تقدم ذكر جده يزيد بن مزيد ووقف معه
جماعه اكشفوا الخليفه من اهل الباس والنجده وتقدم بين يديه الرماه
بالنشاب وكشف الموفق اخو الخليفه راسه وقال انا الغلام الهاشمي وحمل
على اصحاب الصفار وقتل من الطايفين خلقا كبيرا فلما راى الصفار تلك
الحال ولى راجعا تاركا امواله وخزاينه وذخايره ومر على وجهه فلم تتبعه
العساكر وما افلت من اصحابه بشيء الا اصابه وادركهم الليل
فتساقطوا في الانهار لازدحامهم وثقل الجراح بهم وقال ابو الساج
داود بن دوست وهو الذي تنسب اليه الاحاد الساجيه بعد اد للصفار
لما انهزم ما رايت معك شيا من تدبير الحروب وكيف كنت تغلب الناس
فانك جعلت ثقلك واموالك واسراك امامك وقصدت بلدا على
قلة المعرفة منك به وبمغايضه وانهاره بغير دليل وقاتلت يوم الاحد

والريح عليك وسرت من السوس الى واسط فى اربعين يوما واحوال العساكر
مختلة فلما توافت عددهم وجاتهم اموالهم واستحكم امرهم عليك اقبلت من
واسط الى دير العاقول فى يومين تاخرت عند امكان الفرصه واقبلت تعدوا
فى موضع التثبت فقال الصفار لم اعلم انى احارب ولم اشك فى الظفر وتوهمت
ان الرسل ترد على فيذروا الامر فاتيت بما قدرت عليه قلت هذا اخر
ما نقلته من كلام ابن الازهر مع الاختصار ونقلت من تاريخ ابى الحسن
عبيد الله بن احمد بن ابى طاهر الذى جعله ذيلا على تاريخ ابيه فى اخبار بغداد
وقد اطال القول فيه فاختصرت وحذفت ما تكرر منه فقال كان
وثوب يعقوب بن الليث على درهم بن نصر كذا وغلبته على سجستان
يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع واربعين ومائتين وكانت
ولاية درهم ثلث سنين بعد اخراجه صالح بن النضر وهو رجل من بنى
كنانه من سجستان فى ذى الحجة سنة سبع وثلثين ومائتين ولم يزل
يعقوب الصفار بسجستان يحارب الشراه والاتراك ويظهر انه متطوع
حتى كان سنة ثلث وخمسين ومائتين فخرج الى هراه ثم قصد بوشنج وحاصرها ٢٥٣ هـ
واخذها عنوة وكان ذلك فى خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب
على حاله ولم يزل على ذلك الى ايام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها
ثم وصل الى نامهر من ولم يظهر الطاعه للخليفه المعتمد وذلك فى

المحرم سنة اثنين وستين ومائتين ثم ارسل رسله الى المعتمد فدخلوا بغداد
لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم صار الى واسط
واقام بها نايبا عنه ثم صار الى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من
رجب ثم صار الى اصطربند فنزل بها ولما اتصل خبره بالمعتمد وانه يقصد
بغداد جمع اصحابه من الاطراف وخرج من سر من راى قاصدا محاربته
ودخل بغداد يوم الاحد لخمس بقين من ذي الحجة من السنه قال ابو الفرج
كاتب القاضي ابو عمر لما نهض الخليفه لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تسير
اليه من الطريق يومن بالانصراف ويحذر سو عاقبة فعله وان امير المومنين
قد نهض اليه في العدد والعدد وكتب الصفار واوده باني قد علمت ان نهوض
امير المومنين ليشرفني وينبه على موقعي منه ثم عبى الخليفه جيشه للقتال
على القرية المذكوره وارسلوا الما على طريق الصفار فكان سبب هزيمته فانهم
اخذوا عليه الطرق وهو لا يدري واصطف الفريقان ولم يزل القوم
حاشية منه يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار فغنم الناس من اثقاله غنيمة عظيمة
وتوهموا ان ذلك حيلة منه ومكرا ولولا ذلك لاتبعوه ولقد حضر
ذلك ان رزق الجند الموالي في ذلك الوقت كان عشرين الف سهم وانصرف
الخليفه مسرورا بما فتح الله عليه وكان ممن تخلص ذلك اليوم من اسره
ابي عبد الله محمد بن طاهر امير خراسان وجاء الى الخليفه وهو في قيده فضحك

الخليفه وفك عنه القيد وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد في
ذلك النهار انه رأى تلك الليله في المنام كان انسانا كتب على صدره انا
فتحنا لك فتحا مبينا وقص الرؤيا على خواصه وقال لهم لقد وثقت بنصر الله
تعالى وقبل الواقعه وردت كتب الصفار الى الخليفه وفيها خضوع
وتضرع ويخبر انه لم يبق الا الامير المومنين والتشرف بالمثول بين يديه
والنظر اليه وان يموت تحت ركابه فقال المعتمد نحن في مخاريق الصفار
بعد اعلموه ان ماله عندي الا السيف وامر الخليفه بالكتاب الى ابي
احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن
طاهر تخبره بالفتح وخلاص ابن اخيه محمد بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر بن
عبد الله بن طاهر فكتب اليه وهو يوميذ متولي الشرطه ببغداد نيابة عن
ابن اخيه المذكور فانه كان متولي خراسان وشرطتي بغداد وسر من رأى
وفي الكتاب فصول طوال وحاصله انه عدد ذنوب الصفار وما قابله
الخليفه به من الاحسان والانعام وانه قلده خراسان والبلاد التي
تقدم ذكرها قبل هذا وانه رفع مرتبته وامر بتكنيته في كتبه واقطعه
الضياع السنيه ولم يبق شي مما يقدر فيه استصلاحه الا فعله فما
زاده ذلك الا البغي والطغيان والتمس اشيا ردعنها فقصد ابواب
امير المومنين لاثارة الفتنه وابتغاء الغلبه فلم ير امير المومنين اجابته الى

ما سأله وتابع الكتب بالرجوع إلى اعماله الجليلة التى ولاه اياها
وحذره التعرض لزوال النعم التى انعم عليه بها وعرفه انه ان اقام
على المصير الى الباب فقد عصاه وخالفه وخرج عن طاعته ثم وجه اليه
في ذلك مرة بعد اخرى مع جماعة من القضاة والفقهاء والقواد وقد
يتوجهم اليه انه يرجع الى ما هو النم به واوجب عليه فقام على سبيل
واخذ في البغي والعناد والعصيان ولم يثنه الاسترشاد ولم يزل
استحواذ الشيطان عليه يقوده الى الحين ويصده عن سبيل النجاة الى
مهاوي الهلكة فلما تبين امير المؤمنين ذلك منه رأى ان يقضي عليه في
امر مثله فنهض متوكلا على الله معتمدا على كفايته لدفع الملعون عما
حاوله وهو جد المصير الى المسرع الذى سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى
توسط الطريق بين مدينة السلم وواسط واظهر اعلاما على بعضها
الصلبان واستنجد اهل الشرك على اهل الايمان وبارز الله تعالى
بسريرته ليسلبه جريرته وفارق شرايع الاسلام واحكامه نقضا للعهود
ونكثا وخفرا للذمة واعلانا للمشقة فقدم امير المؤمنين اخاه الموفق بالله
ابا احمد ولى عهد المسلمين ومعه جماعة من موالي امير المؤمنين الذى
اخلص الله طاعتهم وثبت في المحاماة عن دولته بصايرهم واتبعهم
امير المؤمنين الرغبة الى الله تعالى في تاييدهم ونصرهم ولعنة امير المؤمنين

في الاوقات والمواقف التي علم الله نيته فيها والحقه وبالها ووقف امير المومنين
تتامل مايكون من اجنه ومواليه واوليائه ويواصل الامداد والجيوش اليهم وكان
الموفق بالله في قلب العسكر وظهر الملعون عدو الله في اشياعه وضلاله
قد ادرع العصيان وتسربل البغي واعتمد على قوة حشده وكثرة اتباعه فلما تراءى
الجمعان شهر عدو الله واشياع ضلاله السلاح واسرعوا الى موالي امير
المومنين واوليائه وشرعت في الملعون وضلاله سيوف الحق ثائرة
ورماحه طايعة طاعنة وسهامه نافذة حتى اثخن الملعون بالجراح وراى
اتباع ضلالته ماحل به فبادروه بالويل والثبور واكب عليه موالي امير
المومنين واولياه يقتلون فيهم ويأسرون منهم وعجل الله الى النار من لا يحصى
عدده ولم يزل الامر كذلك حتى انتزع ابو عبد الله محمد بن طاهر مولى
امير المومنين سالما من ايديهم وحسروا من مستقرهم فولى الباقون منهم موتى
مفلولين لا يلوون على شي واسلم الله تعالى الملعون وهم وما كانوا حووه
وملكوه من سالف الايام التي املى الله لهم فيها من الاموال والامتعة والاثاث
والابل والدواب والبغال والحمير فافاءه الله تعالى على الموالي وسائر
الاولياء وملكهم اياه وصاروا به الى رحالهم وعلى الجملة فان هذا الكتاب
اطال القول في ذلك فاختصرته ثم كتب في اخره وكتب عبد الله بن يحيى يوم
الاربعا لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنين وستين ومائتين ثم قال

هذا المؤرخ بعد هذا ومضى الصفار منهزما الى واسط تتخطف اصحابه اهل القرى
ويؤخذ اسلحتهم واسلابهم ولم يتبعه الموالى مخافة رجعته واشتغالهم كان
بالنهب فامسكوا عنه ورجع الخليفه الى معسكره ثم رجع الصفار الى السوس
وجبى الاموال ثم قصد تستر وحاصرها واخذها ورتب فيها نايبا وكثر جمعه
ثم دخل الى فارس فى شوال وكان الخليفه قد رجع الى المداين واقام بها
يومين ثم دخل الى بغداد ومنها الى سر من رآى ودخلها يوم الجمعه لثلث
عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المؤرخ بعد ذلك وورد الخبر على الخليفه
بوفاة يعقوب بن الليث يوم الثلثا لاربع عشرة ليلة خلت من شوال والذى
اصيب فى امواله من العين اربعة الف الف دينار ومن الورق خمسون الف
الف درهم ووافى احمد بن ابى الاصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال وقد كان
الخليفه انفذه ليصلح امر يعقوب فانصرف من عنده يعقوب فلما قرب من
واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان
والرى وقم اصبهان وصيرت الشرطتان ببغداد وسر من رآى على ان
يواليهما وعلى ان يوجه ثلث ما يجبى من خراج البلاد التى يتولاها من جميع البلاد
وتولى اخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب
عمرو الى الموفق اخى الخليفه المعتمد على الله بالسمع والطاعه وان يولى ما كان اخوه
تولاه فاجيب الى سواله فى ذى القعده من السنه قلت سياقه هذا التاريخ تدل

على ان يعقوب بن الليث الصفار توفى سنة اثنين وستين ومائتين لانه حكى هذه الواقعه فى هذه السنه وانه انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر بوفاة يعقوب فى شوال ولم يذكر السنه فيدل هذا على موته فى تلك السنه والذى اعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا فان ابا الحسن السلامى ذكر فى تاريخ اخبار خراسان فى اول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار فقال كان سبب وفاه يعقوب بن الليث انه اصابه القولنج فاشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه فمات بجندى سابور من جوزستان يوم الثلثا لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنه خمس وستين ومائتين قال ابو الوفا الفارسى رايت على قبر يعقوب ابن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها

ملكت خراسانا واكناف فارس وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نسيمها كأن لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورايت بخطى فى بعض مسوداتى ان يعقوب بن الليث الصفار توفى سنة خمس وستين ومائتين بالاهواز وحمل تابوته الى جندى سابور فدفن بها وكتب على قبره هذا قبر يعقوب بن الليث الصفار وكتب بعده

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ورايت بخطى فى موضع آخر انه توفى بجندى سابور ودفن بميدانها وهو

اول سنه خمس وتسعين فاجابهم الى ذلك وانتقل الى مدينه سلا
وشاهد فيها من المنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينه المذكوره
مدينه عظيمه سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندريه فى اتساع الشوارع
وحسن التقسيم واتقان البنا وتحسينه وتحصينه وبناها على البحر المحيط
الذى هناك وهو على نهر سلا مقابله لها من البر القبلى وطاف تلك
البلاد وتنزه فيها ثم عاد الى مراكش وبعد هذا اختلفت الروايا
فى امره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح فى الارض
حتى انتهى الى بلاد المشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم
من يقول انه لما رجع الى مراكش كما ذكرنا توفى فى غرة جمدى الاولى
وقيل فى شهر ربيع الاخر فى سابع عشره سنة خمس وتسعين وخمسمايه
بمراكش وقيل انه مات بمدينة سلا والله اعلم ولم ينقل شى من احواله
بعد ذلك الى حين وفاته وكانت ولادته على ما ذكره هو ليلة الاربعا
رابع شهر ربيع الاول سنة اربع وخمسين وخمس مئة رحمه الله تعالى
وكان ملكا عادلا جوادا متمسكا بالشرع المطهر يامر بالمعروف كما
ينبغى من غير محاباه ويصلى بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف
ويقف للمراة والضعيف وياخذ لهم الحق واوصى على قارعه الطريق
ليترحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية يليق ان تذكر هاهنا

وهي ان الامير الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص عمر والد الامير ابي
زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقيه كان قد تزوج اخت الامير يعقوب
المذكور واقامت عنده وجرت بينهما منافرة فجات الى بيت اخيها الامير
يعقوب فبعث الامير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه فشكى الامير
عبد الواحد ذلك الى قاضي الجماعه بمراكش وهو القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور بالامير يعقوب وقال له
ان ابا محمد عبد الواحد المذكور اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير
يعقوب بمراكش وقال له انت قاضي المسلمين وقد طلبت اهلي فما جاوني
فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا امير المومنين ان الشيخ عبد
الواحد قد طلب اهله مرة وهذه الثانيه فسكت الامير يعقوب
ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد
جاء الى خدمة الامير يعقوب وقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك
مرتين وهذه الثالثه انا اطلب اهلي وقد منعوني عنهم فاجتمع القاضي
بالامير يعقوب وقال يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه
فاما ان تسير اليه اهله واما ان تعزلني عن القضا فسكت الامير
يعقوب وقيل انه قال له يا ابا عبد الله ما هذا الاجدكين ثم استدعى
خادما في السر وقال له تحمل اهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه في ذلك

النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئا يكرهه وتبع ذلك في حكم
الشرع المطهر وانفاذ اوامره وهذه حسنة تعد له وللقاضي ايضا فانه
بالغ في اقامة منار العدل وكان الامير ابي يوسف المذكور يشدد
في الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الاحيان على
شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكوا منهم الرعية وامر برفض فروع الفقه
وان العلما لا يفتون الا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ولا يقلدون احدا
من الايمة المجتهدين المتقدمين بل تكون احكامهم بما يودي اليه اجتهادهم من
استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس ولقد
ادركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا من بلادهم وهم على تلك الطريق
مثل ابي الخطاب بن دحيه واخيه ابي عمرو ومحي الدين ابن العربي نزيل دمشق
وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلاة وينادي في الاسواق بالمبادرة
اليها فمن غفل عنها واشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا وكان قد عظم ملكه
واتسعت دايرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع اقطار بلاد المغرب من البحر
المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته الى غير ذلك
في جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا
للمدح مثنيا عليه وله الف ابو العباس الجراوي كتابه الذي سماه
صفوة الادب وديوان العرب في مختار الشعر وهو مجموع ملح احسن

في اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب ننسب الدنانير اليعقوبيه
المغربيه وكان قد ارسل اليه السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن
ايوب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى رسولاً من بني منقذ في سنة سبع
وثمنين وخمس مايه يستنجده الى الفرنج الواصلين من بلاد المغرب الى الديار
المصريه وساحل الشام ولم يخاطبه بامير المومنين فعز ذلك عليه ولم
يجبه الى ما طلب منه والرسول المذكور هو شمس الدولة ابو الحرث
عبد الرحمن بن نجم الدوله بن عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق في ترجمة
عمه اسامه بن منقذ تتمه نسبته هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم
المنذري في كتاب الوفيات وقال توفي في سنة ستمايه بالقاهره
ومولده في شيزر سنة ثلث وعشرين وخمس مايه وله نظم ونثر رجعنا
الى حديث يعقوب وكان من شعرآء دولته ابو بكر يحيى بن عبد الجليل
ابن عبد الرحمن بن مجبر الاندلسي المرسي ولقد نظرت في ديوانه ووجدت
اكثر مدايحه في الامير يعقوب فمن ذلك قوله

اتراه يترك الغزلا وعليه شب واكتهلا
كلف بالغيد ما عقلت نفسه السلوان مذ عقلا
غير راض عن سجيه من ذاق طعم الحب ثم سلا
ايها اللوام ويحكم ان لي عن لومكم شغلا

ثقلت عن لومه اذن لم يجد فيها الهوا ثقلا
تسمع النجوى وان خفيت وهى ليست تسمع العذلا
نظرت عينى لشقوتها نظرات وافقت اجلا
غادة لما مثلت لها تركتنى فى الهوى مثلا
هى بزتنى الشباب فقد صار فى اجفانها كحلا
ابطل الحق الذى بيدى سحر عينيها وما بطلا
عرضت دلا فاذ فطنت بولوعى اعرضت خجلا
وبدا لى انها وجلت من هنات تبعث الوجلا
حسبت انى ساحرها اذ رات راسى قد اشتعلا
يا سراة الحى مثلكم يتلا فى الحادث الجللا
قد نزلنا فى جواركم فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباكم فلقينا الهول والوهلا
اضمنتم امن جيرتكم ثم ما امنتم السبلا
واردتم غصب انفسهم فبذلتم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوف ولم نلق تلك الاعين النجلا
عارضتنا منكم فئة احدثت فى عهدنا دخلا
ثعلبات جفونهم وهم لم يعرفوا ثعلا

اشرعوا الاعطاف ناعمةً حين اشرعنا القنا الذبلا
واستفزتنا عيونهم فخلعنا البيض والاسلا
وترامتنا بالسهام فلم نرَ الا الحلي والحللا
نصروا بالحسن فانتهبوا كل قلبٍ بالهوى خذلا
عطلتني الغيد من جلدي وانا حليتها الغزلا
حملت نفسي على فتنٍ شمتها صبرًا فما احتملا
ثم قالت سوف نتركها سلبًا للحب او نفلا
قلت اما وهي قد علقت بامير المؤمنين فلا
ماعدا تاميلها ملكًا من رآه ادرك الاملا
اودع الاحسان صفحته ماشئت ينقع الغللا
فاذا ما الجود حركه فاض في يمناه فانهملا

قلت وهي قصيدة طويلة عدد ابياتها مائه وسبع ابيات فنقتصر منها على هذا المقدار وكانت وفاة هذا الشاعر سنه ثمان وثمنين وقيل سبع وثمنين وخمس مائه بمراكش وهو ابن ثلث وخمسين سنةً ولما حضرت وفاة الامير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ونهض الى افريقيه فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهدية من نوابه وكان قد استولى عليها في مدة اشتغال الامير يعقوب بالاعدام عرك

الامير محمد بن يعقوب الى الجزيرة الاندلس فكانت وقعة العقاب في سنة تسع
وستمائة وتوفى سنة تسع وقيل عشر وستمائة والمغاربة ان محمد ابن
يعقوب المذكور اوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من
ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم اختار ان يختبر قد امره لهم فتنكر وجعل
يمشي في البستان فلما راوه جعلوه غرضا لمراميهم فجعل يقول انا الخليفه انا
الخليفه فما تحققوه حتى هلك والله اعلم بصحة ذلك ثم ولى بعده ولده ابو يعقوب
يوسف بن محمد بن يعقوب وتلقب بالمستنصر بالله ولم يكن في بني عبد المومن
احسن منه وجها ولا ابلغ في المخاطبة الا انه كان مشغوفا براحته فلم يبرح
عن حضرته فضعفت الدولة في ايامه ومات سنة عشرين وستمائة ولم
يخلف ولدا فاتفق ارباب الدولة على تولية محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد
المومن لكبر سنه ووفور عقله فلم يحسن التدبير ولا داراه اهل دولته فخلعوه
وخنقوه بعد تسعة اشهر من ولايته ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان
بالاندلس ابو محمد عبد الله بن الامير يعقوب المذكور فامتنع من بيعته وراى
انه احق بالامر من عبد الواحد وخرج الى ما في جهته من بلاد الاندلس فاستولى
عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل فلما خنق عبد الواحد بمراكش ثارت الفرنج
بالاندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا فانهزم اصحابه هزيمة شنيعة
وهرب هو فركب في البحر يريد مراكش وترك باشبيلية اخاه ابا العلا

ادريس بن الامير يعقوب وقاسى عبد الله فى طريقه الى مراكش شدايد من
من العربان فلما وصلها اضطربت عليه احواله وقبض عليه اهل مراكش
ونفاوضوا فيمن يقدمونه فوقع اختيارهم على ابى زكريا يحيى بن الناصر محمد
ابن يعقوب وهو اذ ذاك كما بقل وجهه غر لم يجرب الامور ولم يلبث
الا ايّاما قلايل حتى ورد الخبر من الاندلس بان ابا العلا ادريس بن
الامير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه اهل الاندلس ثم آل الامر
الى ان حصره العرب بمراكش واخرجوه عنهم الى جبل درن فراسل فى الباطن
جماعة من اهل مراكش ليعود اليها وقتل من بها من اعوان ابى العلا
ادريس فحضر اليها وقتل المذكورين وجاء ابو العلا من الاندلس وقد
خرج عليه بها الامير محمد بن يوسف بن هود الجذامى ودعى الى بنى العباس
فمال اليه الناس ورجعوا عن ابى العلا ادريس فانتهى الى مراكش ويحيى
بها فتواقعوا وانهزم يحيى من ابى العلا الى الجبل واستولى ابو العلا
على مراكش وجمع يحيى رجالا وقصد ابا العلا بمراكش فهزمه ابو
العلا مرارا واضعف جماعته فلجأته الضرورة الى الاستجارة بقوم
فى حصن بجهة تلمسان وكان لغلام منهم عنده ثار بابيه فرصده يوم
وهو راكب فطعنه فقتله واستبد ابو العلا بالامر وتلقب بالمامون
وكان شجاعا حازما صارما فتاكا ثم ان ابا العلا مات فى الغزو حتف

انفه ولم احقق تاريخ وفاته ثم اخبرنى بعض اهل بلادهم انه توفى سنة ثلثين
وستمائة والله اعلم واخفى موته ولده حتى دبر امره وبلغ ما امنه وهو
ابو محمد عبد الواحد بن ابى العلا ادريس وتلقب بالرشيد وتقدم بعد موت
ابيه وغلب على اخيه الاكبر واستبد بالامر وكان ابوه ابو العلا
قد ازال اسم المهدى ابى عبد الله محمد بن تومرت المقدم ذكره من الخطبة
يوم الجمعة فاعاده ولده الرشيد المذكور واستمال به قلوب جماعته
وتحبب اليهم وكان الى سنه احدى واربعين وستمائة ملك المغرب
الاقصى وبعض الاندلس ولم اعلم ما وراء ذلك حتى اذكره وبعد تسطير
هذه الترجمة كتب لى بعض اهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة وكان
من عمل بلاده
ان الرشيد المذكور توفى غريقا فى صهريج بستان له بحضرة مراكش فى
سنة اربعين وستمائة وكتم حاجبه امره مدة جهل لذلك شهر وفاته
وولى بعده اخوه لابيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو ابو الحسن على بن
ادريس ثم خرج الى ناحية تلمسان وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان مسافة
يوم واحد وقتل هناك على ظهر فرسه فى صفر سنه ست واربعين وستمائة
وولى بعده المرتضى ابو حفص عمر بن ابى ابرهيم بن يوسف فى شهر ربيع
الاخر من السنة وفى الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة
دخل ابو العلا ادريس بن ابى عبد الله بن يوسف بن عبد المومن المعروف

بابي دبوس مراكش وهرب المرتضى الى ازمور وهي من نواحي مراكش فقبض
عليه عامله بها وبعث الى الواثق بذلك فامر الواثق بقتله فقتله في العشر
الاخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له
كامه بعده عن مراكش ثلثه ايام واقام الواثق ثلث سنين وقتل في الحرب
التي كانت بينه وبين مرين ملوك تلمسان وانقضت دولة بني عبد المومن
وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين بموضع بينه وبين مراكش
مسيرة ثلثة ايام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وملكهم
الآن ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامه والله اعلم واما علي بن
اسحق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة وكان ابوه ابو ابرهيم اسحق
ابن حمو بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ابن علي ويعرف
بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقه وميورقه ويابسه وهي ثلث جزائر
متجاورة في البحر الغربي فتوفي سنة ثمانين وخمس مائة وخلف اربع بنين
وهم ابو عبد الله محمد توجه بعد موت ابيه الى الموحدين بالاندلس فاعطوه
مدينه دانيه واحسنوا اليه غاية الاحسان وابو الحسن علي وابو زكريا يحيى
خرجا الى بلاد افريقيه وفعلا الافاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من
الحروب والعيث في البلاد فمات علي ولا اعلم تاريخ وفاته لكنه كان حيا
في سنة احدى وتسعين واستمر يحيى على حاله وطالت مدته وذكر الحافظ

زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات فقال خرج ميورقه في
شعبان سنه ثمانين وخمس مائه واستولى على بلاد كثيرة وكان مشهورا
بالشجاعة والاقدام وتوفي في اواخر شوال سنه ثلث وثلثين وستمائة
في البريه من نظر تلمسان وكان خروجه على بني عبد المومن وبقي اصغر
الاخوة وهو ابو محمد عبد الله مالك ميورقه الى سنة تسع وتسعين وخمسمائه
فجهز اليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور اسطولا فنزل بساحل ميورقه
فبرز اليهم وكان شجاعا لكن بما فعثرت به فرسه فسقط الى الارض
فقتلوه وعلقوا جثته على السور وحملوا راسه الى مراكش واخذوا
ميورقه وبقيت بايديهم الى ان تغلب الفرنج عليها في سنه سبع
وعشرين وستمائة وفعلوا فيها العظايم من الاسر والقتل وغير
ذلك والله اعلم والاذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة
وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة اسم لاكبر
ملوك الفرنج وهو صاحب طليطله ٥

يعقوب المعروف بابن طهمان السلمي

ابو عبد الله يعقوب بن داود بن عثمان

ابن عمر بن طهمان السلمي بالولا مولى صالح عبد الله بن حازم
السلمي والي خراسان كان يعقوب المذكور كاتب ابرهيم بن عبد الله بن

الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم وسلامه الذي خرج
هو واخوه محمد على ابي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقتلا في سنة خمس
واربعين ومائة وقصتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضعها وكان ابو
داود بن طهمان واخوته كتابا لنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني امية
ولما مات داود نشأ ولداه المذكوران اهل ادب وفضل وافتنان في صنوف
العلم ولما ظهر المنصور على ابرهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود
المذكور فحبسه في المطبق في سنة اربع واربعين ومائة وقيل في سنة ست
واربعين قلت ولعله الاصح لان ابرهيم قتل في سنة خمس واربعين كما
ذكرناه الا ان يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل ابرهيم في اول خروجه والله اعلم
وكان يعقوب سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره
دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه اسماء الشعراء وكان
مقصودا ممدوحا مدحه اعيان شعراء عصره مثل ابي الشيص الخزاعي وسلم
الخاسر وابي حبش وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالامر ولده المهدي جعل
يعقوب يتقرب اليه حتى ادناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم
شانه حتى خرج كتابه الى الدواوين ان امير المؤمنين قد آخا يعقوب بن
داود فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر الشاعر المشهور

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود

نعم القرين على التقوى اعنت به اخوك في الله يعقوب بن داود
وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة احدى وستين
تقدم اليه بتوجيه الامنا الى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ
شيئا من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب الى الامنا بانفاذه وكان وزير
المهدي ابا عبيد الله معوية بن عبيد الله بن يسار الاشعري الطبراني صاحب
مرتعة ابي عبيد الله ببغداد وجده يسار مولى عبد الله بن عضاه الاشعري
فلم يزل الربيع بن يونس المقدم ذكره في حرف الراء يسعى به الى المهدي وصح
على ابنه الزندقة فقتله المهدي وكان الربيع قبل ذلك يقبح امره عنده
ويقول له لا تثق به بعد قتلك ابنه ويذكر كفاية يعقوب بن داود حتى
عزله عن الوزارة وافرده في ديوان الرسايل واستوزر يعقوب في سنة
ثلث وستين ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان ابو عبيد الله يصل
الى المهدي على عادته رعاية منه لخدمته فقال في ذلك علي بن خليل
الكوفي من جملة ابيات

قل للوزير ابي عبيد الله هل من باقيه
يعقوب يلعب بالامور وانت تنظر ناحيه
ادخلته فعلا عليك كذاك شوم الناصيه
واخرت حتفك جاهدا بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على امور المهدى كلها وكان المنصور قد خلف فى بيوت المال
تسع مائة الف الف درهم وستين الف درهم وكان الوزير ابو عبيد الله يشير
على المهدى بالاقتصاد فى الانفاق وحفظ الاموال فلما عزل وولى يعقوب
زين له هواه فانفق الاموال واكب على اللذات والشراب وسماع الغناء
واستقل يعقوب بالتدبير ففى ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور
المقدم ذكره فى حرف الباء ٥

بنى امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

وكان ابو حارثة يتقلد خزن بيوت الاموال فلما خلت من المال دخل الى
المهدى ومعه المفاتيح وقال له اذا نفقت الاموال فما معنى هذه المفاتيح
معى مر من يقبضها منى فقال له المهدى دعها عندك فان الاموال تاتيك
ثم سرح فى استحثاث الاموال فوردت عليه فى مدة يسيرة وقصر فى
النفقات قليلا فتوفرت الاموال وتشاغل ابو حارثة فى قبض ما ورد وتصحيحه
فلم يدخل الى المهدى ثلثة ايام فقال المهدى ما فعل هذا الاعرابى الاحمق
فخبر بالسبب فى تاخره فدعا به وقال له ما اخرك عنا فقال ورود الاموال
فقال يا احمق توهمت ان الاموال لا تاتينا فقال يا امير المومنين ان الحادث
لو حدث واحتيج له الى المال ولم يصلح الا به لم ينتظر حتى توجه فى حمل الاموال

فاذا هو

وروى ان المهدى حج في بعض السنين فمر بميل وعليه كتابة توقف وقراه

لله درك يا مهدى من رجل لولا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه اكتب تحته على رغم انف الكاتب لهذا وتعسا لجده فلما انصرف
وقف على الميل فقلنا لم يقف عليه الاشى قد علق بقلبه من ذلك الشعر
فكان كذلك لانه اوقع بيعقوب وكثرت الاقوال فيه ووجدوا اعداوه
مقالا فيه فقالوا وذكروا خروجه على المنصور مع ابرهيم بن عبد الله العلوى
وعن فه بعض خدمه انه سمعه يقول بنى هذا الرجل متنزها انفق عليه
خمسين الف الف درهم من اموال المسلمين وكان المهدى قد اراد امرا فقال
له يعقوب هذا يا امير المومنين السرف فقال له ويلك وهل يحسن السرف
الا باهل الشرف وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه وسال المهدى الاقاله
وهو ممتنع ثم ان المهدى اراد ان يمتحنه في ميله الى العلوية فدعى به يوما وهو
في مجلس فرشه موردة وعليه ثياب موردة وعلى راسه جاريه عليها
ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الورد فقال
له يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا فقال على غاية الحسن متع الله امير المومنين
به فقال له جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد امرت لك
بمائة الف درهم فدعا له فقال المهدى لى اليك حاجة فقام يعقوب قايما وقال
يا امير المومنين ما هذا القول الا بموجده وانا استعيذ بالله من سخطك فقال

احب ان تضمن لي قضاوها فقال له السمع والطاعة فقال له والله فقال
والله ثلثا فقال له ضع يدك على راسي واحلف به ففعل ذلك فلما استوثق
منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية احب ان تكفيني مؤونته
وتريحني منه تحته فاخذ فحوّله اليه وحوّل الجارية وما كان في المجلس
من المال فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل اليها
ووجّه فاحضر العلوي فوجده لبيبا فهما فقال له ويحك يا يعقوب تلقى
الله تعالى بدمي وانا رجل من ولد فاطمة عليها السلم ابنة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال له يعقوب يا هذا افيك خير فقال ان فعلت معي خيرا
شكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ اي طريق شئت فقال
طريق كذا وكذا آمن لي فقال امض مصاحبا وسمعت الجارية الكلام فوجهت
بعض خدمها به وقالت له هذا فعل الذي اثرته على نفسك بي وهذا جزاوك
منه فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ثم وجه الى
يعقوب فاحضره فلما راه قال له ما حال الرجل فقال له قد اراحك الله
منه قال مات قال نعم قال والله قال والله قال فضع يدك على
راسي فوضع يده على راسه وحلف له بالله فقال يا غلام اخرج الينا من في
هذا البيت ففتح بابه عن العلوي بعينه والمال فبقي يعقوب متحيرا وامتنع
الكلام عليه فما درى ما يقول فقال له المهدي لقد حل دمك ولو اثرت

اراقته لا ارقته ولكن احبسوه في المطبق فحبسوه وامر ان يطوى عنه خبره وعن
كل احد فاقام فيه سنتين وشهورًا في ايام المهدي وجميع ايام الهادي
موسى بن المهدي وخمس سنين وشهورًا من ايام هرون الرشيد ثم ذكر يحيى
ابن خالد البرمكي امره فشفع فيه وامر باخراجه فاخرج وقد ذهب بصره
فاحسن اليه الرشيد ورد عليه ماله وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة
فاذن له في ذلك فاقام بها حتى مات في سنة سبع وثمنين ومايه ولما اطلق
يعقوب سال عن جماعة من اخوانه فاخبر بموتهم فقال

لكل اناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
هم جيرة الاحياء اما محلهم فدان واما الملتقى فبعيد

قلت هذان البيتان في كتاب الحماسة في باب المراثي قلت هكذا ذكر تاريخ
وفاته ابو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه
تاريخ الوزرا وذكر غيره ان يعقوب بن داود مات سنة اثنين وثمنين
ومايه والله اعلم بالصواب وقال عبد الله بن يعقوب بن داود اخبرني ابي
ان المهدي حبسه في بئر وبنى عليها قبة قال فمكث فيها خمسة عشر سنة
وكان يدلى الي كل يوم رغيف خبز وكوز ماء واذن في اوقات الصلاة
فلما كان في راس ثلثة عشر سنة اتاني آت في منامي فقال

حنى على يوسف رب فاخرجه من قعر جب وبيت حوله غمم

قال فلما سمعت هذا البيت حمدت الله تعالى وقلت اتاني الفرج ثم مكث حولا لا ادري شيا فلما كان راس الحول الثاني اتاني ذلك الاتي فانشدني

عسى فرج ياتي به الله انه له كل يوم في خليقته امره

قال ثم اقمت حولا اخر لا ادري شيا ثم اتاني ذلك الاتي بعد الحول فانشدني

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراه فرج قريب

فيامن خايف ويفك عان وياتي اهله النائي الغريب

فلما اصبحت نوديت ظننت اني اوذن بالصلاة فدلي لي حبل اسود فانطلقوا بي فادخلوني الى الرشيد فقيل لي سلم على امير المومنين فقلت السلم عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته المهدي فقال لست به فقلت السلم عليك ورحمة الله وبركاته الهادي فقال لست به فقلت السلم عليك ورحمة الله وبركاته الرشيد فقال الرشيد ثم قال يا يعقوب بن داود انه والله ما شفع فيك الي احد غير اني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت به فاخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير ويلاعبه ولما حبس المهدي يعقوب رتب ابا يعقوب ابا جعفر الفيض بن ابي صالح وكان من غلمان عبد الله بن المقفع وكان شديد الكبر وكان ابو نصر انيا وفيه يقول الشاعر

يا حاجبي عن حاجتي ظالما احوجك الله الى الفيض

ذاك الذی تانیك معروفه كانه تمشی علی البیض ۝

وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها میم وبعد الالف نون

وكانت ولادة ابی عبد الله معوية الاشعری فی سنة مایه وتوفی فی سنة

سبعین ومایه وقیل سنة تسع وستین وقیل مات فی الوقت الذی مات

فیه موسی الهادی وكانت وفاته ببغداد ودفن فی مقابر قریش وتوفی

الفیض فی سنة ثلث وسبعین ومایه وتولی الوزاره بعد الربیع بن یونس

وقد تقدم ذكره فی ترجمته وقد تقدم فی ترجمة بشار بن برد الشاعر ذكر

یعقوب بن داود وانه اعان علی قتله ولما مات یعقوب رثاه ابو حنش الهلالی

وقیل التمیری واسمه خضیر بن قیس البصری وعاش مایه سنة بابیات هی

فی كتاب الحماسة واولها ۝

یعقوب لا تبعد وجنبت الردی فلیبكین زمانك الرطب الثری

الوزیر یعقوب ابن كلس

ابو الفرج یعقوب بن یوسف بن ابرهیم

ابن هرون بن داود بن كلس وزیر العزیز نزار بن المعز العبیدی صاحب مصر

المقدم ذكرهما كان یعقوب اولا یهودیا یزعم انه من ولد هرون بن عمران اخی موسی

ابن عمران علیهما السلم وقیل انه كان یزعم انه من ولد السموال بن عادیا الیهودی

صاحب الحصن المعروف بالابلق وهو المشهور بالوفا وقصته مع امرئ القیس

الكندي الشاعر المشهور مستفاضة بين العلماء له بالوفاء في وقايعه وكان
يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشا بها عند باب القز وتعلم الكتابة
والحساب وسافر به ابوه من بغداد الى الشام وانفذه الى مصر سنة احدى
وثلثين وثلثمئة فانقطع الى بعض خواص الاستاذ كافور الاخشيدي المقدم
ذكره فجعله كافور على عمارة داره ثم صار ملازما لباب داره فراى كافور
من نجابته وشهامته وصيانته ونزاهته وحسن ادراكه ما نفق عليه فاستحضره
واجلسه في ديوانه الخاص فكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الاعمال
والحسبانات وكان يدخل يده في كل شيء ثم لم تزل احواله تتزايد
مع كافور حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له ويكرمونه ولم تطلع
نفسه الى اكتساب مال وارسل له كافور شيا فرده عليه واخذ منه
القوت خاصة وتقدم كافور الى ساير الدواوين ان لا يمضي درهم او دينار
الا بتوقيعه فوقع في كل شيء وكان يبر ويصل من السير الذي ياخذه
هذا كله وهو على دينه ثم انه اسلم يوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من
شعبان سنة ست وخمسين وثلثمئة ولزم الصلوة ودراسة القرآن الكريم
ورتب لنفسه رجالا من اهل العلم شيخا عارفا بالقرآن المجيد والنحو
حافظا كتاب السيرافي فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرا عليه ولم يزل
حاله ينمي ويتزيد مع كافور الى ان توفي كافور في التاريخ المذكور في ترجمته

وكان ابو الفضل جعفر بن الفرات المقدم ذكره في حرف الجيم وزير كافور يحسده
ويعاديه فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتاب والدواوين وقبض
على يعقوب بن كلس في جملتهم فلم يزل يتوصل ويبذل المال حتى افرج عنه
فلما خرج من الاعتقال اقترض من اخيه ومن غيره مالا وتجمل به وسار مستخفيا
قاصدا بلاد المغرب فلقي القايد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز
العبيدي المقدم ذكره في الطريق وهو متوجه بالعساكر والخزاين الى
الديار المصرية ليملكها فرجع في الصحبة وقيل انه استمر على قصده وانتهى
الى قصده بافريقيه وتعلق بخدمة المعز بن معد العبيدي المقدم ذكره ثم رجع
الى الديار المصريه ولم يزل يترقى الى ان ولي الوزارة للعزيز بن المعز معد
وعظمت منزلته عنده واقبلت عليه الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا
بابه ومهد قواعد الدولة وساس امورها احسن سياسة ولم يبق لاحد
معه كلام وكان في ايام المعز يتصرف في الخدم الديوانيه ثم انتقل
الى العزيز بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان سنة
ثمان وستين وثلثمايه وقال ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر المعز وتاريخ
وفاته ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كلس وهو اول من وزر
للدولة الفاطميه بالديار المصريه وكان من جملة كتاب كافور فلما وصل المعز
احسن في خدمته وبالغ في طاعته الى ان استوزره هذا اخر كلام ابن زولاق

وقال غيره كان يعقوب يحب اهل العلم ويجمع عنده العلما ورتب لنفسه
مجلسا في كل ليلة جمعة يقرا فيه بنفسه مصنفاته على الناس ويحضره
القضاه والفقها والقرا والنحاه وجميع ارباب الفضايل واعيان
العدول وغيرهم من وجوه الدوله واصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه
قام الشعرا ينشدونه المدايح وكان في داره قوما يكتبون القران الكريم
وآخرين يكتبون الحديث والفقه والادب حتى الطب ويعارضون
ويشكلون المصاحف وينقطونها وكان من جملة جلسايه الحسين بن
عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الاسجاع ورتب في
داره القرا والايمه يصلون في مسجد اتخذه في داره واقام في داره
المطابخ لنفسه ولجلسايه ومطابخ لغلمانه وحاشيته واتباعه وكان
ينصب كل يوم خوان لخاصته من اهل العلم والكتاب وخواص
اتباعه ومن يستدعيه وينصب موايد عدة تاكل عليها الحجاب
وبقيه الكتاب والحاشيه وعمل في داره ميضاة الطهور ثمان بيوت
تختص بمن يدخل في داره من الغربا وكان يجلس كل يوم عقيب صلوة
الصبح وتدخل عليه الناس للسلم وتعرض عليه رقاع الناس في
الحوايج والظلامات وقرر عند مخدومه العزيز جماعة قوادا ركبون
بالمراكب والعبيد ولا يخاطب واحدا منهم الا بالقايد وكان في جملة

هولاء القواد القايد ابو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب اليه منية القايد
فضل وهي بلده بالاعمال الجيزيه بالديار المصريه ثم ان الوزير المذكور شرع
في تحصين داره ودور غلمانه بالدروب والحرس والسلاح والعدد وعمرت
ناحيته بالاسواق واصناف ما يباع من الامتعه ومن المطعوم والمشروب
والملبوس ويقال ان داره بالقاهره كانت في موضع مدرسه صفي الدين
ابي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر المختصه بالطايفة المالكية
وان الحاره المعروفه بالوزيريه التي بالقاهره داخل باب سعاده منسوبه
الى اصحابه لانهم كانوا يسكنونها وكان الوزير ابو الفضل بن الفرات
المقدم ذكره يغدو اليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين
يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معهم في مجلسه وربما حبسه ليوا
فياكل معه بعد ان جرى عليه منه ما سبق ذكره وكانت هيبته عظيمة وجوده كلته
وافرا واكثر الشعراء من مدايحه ولقد نظرت في ديوان ابي حامد احمد
ابن محمد الانطاكي المنبوز بابي الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت اكثر
مدايحه في الوزير المذكور ورايت في تاريخ الامير المختار عز الملك محمد بن
ابي القسم المعروف بالمسبحي المقدم ذكره فصلا طويلا يتعلق بشرح حال الوزير
المذكور ومعظم ما ذكرته هاهنا نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتابا
في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة

تسع وستين وثلثمائة مجلساً حضره الخاص والعام وقرا فيه الكتاب بنفسه
على الناس وحضر في هذا المجلس الوزير ابو الفضل بن الفرات المذكور وجلس في
الجامع العتيق جماعة يفتنون الناس من هذا الكتاب وسمعت جماعة من المصريين
يقولون ان الوزير المذكور كانت له طيور فايقة اصله مختاره تسبق كل
طاير بسابقها وكان لمخدومه العزيز طيور ايضا سابقة فاخرة فسابقه
العزيز يوماً ببعض الطيور فسبق طاير الوزير فعز ذلك على العزيز ووجد
اعداؤه سبيلا الى الطعن فيه فقيل للعزيز انه قد اختار من كل شي احوكه
ومن كل صنف اعلاه ولم يبق لك الا ادناه حتى الحمام وقصدوا بذلك
الاغرا منهم به حسدا لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكتب
الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذي له العلا والنسب الثاقب
طايرك السابق لكنه جاء وفي خدمته حاجب

فاعجبه ذلك منه وسري عنه ما كان وجد عليه هكذا ذكره القاضي
الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في كتاب الجنان وذكر غيره ان هذين
البيتين لولي الدوله ابي محمد احمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب
الشاعر المصري وقد تقدم ذكره في ترجمة ابي الحسن علي بن احمد بن نوبخت
الشاعر وانما لم افرده بترجمة لانني لم اظفر بتاريخ وفاته وقد التزمت

في هذا الكتاب انني لا اذكر الا من قد وقفت على تاريخ وفاته وذكر ابو القسم
علي بن منجب بن سليمن الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه
الاشاره الى من نال الوزاره ذكر فيه وزراء المصريين الى عصره وابتدا بابن كلس
يعقوب المذكور فقال كان كاتبا يهوديا صاينا لنفسه حافظا على دينه
جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه واتصل بخدمة كافور الاخشيدي بحمل
خدمته ورد اليه زمام دواوينه بمصر والشام فضبطه له على حسب ارادته
وكان سبب حظوته عنده ان يهوديا قال له ان في دار ابن البكري بالرملة
ثلاثين الف دينار مدفونة وقد توفي فكتب يعقوب الى كافور رقعة يقول
فيها ان في دار ابن البكري بالرملة عشرين الف دينار مدفونة في موضع
اعرفه وانا اخرج احملها فاجابه الى ذلك وانفذ معه البغال يحملها فورد
الخبر بكسر بن هرواز التاجر فحمل اليه النظر في تركته واتفق موت يهودي
بالفرما ومعه احمال كتان فاخذها وفتحها فوجد فيها عشرين الف دينار
فكتب الى كافور بذلك فتبرك به وكتب اليه يحملها فباع الكتان وحمل الجميع
وسار الى الرملة فحفر الدار التي لابن البكري واخرج المال وهو ثلثون
الف دينار فكتب الى كافور عرفت الاستاذ انها عشرون الف دينار
فوجدتها ثلثون الف دينار فازداد محله من قبله وتصور بالثقة ونظر
في تركة بن هرواز واستقصى وحمل منها مالا كثيرا فارسل اليه كافور صلة كبيرة

فاخذ منها الف دينار ورد الباقي وقال هذه كفايتي فزاد امره عنده حتى انه
كان يشاوره في اكثر اموره   وقال عبد الله اخو مسلم العلوي رايت
يعقوب قايما يسارّ كافور فلما مضى قال لي اي وزير جنبيه وسار الى
المغرب وخدم المعز وتولى امور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان
وستين وثلثمايه ولقبه بالوزارة وامر ان لا يخاطبه احد الا بها ولا
يكاتب الا به لذلك ثم اعتقله في سنة ثلث وسبعين وثلثمايه في القصر واقام
معتقلا شهورا ثم اطلقه في سنة اربع وسبعين ورده الى ما كان عليه ووجد
رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين وثلثمايه وهي السنة التي
توفي فيها نسختها ٥

احذروا من حوادث الازمان وتوقوا طوارق الحدثان
قد امنتم من الزمان ونمتم رب خوف مكمن في امان

فلما قراها قال لا حول ولا قوة الا بالله واجتهد ان يعرف كاتبها فلم يقدر
على ذلك ولما اعتل علة الوفاة اخر السنة المذكورة ركب اليه العزيز
عايدا وقال له وددت لو انك تباع فابتاعك بملكي او تفدى فافديك
بولدي فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما
فيما يخصني فانت ارعى لحقي من ان استرعيك اياه وارأف على من
اخلفه من ان اوصيك به ولكني انصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم

الروم ما سالموك واقنع من الحمدانيه بالدعوه والسكه ولا تبقى على مفرج
ابن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيه فرصه ومات فامر العزيز ان يدفن
في داره وهي المعروفه بدار الوزاره بالقاهره داخل باب النصر في قبه كان بناها
وصلى عليه والحده بيده في قبره وانصرف حزينا لفقده وامر بغلق الدواوين
اياما بعده وكان اقطاعه من العزيز كل سنه مايه الف دينار ووجد له من
العبيد والمماليك اربعة آلف غلام ووجد له جوهر باربع مايه الف دينار
وبز من كل صنف بخمس مايه الف دينار وكان عليه للتجار ستة عشر الف
دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره وذكر الحافظ بن
عساكر في تاريخ دمشق فقال كان يهوديا من اهل بغداد خبيثا ذا مكر
وله حيل ودهاء وفيه فطنه وذكاء وكان في قديم امره خرج الى الشام
فنزل الرمله وصار بها وكيلا فكسر اموال التجار وهرب الى مصر فتاجر كافورا
الاخشيدي فراى منه فطنه وسياسه ومعرفه بامر الضياع فقال لو كان
مسلما لصلح ان يكون وزيرا فطمع في الوزاره فاسلم يوم جمعه في جامع مصر فلما
عرف الوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات امره قصده فهرب الى المغرب
واتصل بيهود كانوا مع المعز وخرج معه الى مصر فلما مات المعز قام ولده
العزيز استوزر بن كلس المذكور في سنه خمس وستين وثلثمايه فلم يزل مدبر
امره الى ان هلك في ذي الحجه سنه ثمانين وثلثمايه وقال غيره ابتدا المرض

بالوزير المذكور يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين
وثلثمايه واخذته سكتة ثم تزايد به المرض واشتد وانطلق لسانه
ثم توفي يوم الخميس لخمس خلون من ذي الحجة من السنة المذكورة وكفن في خمسين ثوبا
واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهرا
وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته الا يركب الا بها وصلى عليه
وبكى وحضر مواراته وقيل انه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار
وذكر من سمع العزيز وهو يقول باطول اسفي عليك يا وزير وبكى عليه
القايد جوهر بكا شديدا وانما كان بكاوه على نفسه لانه عاش بعده
سنة واحدة وغدا الشعراء الى قبره وقال انه رثاه مايه شاعر واخذ
قصايدهم واجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام
والصحيح انه اسلم وحسن اسلامه وقال يوما وقد ذكر اليهود في مجلسه
كلاما يسوء اليهود سماعه ثم ذكر عوراتهم وفساد مذهبهم وانهم على غير
شيء وان اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يجحدونه وكانت
ولادته في سنة ثمان عشرة وثلثمايه ببغداد عند باب القز رحمه الله
تعالى وكلس بكسر الكاف واللام المشددة والسين المهملة والسموال بن عاديا
بالسين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام
وعاديا بعين مهملة وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناه

مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة واما القايد جوهر فقد تقدم ذكره
في ترجمته واما القايد فضل فانه كان رجلا نبيلا كريما ممدحا وفيه المذكور
يقول ابو القسم عبد الغفار شاعر دولة العزيز وقيل الحاكم بن العزيز

انما الفضل غرة في وجوه المدايح
اريحي رباحه عبقات الروايح
كعبة الجود كفه بين غاد ورايح
انما تصلح الامور برأي ابن صالح

وكان مكينا في دولة الحاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضرب عنقه
في مجلسه يوم السبت عشية لاحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة
سنة تسع وتسعين وثلثمايه ولم يظهر منه جزع ولف في حصير
واخرج من الحجرة التي كان محبوسا بها رحمه الله تعالى ٥

ابو البقا يعيش

ابو البقا يعيش بن علي بن يعيش

ابن ابي السرايا بن محمد بن علي المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان
القاضي بن بشر بن حيان الاسدي الموصلي الاصل الحلبي المولد والمنشا
الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصايغ قرا النحو على ابي السخا
فتيان الحلبي وابو العباس المغربي التبريزي وسمع الحديث على

ابى الفضل عبد الله بن احمد الخطيب الطوسى بالموصل وعلى ابى محمد عبد الله بن
عمر بن سويه التكريتى وحلب من ابى الفتح يحيى بن محمود الثقفى والقاضى
ابى الحسن احمد بن محمد بن الطرسوسى وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسرانى
وبدمشق على تاج الدين الكندى وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضلا
ماهرا فى النحو والتصريف رحل من حلب فى صدر عمره قاصدا بغداد
ليدرك ابا البركات عبد الرحمن بن محمد بن الانبارى المقدم ذكره
وتلك الطبقه بالعراق وبلاد الجزيرة فلما وصل الى الموصل بلغه خبر وفاته
وقد ذكرت تاريخ موته فى ترجمته فاقام بالموصل مدة وسمع الحديث بها
ثم رجع الى حلب ولما عزم على التصدر للاقراء سافر الى دمشق واجتمع
بالشيخ تاج الدين الكندى الامام المشهور وقد تقدم ذكره فى حرف الزاى
وساله عن مواضع مشكلة فى العربية وعن اعراب ما ذكره ابو محمد
الحريرى فى المقامة العاشرة المعروفه بالرحبيه وهو قوله حتى اذا
لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الصبح وحان فاستبهم
جواب هذا المكان على الكندى هل الافق وذنب السرحان مرفوعان
ام منصوبان او الافق مرفوع وذنب السرحان منصوب او على العكس
وقال له قد علمت قصدك وانك اردت اعلامى مكانك من هذا العلم
وكتب له خطه بهذه والثنا عليه ووصف تقدمه فى الفن الادبى

قلت وهذه المسئلة يجوز فيها الامور الاربعة المخنات منها نصب الافق ورفع ذنب السرحان وقد ذكر ذلك تاج الدين ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقدم ذكره المعروف بالبندهي في كتاب شرح المقامات ولولا خوف الاطالة لبينت ذلك ولما وصلت الى حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولي اليها يوم الثلثا مستهل ذى القعده سنة ست وعشرين وستمئة وهى اذ ذاك مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الادب لم يكن فيهم مثله فشرعت في القراة عليه وكان يقرى بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا وهم ملازمون مجلسه في وقت الاقراء لا يفارقونه وابتدات بكتاب اللمع لابن جنى فقرات عليه معظمها مع سماعي لدرس الجماعة الحاضرين وذلك في اواخر سنة سبع وعشرين وما اتممتها الاعلى غيره لعذر اقتضى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدى والمنتهى وكان خفيف الروح طريف الشمايل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوما حلقته وبعض الفقها يقراء عليه اللمع لابن جنى فقراء بيت ذى الرمه في باب الندا

اناظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا انت ام ام سالم

فقال له الشيخ ان هذا الشعر لشدة ولهه في المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة

ام سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح
الوجوه بالغزلان والمها واشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة ام ظبية
واطال الشيخ موفق الدين الغول في ذلك وبسطه باحسن عبارة بحيث يفهمه البليد
البعيد الفهم وكذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من رآه
على تلك الصورة انه قد تحقق جميع ما قاله فلما فرغ الشيخ من شرحه قال له
الشيخ يا مولانا ايش في المرأة الحسناء يشبه الظبية فقال له الشيخ قول
منبسط تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما
عدت رايته حضر مجلسه قلت وجلاجل بفتح الجيم وضمها اسم مكان
والثانية جيم ايضا وكنا يوما نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية فجاء رجل
من الاجناد ومعه مسطور بدين وكان الشيخ له عادة بالشهادة في الكاتب
الشرعية فقال له يا مولانا اشهد علي في هذا المسطور فاخذه الشيخ من يده
وقرا اوله فاذا فيه اقرت فاطمة فقال له الشيخ انت فاطمة فقال له الجندي
لا يا مولانا الساعة تحضر الى باب المدرسة فاحضرها وهو يتبسم من كلام
الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي ان شخصا
دخل عليه ومعه امراة فقال ايكما الشعبي فقال له هذه وكنا يوما نقرا عليه
في داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فشربه ثم قال ما هذا
الا ماء باردا فقال له الشيخ لو كان خبزا حارا كان احب اليك وكنا عنده

يوما بالمدرسة النواجية فجاء المؤذن واذن قبل العصر بساعة جيدة فقال
له الحاضرون ايش هذا يا شيخ واين وقت العصر فقال الشيخ دعوه عسى ان
يكون له شغل فهو مستعجل وكان يوما عند القاضي بهاء الدين المعروف
بابن شداد قاضي حلب الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقا اليمامه
وانها ترى الشي من المسافه البعيده حتى قيل تراه من مسافه ثلثه ايام
فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك فقال الشيخ موفق الدين انا
ارى الشيء من مسافه شهرين فتعجب الكل من قوله وما امكنهم ان يقولوا له شيا
فقال له القاضي كيف هذا يا موفق الدين فقال اني ارى الهلال فقال له
قل مسافه كذا وكذا سنه قال لو قلت هذا عرف الجماعه الحاضرون غرضي
وكان قصدي الابهام عليهم وله نوادر كثيره يطول ذكرها وكنت يوما
عنده وقد قدم من الموصل رجلا من فضلاء المغاربه في علم الادب
فحضر حلقته وبحث في دروسه بحث رجل فاضل وجرى ذكر مباحث
جرت له بالموصل مع جماعة من ادبائها وقال كنت عند ضيا الدين
نصر الله بن الاثير الجزري قلت وقد تقدم ذكره قال فتجارينا وتناشدنا
فانشدته قول بعض المغاربة قلت هذه الابيات ذكر ابو اسحق الحصري
انها لبعض مشايخ القيروان رواها عنه ولم يعينه وهي
ومعذرين كان نبت خدودهم اقلام مسك تستمد خلوقا

رنوا البنفسج بالشقيق ونضدوا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

قلت ونصف البيت الثاني من قول ابن الذروي المصري في ابياته التي تقدم ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله

جلاحت ياقوت اللمى ثغر لؤلؤ رطيب وابدى شاربًا من زمرد

ومن المنسوب الى ابي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي المقدم ذكره في حرف الحاء

جوهري الاوصاف تقصر عنه كل ذهن دقيق

شارب من زمرد وثنايا لولوء فوقها فم من عقيق

وذكرت بهذه الابيات بيتين كنت احفظهما وحسن ذكرهما بعد هذا وهما

لما وقفنا للوداع وصار ما كنا نظن من النوى تحقيقا

نثروا على ورق الشقايق لؤلؤا ونثرت من فوق البهار عقيقا

وكذلك بيت الواوا الدمشقي

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردًا وعضت على العناب بالبرد

وكذلك قول محمد بن سعيد العامري الدمشقي وقيل انها لابن كيغلغ

لما اعتنقنا للوداع واعربت عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين معاجر ومحاجر وجمعن بين بنفسج وشقايق

وانا الفداء لظبية احداقنا موصولة من وجهها بحدائق

قلت وقد قيل في هذا الباب شي كثير فلا حاجة الى الاطالة وشرح الشيخ موفق الدين كتاب المفصل للزمخشري شرحا مستوفا ليس في جملة الشروح مثله وشرح تصريف الملوكي لابن جني شرحا مليحا وانتفع به خلق كثير من اهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلث خلون من شهر رمضان سنه ثلث وخمسين وخمس مايه بحلب وتوفي في سحر الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنه ثلث واربعين وستمئة ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب الى ابرهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه رحمه الله تعالى

يموت بن المزرع

ابو بكر يموت بن المزرع بن يموت

ابن عيسى بن موسى بن سنان بن حكيم بن جبله بن حصن بن اسود بن كعب ابن عامر بن عدي بن الحرث بن الديل بن عمرو بن غنم بن وديعه بن لكيز ابن افصى بن عبد القيس بن افصى بن دعمي بن جديله بن اسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان العبدي البصري قلت وجدت في كتاب جمهرة النسب تاليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبله المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وعلى الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم بن جبله المذكور

يموت بن المزرع بن يموت وساق نسبه على هذه الصورة حتى الحقه بحكيم
ابن جبله المذكور والعهدة عليه في ذلك ورايت بخطي في مسودة ابي
يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيار بن المزرع بن الحرث بن ثعلبه
ابن عمرو بن ضمرة بن دهاث بن وديعه بن بكر بن وديعه بن بكر بن لكيز
ابن افصى المذكور والله اعلم بالصواب في ذلك وكان يموت قد سمى نفسه
محمدا وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ثم
ذكره في حرف الياء فقال هو يموت وهو ابن اخت ابي عثمان الجاحظ وقد
تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة احدى وثلثمايه وهو
شيخ كبير وحدث بها عن ابي عثمان المازني وابي حاتم السجستاني وابي
الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي وعبد الرحمن بن اخي الاصمعي
ومحمد بن يحيى الازدي وابي اسحق ابرهيم بن سفيان الزيادي وغيرهم
روى عنه ابو بكر الخرايطي وابو الميمون بن راشد وابو الفضل العباس
ابن محمد الرقي وابو بكر بن مجاهد المقرى وابو بكر بن الانباري وغيرهم
كان اديبا اخباريا وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضا خوفا من ان يتطير
من اسمه وكان يقول بليت بالاسم الذي سماني ابي به فاني اذا عدت
مريضا فاستاذنت عليه فقيل من هذا فاقول ابن المزرع واسقطت
اسمي ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله ٥

انت يحيى والذى يكره ان تحى يموت

انت صنو النفس بل انت لروح النفس قوت

انت للحكمة بيتا لا خلت منك البيوت

فمن اخباره انه قال اخبرنى ابو الفضل الرياشى قال سمعت الاصمعى يقول كان سخط هرون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فى سنه ثمان وثمانين ومايه ولقد كنت عند الرشيد واتى بعبد الملك يرفل فى قيوده فلما نظر الرشيد اليه قال له الرشيد ايه يا عبد الملك كانى والله انظر الى شوبوبها قد همع والى عارضها وقد لمع وكانى بالوعيد قد اقلع عن براجم بلا معاصم ورووس بلا غلاصم مهلا مهلا بنى هاشم فبى والله سهل لكم الوعر وصفى لكم الكدر والقت اليكم الامور اثنا ازمتها فخذوا احداركم منى قبل حلول داهيه حوط باليد والرجل فقال له عبد الملك افردا اتكلم ام تواما فقال بل تواما فقال اتق الله يا امير المومنين فيما ولاك وراقبه فى رعاياك الذى استرعاك فقد سهلت والله لك الوعود وجمعت على خوفك ورجايك الصدور وكنت كما قال اخو بنى جعفر بن كلاب

ومقام ضيق فرجته بلسان وبيان وجدل

لو يقوم الفيل او فياله زل عن مثل مقامى وزحل

قال فاراد يحيى بن خالد البرمكي ان يضع مقدار عبد الملك عند الرشيد
فقال له يا عبد الملك بلغني انك حقود فقال اصلح الله الوزير ان يكن الحقد
بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي قال الاصمعي فالتفت الرشيد
الي فقال والله ما احتج احد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم امر به فرد الى محبسه
قال الاصمعي فالتفت الرشيد الي وقال والله يا اصمعي لقد نظرت الى موضع
السيف من عنقه مرارا يمنعني من ذلك ابقاء على قومي في مثله قلت
وعبد الملك بن صالح قد ذكرته في ترجمة ابي عبادة الوليد البحتري
الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته وروى يموت بن المزرع ايضا ان
احمد بن محمد بن عبيد الله ابا الحسن الكاتب المعروف بابن المدبر الستميساني
كان اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد
الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم اطلقه فتحاماه الشعراء
الا الافراد المجيدين فجاءه ابو عبد الله الحسين بن عبد الله المصري المعروف
بالجمل فاستاذنه في النشيد فقال له عرفت الشرط قال نعم ثم انشده

اردنا في ابي حسن مديحا كما بالمدح تنتجع الولاة
وقلنا اكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفراة
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي عيالي انما الشان الزكاة

فيا مُرسا بكسر الصادِ منها فتصبحَ لى الصلاةُ هى الصِّلاتُ

فضحك ابن المدبّر واستطرفه وقال من اين اخذتَ هذا فقال من قول ابى تمّامٍ الطائى

هنّ الحمام فان كسرت عيافةً من حايهنّ فانّهنّ حِمامُ

فاستحسن ذلك واحسن صِلَتَه وكان احمد بن المدبّر يتولى الخراج بمصر فحبسه احمد بن طولون فى سنة خمس وستّين ومايه ومات فى حبسه فى صفر سنة سبعين وقيل بل قتله ابن طولون والله اعلم والمدبّر بكسر الباء الموحّدة المشدّدة وحدّث ابن المرزبان ايضا عن حالة ابى عثمن الجاحظ انه قال طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالورّاق وكانت تُسمّى نَشْوى وكان شديد الغرام بها وبذل فى ثمنها سبعة آلف دينار فامتنع محمود من بيعها لانه كان يهواها فلمّا مات محمود اشتريت الجاريه للمعتصم من تركته بسبع مايةِ دينار فلمّا دخلت عليه قال لها كيف رايت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلف بسبعمايه دينار فالت اجل اذا كان الخليفه ينتظر لشهواته المواريث فانّ سبعين دينارًا لكثيرة فى ثمنى فضلًا عن سبعمايه فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المرزبع حدّثنى من رأى قبرًا بالشام عليه مكتوب لا تغترنّ احدًا بالدنيا فانّى ابن من كان يطلق الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء وبحذايه قبر مكتوب

عليه كذب الناس بضرامه لا نظن احدًا انه ابن سليمان بن داود عليه السلم
انما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر قال فما رأيت قبلها قبر ان
يتشاتمان والله اعلم ولابن المزرع اخبار وحكايات ونوادر كثيرة ولسنا
نقصد الاطالة بل الايجاز حسب الامكان الامكان الا ان الكلام ينتشر وكان
له ولد يدعى ابا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعرًا مجيدًا ذكره
المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال في حقه هو من
شعراء هذا الزمان وهو سنه اس وثلثين وثلثمايه وفيه يقول ابوه
مخاطبا له

مهلهل قد حلبت شطور دهري   وكافحني بها الزمن العموت
وحاربت الرجال بكل ربع   فاذعن لي الرشاله والرتوت
فارجع ما اجن عليه قلبي   كريم غثه زمن غتوت
كفى حزنا بصنعة ذي قديم   وابناء العبيد لها البخوت
وقد اسهرت عيني بعد غمض   مخافة ان يضيع اذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء   بمثلك ان فنيت وان بقيت
فجب في الارض وابغ بها علوما   ولا يقطعك جاليه سبوت
وان بخل العليم عليك يوما   فذل له ودين نك السكوت
وقل بالعلم كان ابي جوادا   يقال ومن ابوك فقل يموت

تقرّ لك الاباعد والاعادي بعلمٍ ليس تجحده البهوت

وكان يموت قد قدم مصر مرارا وآخر قدومه اليها في سنه ثلث وثلثمايه وخرج في سنة اربع وثلثمايه قال ابو سعيد بن يونس الصدفي المصري في تاريخه المختص بالغرباء مات يموت بن المزرّع سنة اربع وثلثمايه بدمشق وقال ابو سليمن بن زبر في تاريخه انه مات في سنه ثلث وثلثمايه بطبرية الشام والله اعلم واما ولده مهلهل فان الخطيب ذكره في تاريخ بغداد وقال هو شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره ابو بعضيه ابرهيم بن محمد المعروف بتوزون ثم قال الخطيب اخبرنا التنوخي قال لنا ابو الحسين احمد بن محمد بن العباس الاخباري حضرت في سنة ست وعشرين وثلثمايه مجلس تحفه القوّاله جارية ابي عبد الله بن عمرو البازيار والى جانبي عن يساري ابو نضله مهلهل ابن يموت بن المزرّع وعن يميني ابو القسم بن ابي الحسن البغدادي فغنت تحفه من وراء الستارة

بي شغل به عن الشغل عنه بهواه وان تشاغل عني

ظن بي جفوة فاعرض عني وبدا منه ما تخوف مني

سره ان اكون فيه حزينا فسروري اذا تضاعف حزني

فقال لي ابو نضلة هذا الشعر لي فسمعه ابو القسم وكان يتحرق على ابي نضلة

فقال قل له ان كان الشعر له زيد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال

هو في الحسن فتنة قد اصارت فتنى في هواه من كل فن

ومن المنسوب الى مهلهل ايضا

جلت محاسنه عن كل تشبيه وجل عن واصف في الحسن يحكيه

انظر الى حسنه واستغن عن صفتي سبحان خالقه سبحان باريه

النرجس الغض والورد الجني له والاقحوان النظير النضر في فيه

دعا بالحاظه قلبي الى عطبي فجاءه مسرعا طوعا يلبيه

مثل الفراشة تاتي اذ رأى لهبا الى السراج فتلقي نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعرا غير هذا فاضربت عن ذكره والمزرع

والمزرع بضم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين

مهملة هكذا قاله لي الشيخ زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي

ابن عبد الله المنذري رحمه الله واما حكيم بن جبلة المذكور في عمود

هذا النسب فانه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال ايضا بضم الحاء

وفتح الكاف ويقال جبله وجبال وكان من اعوان علي بن ابي طالب

عليه السلم ولما بويع علي بالخلافه بايعه طلحة بن عبد الله التيمي والزبير بن

العوام الاسدي رضي الله عنهما فعزم علي عليه السلم على توليه الزبير

البصره وتوليه طلحه اليمن فخرج مولاه لعلي فسمعهما يقولان ما بايعناه

٥٢
50

الا ما لسننا لا يقلوبنا فاحرت مولاها بذلك فقال اعرهما الله تعالى
ومن نكث فانما ينكث على نفسه وبعث الى البصرة عثمان بن حنيف الانصاري
والى اليمن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فاستعمل ابن حنيف حكيم
ابن جبله على شرطة البصرة ثم ان طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عايشه رضي
الله عنها فاتفقوا وقصدوا البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فاتى حكيم بن
جبله الى ابن حنيف واشار عليه بمنعهم من دخول البصرة فابى وقال ما
ادري ما راى امير المومنين في ذلك فدخلوها ولقاهم الناس فوقفوا
في مربد البصرة وتكلموا في قتل عثمن بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي بن
ابي طالب عليه السلم فرد عليهم رجل من عبد القيس فنالوا منه ونتفوا
لحيته وتراموا الناس بالحجارة واضطربوا فجاء حكيم بن جبلة الى ابن حنيف
فدعاه الى قتالهم فابى ثم اتى عبد الله بن الزبير الى مدينة الرزق ليرزق
اصحابه من الطعام الذي فيها وغدا حكيم بن جبله في سبع مائة من عبد القيس
فقاتله فقتل حكيم وسبعون من اصحابه وروي ان ابن جبلة قال لامراة
وكانت من الازد لاعملن بقومك اليوم عملا يكون به حديثا للناس
فقالت له اظن قومي سيضربونك اليوم ضربا يكون حديثا للناس فلقيه
رجلا يقال له سحيم فضرب عنقه فبقي معلقا بجلده فاستدار راسه
فبقي مقبلا بوجهه على دبره وكان ذلك قبل وصول علي عليه السلم

بجيوشه اليهم ثم قدم عليهم وتقاتل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة

سنة ست وثلثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ثم كانت الوقعة

العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور وكان اول

قدومهم وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بايام في هذا الشهر ايضا وقتل بين

الفريقين مقدار سبعة الف وقتل طلحة والزبير في ذلك الوقت

رضي الله عنهما بغير قتال ولولا خوف الاطالة لشرحته وقال المأموني في

تاريخه وقيل ان اهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل ان تغرب

الشمس وفيه كان القتال وذلك ان نسرا مر بما حول المدينة معه شي معلق

فتأمله الناس فوقع فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد

ثم ان كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة او بعد علموا بالوقعة

مما تنقل النسور اليهم من الايادي والاقدام قلت وذكر كشاجم

في كتاب المصايد والمطارد ان العقاب القت كف عبد الرحمن بمكة

وكذلك ذكره في كتاب المهذب في الفقه في باب الصلاة على الميت وذكر

ابن الكلبي وابو يقظان في كتابيهما ان العقاب القتها باليمامة والله اعلم

ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصري

الابويطي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه كان واسطة عقد جماعته

واحضرهم نجاتة اختص به في حياته وقام مقامه في الدروس والفتوى بعد
وفاته سمع الاحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي المقدم
ذكره ومن الامام الشافعي وروى عنه ابو اسمعيل الترمذي وابرهيم
ابن اسحق الحربي والقسم بن المغيرة الجوهري واحمد بن منصور الرمادي
وغيرهم وكان قد حمل في ايام الواثق بالله من مصر الى بغداد في مدة المحنه
واريد على القول بخلق القرآن الكريم فامتنع من الاجابة الى ذلك فحبس
ببغداد ولم يزل في السجن والقيد حتى مات رحمه الله تعالى وكان
صالحا متنسكا عابدا زاهدا قال الربيع بن سليمن رايت البويطي
على بغل وفي عنقه غل وفي رجله قيد وبين الغل والقيد سلسلة من
حديد فيها طوبة وزنها اربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله تعالى
الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقا خلق مخلوقا فوالله لاموتن
في حديدي حتى ياتي قوم من بعدي يعلمون انه قد مات في هذا الشان
قوم في حديدهم ولئن ادخلت عليه لاصدقنه يعني الواثق وقال
ابو عمر بن عبد البر الحافظ في كتاب الانتقاء في فضايل الثلثة
الفقهاء ان ابن ابي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه
فاخرجه في وقت المحنة في القران العظيم فيمن اخرج من مصر الى
بغداد ولم يخرج من اصحاب الشافعي غيره وحمل الى بغداد وحبس

فلم يجب الى ما دعى اليه في القرآن وقال هو كلام الله غير مخلوق فحبس ومات
في السجن وقال الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء كان
ابو يعقوب البويطي اذا سمع المؤذن يوم الجمعة وهو في السجن اغتسل ولبس
ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان اين تريد فيقول اجيب داعي
الله فيقول له ارجع عافاك الله فيقول ابو يعقوب اللهم انك تعلم
اني اجبت داعيك فمنعوني وقال ابو الوليد بن ابي الجارود كان البويطي
جاري فما كنت انتبه ساعة من الليل الا سمعته يقرأ او يصلي ٥
وقال الربيع كان ابو يعقوب ابدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى
وما رأيت احدا انزع بحجة من كتاب الله تعالى من ابي يعقوب البويطي
وقال الربيع ايضا كان لابي يعقوب منزلة من الامام الشافعي رضي الله عنه
وكان الرجل ربما سأله عن المسألة فيقول له سل ابا يعقوب فاذا
اجابه اخبره فيقول هو كما قال وقال ايضا ربما جاء رسول صاحب
الشرطة الى الامام الشافعي رضي الله عنه فوجه ابا يعقوب البويطي
ويقول هذا لساني وقال الخطيب البغدادي في تاريخه لما مرض الشافعي
مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع ينازع البويطي
في مجلس الشافعي فقال البويطي انا احق به منك وقال ابن عبد الحكم
انا احق بمجلسه منك فجاء ابو بكر الحميدي وكان في تلك الايام بمصر فقال

قال الشافعي ليس احدا احق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس احد من اصحابي
اعلم منه فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدي كذبت انت
وكذب ابوك وكذبت امك وغضب ابن الحكم فترك مجلس الشافعي وتقدم
فجلس في الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعي ومجلسه وجلس الابويطي
في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه وقال ابو العباس محمد
ابن يعقوب الاصم رايت ابي في المنام فقال لي يا بني عليك بكتاب الابويطي
فليس في الكتب اقل خطاء منه وقال الربيع بن سليمن كنت عند الشافعي
انا والمزني وابو يعقوب الابويطي فنظر الينا فقال لي انت تموت في
الحديث وقال للمزني هذا لو ناظره الشيطان قطعه وجدله وقال
للابويطي انت تموت في الحديث قال الربيع فدخلت على الابويطي في
ايام المحنة فرايته مقيدا في انصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه
وقال الربيع ايضا كتب الي ابو يعقوب من السجن انه ليأتي علي اوقات
لا احس بالحديد انه على بدني حتى تمسه يدي فاذا قرات كتابي هذا فاحسن
خلقك مع اهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت
اسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

اهين لهم نفسي لاكرمهم بها ولن يكرم النفس التي لا تهينها

واخباره كثيرة وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنه احدى وثلثين ومائتين

في القيد والسجن ببغداد وقيل انه توفي سنة اثنين وثلثين والاول اصح رحمه
الله تعالى وقال ابن القراب في تاريخه توفي يوم الثلثاء في رجب والله
عز وجل اعلم والابوطي بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء
المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى ابوط وهي
قرية من الصعيد الادنى في ديار مصر

ابو القسم يوسف بن احمد بن يوسف

يوسف بن كج الدينوري الشافعي

ابن كج الكجي الدينوري كان احد الايمة صحب ابا الحسن بن القطان وحضر
مجلس ابي القسم عبد العزيز الداركي وجمع بين رياسة العلم والدنيا وارتحل
اليه الناس من الافاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة في علمه وجودة
نظر وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه وصنف كتبا كثيرة انتفع
بها الفقهاء قال ابو سعد بن السمعاني لما انصرف ابو علي الحسين بن شعيب
السنجي من عند الشيخ ابي حامد الاسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله
قال له يا استاذ الاسم لابي حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد
وحطتني الدينور وتولى القضا ببلده وكانت له نعمة كبيرة وقتله
العيارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس
واربع مايه رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحة وجيم مشدده وقد

٥٦
53

تقدم الكلام على الدبور فاغنى عن الاعادة والكجى نسبة الى جدة المذكور

يوسف بن عبد البر النمري القرطبي

ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن

عبد البر بن عاصم النمري القرطبي امام عصره في العلم والحديث والاثر
وما يتعلق بهم روى بقرطبة عن ابي القسم خلف بن القسم الحافظ وعبد
الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر وابي محمد بن عبد المومن وابي
عمر الباجي وابي عمر الطلمنكي وابي الوليد بن الفرضي وغيرهم وكتب
اليه من اهل المشرق ابو القسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ
وابو ذر الهروي وابو محمد بن النحاس وغيرهم قال القاضي ابو علي سكرة
سمعت شيخنا القاضي ابا الوليد الباجي يقول لم يكن بالاندلس مثل ابي
عمر بن عبد البر في الحديث وقال الباجي ايضا ابو عمر احفظ اهل المغرب
وقال ابو علي الحسين بن احمد بن محمد الغساني الاندلسي الجياني المقدم ذكره
ابن عبد البر شيخنا من اهل قرطبة بها طلب وتفقه ولزم ابا عمر احمد
ابن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلي وكتب بين يديه ولزم ابا الوليد
ابن الفرضي الحافظ وعنه اخذ كثيرا من علم الحديث وداب في طلب
العلم وافتن فيه وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس
والف في الموطا كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطا من المعاني

والاسانيد ورتبه على اسما شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه
احد الى مثله وهو سبعون جزوا قال ابو محمد بن حزم لا اعلم في الكلام على
فقه الحديث مثله فكيف احسن منه ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب
علماء الامصار فيما تضمنه الموطا من معانى الراى والاثار شرح فيه
الموطا على وجه ونسق ابوابه وجمع في اسماء الصحابة رضى الله عنهم كتابا
جليلا سماه كتاب الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى
في روايته وحمله وكتاب الدرر في اختصار المغازى في السير وكتاب
العقل والعقلا وما جاء في اوصافهم وله كتاب صغير في قبايل العرب
وانسابهم وغير ذلك من تواليفه وكان موفقا في التاليف معانا عليه
ونفع الله به وكان مع تقدمه في علم الاثر وبصره بالفقه ومعانى الحديث
له بسطة كبيرة في علم النسب وفارق قرطبه وجال في غرب الاندلس
مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن دانيه من بلادها وبلنسيه
وشاطبه في اوقات مختلفة وتولى قضا الاشبون وشنترين في ايام
ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة المجالس وانس المجالس
في ثلثة اسفار جمع فيه اشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة
من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في منامه انه دخل الجنة
وراى فيها عذقا مدلا فاعجبه فقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق

ذلك عليه فقال ما لابي جهل والجنة والله لا يدخلها ابدا فانها لا
تدخلها الا نفس مؤمنة فلما اتاه عكرمة بن ابي جهل مسلما فرح به وقام
اليه وتاول ذلك العرق عكرمة ابنه ومنه ايضا انه قيل لجعفر بن محمد
يعني الصادق كم تتاخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم
كان كلبا ابقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين
عليه السلام وكان ابرص فكان تاخير الرؤيا بعد خمسين سنة ومن
ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على ابي بكر الصديق رضي مرقاة و درجة
الله عنه فقال يا ابا بكر رايت كاني رقيت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف
فقال يا رسول الله يقبضك الله عز وجل الى رحمته ومغفرته واعيش
بعدك سنتين ونصف ○ ومن ذلك ان بعض اهل الشام قال لعمر رضي الله
عنه رايت كان الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم
قال مع ايهما كنت قال مع القمر قال مع الاية الممحوة لا عملت لي عملا
ابدا فعزله وقتل مع معوية بن ابي سفين بصفين وقالت عائشة
رضي الله عنها رايت كان ثلثة اقمار سقطن في حجري فقال لها ابو بكر
رضي الله عنه ان صدق رؤياك دفن في بيتك ثلثة من خير اهل
الارض فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها قال لها ابو بكر
رضي الله عنه هذا احد اقمارك وهو خيرها ه ومنه ان اعرابيا

وقيل هو الحطيئة الشاعر اراد سفرًا فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري وذري الشهور فانهن قصار

فاجابته

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا واذكر بناتك انهن صغار

فاقام وترك سفره وقال الهيثم بن عدي قال لي صالح ابن حسان من افقه الشعراء فقلت اختلف في ذلك فقال افقه الشعراء وضاح اليمن حيث يقول

اذا قلت هاتي نوليني تبسمت وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها واعلمتها ما ارخص الله في اللمم

ومنه ايضًا قيل لاسلم بن زرعه ان انهزمت من اصحاب مرداس غضب عليك الامير عبيد الله بن زياد فقال لئن يغضب علي وانا حي خير من ان يرضى عني وانا ميت ومنه ايضا سب اعرابي اعرابيًا فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس لي علم بمساويه وكرهت ان ابهته بما ليس فيه وانشد

ثالبني عمرو وثالبته فاثم المثلوب والثالب

قلت له خيرًا وقال الخنا كل على صاحبه كاذب

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير اوشك ان يقول فيك ما لا يعلم من الشر ومنه ايضا ذكر المغيره بن شعبه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال كان والله افضل من ان يخدع واعقل

من ان تخدع ٥ وروى ايضا انه لما اهبط الله تعالى آدم عليه السلم الى
الارض اتاه جبريل عليه السلم فقال يا آدم ان الله عز وجل قد حباك
بثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتخلى عن اثنتين قال وما هن قال
الحياء والدين والعقل قال آدم انى اخترت العقل فقال جبريل للحياء
والدين ارتفعا قالا لا لن نرتفع قال ولم اعصيتما قالا لا ولكنا امرنا
ان لا نفارق العقل حيث كان وقال عبد الملك بن عبد الحميد من
ابيات ـــــــــــ وهى

الماء في دار عثمان له ثمن والخبز فيها له شان من الشان
عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن لكنه يشتهى حمدا بمجان
والناس اكيس من ان يحمدوا احدا حتى يروا عنده آثار احسان

ومن كتاب بهجة المجالس ايضا قال الهاشمى خرج الناس بالبصرة ينظرون
هلال شهر رمضان فرآه رجل واحد منهم ولم يزل يومى اليه حتى رآه معه
غيره وعاينوه فلما كان هلال الفطر جاء الجماز صاحب النوادر الى
ذلك الرجل فدق عليه وقال له قم اخرجنا مما ادخلتنا فيه قلت
وهذا الجماز هو ابو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطا بن رستان
مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن اخت سلم الخاسر قال
السمعانى في حقه كان خبيث اللسان حسن النادرة وكان اكبر من ابى

نواس

وقيل في نسبه غير ذلك والجماز لقبه وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد
الالف زاى فمن نوادره انه قال اصبحت في يوم مطير فقالت لي امراتي اى شي
يطيب في هذا اليوم فقلت الطلاق فسكتت عني ودخل عليه يوما بعض اصحابه
وقد طبخ وعرق فقال الداخل لا اله الا الله ما اعجب البرق فقال الجماز
والله الحران اعجب منه امراته طالق ان ذقته وقال له السروى
الشاعر ولدت امراتي البارحة ولدا كانه دينار منقوش فقال له الجماز
لاعن امه وللجماز شعر ايضا ذكره في كتاب الورقه فمن ذلك ما كتبه
الى صاحب له كان يلازم الجامع ثم انقطع عنه

هجرت المسجد الجامع والهجر له ريبه
فلا نافلة تاتي ولا تشهد مكتوبه
واخبارك تاتينا على الاعلام منصوبه
فان زدت من الغيبة زدناك من الغيبه

ومنه ايضا قال اردشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا
شبع واعلموا ان الكرام اصبر نفوسا واللئام اصبر اجساما قلت
هذا كله نقلته من بهجة المجالس وفيه كفاية فلا حاجة الى الاطالة
وتوفي الحافظ ابو عمر يوم الجمعة آخر يوم في شهر ربيع الآخر سنة ثلث
وستين واربع مايه بمدينة شاطبه من شرق الاندلس وقال صاحبه

ابو الحسن طاهر بن مفوز المعافري وهو الذي صلى عليه سمعت اباعمر
ابن عبد البر تقول ولدت يوم الجمعة والامام تخطب لخمس بقين من شهر
ربيع الاخر سنه ثمان وستين وثلثمايه رحمه الله تعالى وقد تقدم
في ترجمة الخطيب ابي بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ انه كان
حافظ الشرق وابن عبد البر حافظ الغرب وماتا في سنة واحدة
وهما امامان في هذا الفن والنمري بفتح النون وسكون الميم وكسرها
وبعدها راء هذه النسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم وانما
بفتح الميم في النسبه خاصة وهي قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلم
على القرطبي وشاطبه فاغنى عن الاعادة وذكر ابو عمر المذكور ان
والده ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر توفي في شهر ربيع الاخر
سنه ثمانين وثلثمايه رحمه الله تعالى وكان ولده ابو محمد عبد الله
ابن يوسف من اهل الادب البارع والبلاغه وله رسايل وشعر فمن
ذلك قوله

لا تكثرن تاملا واحبس عليك عنان طرفك
فلربما ارسلته فرماك في ميدان حتفك

قيل انه مات سنه ثمان وخمسين واربع مايه رحمه الله تعالى
والله اعلم بالصواب

يوسف بن السيرافي النحوي

ابو محمد يوسف بن ابي سعيد الحسن

ابن عبد الله المرزبان السيرافي النحوي اللغوي الاخباري الفاضل بن الفاضل تقدم ذكر ابيه الحسن في حرف الحاء كان ابو محمد المذكور عالما بالنحو وتصدر في مجلس ابيه بعد موته في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه على ما كان عليه وكان يفيد الطلبة في حياة ابيه واكمل كتاب ابيه الذي سماه الاقناع وهو كتاب جليل نافع في بابه فان اباه قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم في ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر لغيره ممن يعاني هذا الشان وصنف بعد ذلك الاقناع فكان ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل اتمامه فكمله ولده يوسف المذكور واذا تامله المتامل لم يجد بين القطعين والقصدين تفاوتا كثيرا ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب في شرح ابيات استشهادات كتب مشهورة مثل شرح ابيات كتاب سيبويه وهو الى الغاية في بابه وبسطه وشرح ابيات اصلاح المنطق واجاد فيه وشرح ابيات المجاز لابي عبيدة وابيات معاني الزجاج وشرح ابيات غريب المصنف لابي عبيد القسم بن سلام الى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرا عليه مرة رواية ومرة دراية وقرئ عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير في عدة مجلدات هذب فيه كتاب العين في اللغة المنسوب الى

٦٠
57

الخليل بن احمد المقدم ذكره واضاف اليه من اللغة طرفا صالحا ونقل من ظهر
نسخة باصلاح المنطق قال ابو العلا المعري حدثني عبد السلم البصري خازن
دار العلم ببغداد وكان اصدق صدوقا قال كنت في مجلس ابي سعيد
السيرافي وبعض اصحابه يقرأ عليه اصلاح المنطق لابن السكيت نمضي بيت
جميل بن ثور

ومطوية الاقراب اما نهارها فسبت واما ليلها فذميل

فقال ابو سعيد ومطوية اصلح بالخفض ثم التفت الينا وقال هذه واو
رب فقلت اطال الله بقاء القاضي ان قبله ما يدل على الرفع فقال
وما هو فقلت

اتاك بي الله الذي انزل الهدى ونور واسلام عليك دليل

ومطوية الاقراب فعاد واصلحه وكان ابنه ابو محمد حاضرا فتغير وجهه
لذلك فنهض لساعته ووقته والقصر يستطير في شمايله الى ان كان
وكان يسمانا فباعها واشتغل بالعلم الى ان برع فيه وبلغ الغاية فعمل
شرح ابيات اصلاح المنطق قال ابو العلا وحدثني من راه وبين يديه
اربع مايه ديوان وهو يعمل هذا الكتاب ولم يزل امره على سداد واشتغال
وافاده الى ان توفي ليلة الاربعا لثلث بقين من شهر ربيع الاول سنه
خمس وثمنين وثلثمايه وعمره خمس وخمسون سنة وشهورا ودفن من الغد

وصلى عليه ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ذكر ذلك هلال بن المحسن بن الصابي الكاتب في تاريخه وقال غيره مولده في سنة ثلث وثلثمايه وتوفي يوم الاثنين لثلث بقين من الشهر المذكور والله اعلم رحمه الله تعالى وكان صالحا ورعا دينا متقشفا وكان بينه وبين ابي طالب احمد بن بكر العبدي النحوي المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقوله بين الناس وليس هذا موضع ذكرها وقد تقدم الكلام في ترجمة ابيه علي السيرافي فلا حاجة الى اعادته هاهنا

ابو يعقوب يوسف بن يعقوب

ابو يعقوب يوسف ابن خرزاد النجرمي

ابن اسمعيل بن خرزاد النجرمي اللغوي البصري نزيل مصر هو من اهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ما منهم الا من هو ماهر في اللغة كامل الادوات متقن لها روى ابو يعقوب المذكور عن ابي يحيى بن زكريا بن خلاد الساجي وطبقته وروى عنه ابو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره وكان يوسف امثل اهل بيته وله خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة وكذلك خطوط جماعته قريبه منه ولاهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه حتى بلغت نسخة من ديوان جرير بخطه عشرة دنانير واكثر ما روى الكتب القديمه في اللغه والاشعار الغريبه وايام العرب في الديار المصريه من طريقه فانه كان راوية لها عارفا بها وكان اهل بيته يروون

61
58

بمصر من النجاره في الخشب وكان ابو عبد الله محمد بن بركات بن هلال
السعدي النحوي البصري قد اخذ اللغة عن اصحاب ابي يعقوب المذكور
وادرك ابا يعقوب ولم ياخذ عنه لانه رآه وهو صبي قال الموفق
ابو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب الانشاء الآتي ذكره ان شاء الله
قال لي ابن بركات رايت ابا يعقوب وهو ماش وهو ماش في طريق القرافة
وهو شيخ اسمر اللون كث اللحيه مدور العمامة وبيده كتاب وهو يطالع
فيه في مشيته وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ
ابا اسحق ابرهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكره في كتاب
الوفيات الذي جمعه فقال توفي يعقوب بن خرزاذ النجيرمي يوم الثلثا
رابع المحرم سنة ثلث وعشرين واربع مايه وقال غيره ولد ابو يعقوب
يوسف النجيرمي يوم عرفة من سنة خمس واربعين وثلثمايه رحمه الله تعالى
وابن بركات المذكور ولد بمصر في سنه عشرين واربع مايه وتوفي بها
في سنه عشرين وخمس مايه وكان نحوي مصر هكذا قاله موفق بن
الخلال المذكور فكيف يمكن ان يرى ابا يعقوب وقد كان ابن بركات
في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره لكن لعله راى ولده
والله اعلم وقال القاضي الفاضل ليس في شعر ابن بركات المذكور
احسن من هذين البيتين وهما في مسافر العطار ٥

يا عنق الابريق من فضة ... ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت فابعدتني تقدر ان تخرج من قلبي

وكان ابن بركات قد اخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي المقدم ذكره في حرف الطاء وذكره القاضي الرشيد ابن الزبير في كتاب الجنان واثنى عليه وخرزاذ بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الالف ذال معجمة قلت هكذا يضبط هذا الاسم بعني الا ان يكون اهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك فيكون اصله خار بالالف وهو الشوك فيكون خارزاد معناه ابن الشوك وخرشيد ايضا الشمس فان كانوا ارادوا هذا وحذفوا شيد فيحتمل وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالاسماء العجمية والله اعلم بالصواب والنجيرمي بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي اخرها ميم هذه النسبة الى نجيرم ويقال نجارم قال ابو سعد السمعاني في كتاب الانساب محلة بالبصرة وقال غيره هي قرية في بر البصرة في طريق فارس عند سيراف

والله عز وجل اعلم بالصواب

يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين

ابن هبيره بن يعقوب الهمداني صاحب المقامات والكرامات
قدم بغداد في صباه بعد الستين واربعمايه ولازم الشيخ اباسحق
الشيرازي المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع في اصول الفقه
والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضي ابي الحسين محمد بن
علي بن المهتدي بالله وابي الغنايم عبد الصمد بن علي بن المامون
وابي جعفر محمد بن احمد بن المسلمه وطبقتهم وسمع باصبهان وسمرقند
وكتب اكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه واشتغل بالزهد
والعباده والرياضه والمجاهده حتى صار علما من اعلام الدين
يهتدي به الخلق الى الله تعالى وقدم بغداد في سنة خمس عشرة
وخمسمايه وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظاميه
وصادف بها قبولا عظيما من الناس قال ابو الفضل صافي
ابن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح حضرت مجلس شيخنا يوسف
الهمداني في النظاميه وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف
بابن السقا واذاه وساله عن مسئلة فقال له الامام يوسف اجلس
فاني اجد من كلامك رايحه الكفر ولعلك تموت على غير دين الا سلم
قال ابو الفضل فاتفق انه بعد هذا القول عنه قدم رسول نصراني
من ملك الروم الى الخليفه فمضى اليه ابن السقا وساله ان يستصحبه

وقال له يقع لي ان اترك دين الاسلام وادخل في دينكم فقبله النصراني
وخرج معه الى القسطنطينية والتحق بملك الروم وتنصر ومات على
النصرانية وقال الحافظ ابو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار
البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة يوسف الهمداني المذكور سمعت
ابا الكرم عبد السلم بن احمد المقرى يقول كان ابن السقا قاريا للقرآن
الكريم محمودا في تلاوته حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة
مريض وبيده مروحه يدفع بها الذباب عن وجهه قال فسالته
هل القرآن باق على حفظك فقال ما اذكر منه الا آية واحدة
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقي انسيته نعوذ
بالله من سوء القضا وزوال نعمته وحلول نقمته ونساله الثبات
على دين الاسلام آمين آمين قال ابو سعد السمعاني يوسف بن ايوب
الهمداني من اهل بوزنجرد قرية من قرى همدان مما يلي الري الامام
الورع التقي المتنسك العامل بعلمه والقايم بحقه صاحب الاحوال
والمقامات الجليلة واليه انتهت المريدين الصادقين واجتمع برباطه
بمدينة مرو جماعة من المنقطعين الى الله تعالى ما لا يتصور ان يكون
في غيره من الربط مثلهم وكان من صغره على كبره على طريقة مرضية
وسداد واستقامة خرج من قريته الى بغداد وقصد الامام

ابا اسحق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه ببغداد حتى
برع في الفقه وفاق اقرانه خصوصا في علم النظر وكان الشيرازي
يقدمه على جماعة كثيرة من اصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن
سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كلما كان فيه من المناظرة
وخلا بنفسه واشتغل بما هو الاهم من عبادة الله تعالى ودعوة
الخلق اليها وارشاد الاصحاب الى الطريق المستقيم ونزل مرو وسكنها
وخرج الى هراه واقام بها مدة ثم سئل الرجوع الى مرو في آخر عمره
فاجاب ورجع اليها وخرج الى هراه ثانيا وعزم على الرجوع فخرج منها
متوجها الى مرو فادركته منيته بباميين بين هراه وبغشور في شهر
ربيع الاول سنه خمس وثلثين وخمس مايه ودفن ثم نقل بعد ذلك الى
مرو وكان مولده تقديرا لا تحقيقا في سنة اربعين او احدى واربعين
واربع مايه سوبحرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته
من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضبا وفيه الفاظ تحتاج الى ايضاح
اما وهره فهو بفتح الواو والهاء والراء وفي آخرها هاء ثانية وهو
اسم جد المذكور ولا اعرف معناه بالعربي والقسطنطينيه بضم
القاف وسكون السين المهمله وفتح الطاء المهمله وسكون النون وكسر
الطاء الثانيه وسكون الياء المثناه من تحتها وكسر النون وفتح الياء

الثانية وفي اخرها هآء ساكنة وهي اعظم مداين الروم بناها قسطنطين
ملك الروم وهو اول من تنصر من ملوك الروم فنسبت المدينة اليه اما
بوزجرد فهو بضم الباء الموحده وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر
الجيم وسكون الرآء وبعدها دال مهملة وهي قرية من قرى همدان
على مرحله منها مما يلي ساوه هكذا قاله ابو سعد السمعاني في
كتاب الانساب واما مرو فقد تقدم الكلام عليها واما باميين
بالباء الموحده وبعد الالف ميم مفتوحة وياء مثناه من تحتها مكسوره
وبعدها تاء ثانية ساكنه ثم نون وهي بليدة بخراسان وهراة قد
تقدم الكلام عليها وانها احدى كراسي خراسان فانها اربعة نيسابور
وهراه ومرو وبلخ وبغشور بفتح الباء الموحده وسكون الغين المعجمة
وضم الشين المعجمة وبعد الواو الساكنة رآء وهي بليدة بخراسان ايضا
بين مرو وهراه وقد تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفرا الفقيه
البغوي انه منسوب اليها

ابو الحجاج يوسف بن سليمن بن

يوسف الاعلم

عيسى النحوي المعروف بالاعلم من اهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبه
في سنه ثلث وثلثين واربع مايه واقام بها مدة واخذ عن ابي القسم

ابرهيم بن محمد بن زكريا الافليلي وابى سهل الحرانى وابى مسلم بن احمد
الاديب وكان عالما بالعربية واللغة ومعانى الاشعار حافظا لجميعها
كثير العناية بها حافظا لجميعها حسن الضبط لها مشهورا بمعرفتها واتقانها
اخذ الناس عنه كثيرا وكانت الرحلة فى وقته اليه وقد اخذ عنه
ابو على الحسين بن محمد بن احمد الغسانى الجيانى المقدم ذكره وغيره وكف
بصره فى آخر عمره وشرح كتاب الجمل فى النحو لابى القسم الزجاجى وشرح
ابيات الجمل فى كتاب مفرد وساعد شيخه ابن الافليلى المذكور
على شرح المتنبى وغالب ظنى انه شرح الحماسه فقد كان عندى شرح
الحماسه للشنتمرى فى خمس مجلدات وقد غاب عنى الآن من كان مصنفه
واظنه هو والله اعلم واجاد فيه وتوفى سنة سبع وسبعين واربعمائه
بمدينة اشبيليه من جزيرة الاندلس وكانت ولادته فى سنه عشرة
واربعمايه رحمه الله تعالى ورايت بخط الرجل الصالح محمد بن خير المقرى
الاندلسى رحمه الله تعالى ان ابا الحجاج المذكور انما قيل له الاعلم لانه
كان مشقوق الشفة العليا شقا فاحشا قلت ومن كان مشقوق الشفة
العليا يقال له اعلم والفعل الماضى منه علم بكسر اللام يعلم بفتحها علما بفتحها
ايضا والمراة علما اذا كانت كذلك فان كان مشقوق الشفة السفلى
يقال له افلح بالفاء والحاء المهملة والفعل منه كما تقدم فى الاعلم يفلح

بكسر اللام تفلح فلحا بفتحها فيهما وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات
كلها ان يكون عين الفعل الماضي مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحه
تقول خرس يخرس خرسا ورمص يرمص رمصا وعمي يعمى عمى وكذلك اعلم
وافلح وكان ابو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضي الله عنه اعلم
فلما اسر يوم بدر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم دعني انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا ابدا فقال صلى الله عليه
وسلم دعه عسى ان يقوم مقاما تحمده وكان سهيل من الخطباء الفصحاء
البلغاء وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ثم انه اسلم
وحسن اسلامه والمقام الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهيل كان بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف
فقام سهيل خطيبا وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو
المقام المحمود وقول عمر رضي الله عنه دعني انزع ثنيته فلا يقوم عليك
خطيبا ابدا فانما قال ذلك لانه اذا كان مشقوق الشفة العليا واذا
نزعت ثنيته تعذر عليه الكلام لا يتكلم الا بمشقة وكلفة فهذا الذي
قصده عمر رضي الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور
افلح فكان يقال له الفلحا لفلحة كانت به وانما ذهبوا به الى تانيث الشفة
والله اعلم وشنتمرية بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من

فوقها والميم وكسر الواو وبعدها ياء مشددة مثناه من تحتها ثم هاء
ساكنة وهي مدينة بالاندلس في غربها والحديبية بضم الحاء المهملة
وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناه من تحتها ثم باء موحدة
مكسورة ثم ياء مثناه من تحتها ثانية مفتوحة وبعدها هاء ساكنة
وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ويروى
بتشديد الياء الاخيرة ايضا ٥

بها الدين يوسف بن شداد قاضي حلب

ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة

ابن محمد بن عتاب الاسدي قاضي حلب المعروف بابن شداد الملقب
بها الدين الفقيه الشافعي توفي ابوه وهو صغير السن فنشا عند اخواله
بني شداد فنسب اليهم وكان شداد جده لامه وكان يكنى اولا ابا العز
غير كنيته وجعلها ابا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر
رمضان سنة تسع وثلثين وخمس مايه وحفظ بها القرآن الكريم في صغره
ثم قدم الشيخ ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقدم ذكره الى الموصل فلازمه
وقرا عليه بالطرق السبع واتقن عليه فن القرآات قال ابو المحاسن
المذكور في بعض تواليفه اول من اخذت عنه شيخي الحافظ صاين الدين
ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الاسدي القرطبي رحمه الله تعالى

فاني لازمت القراءة عليه احدى عشرة سنة فقرات عليه معظم ما رواه
من كتب القراءات وقراءة القرآن العظيم ورواية الحديث وشروحه والتفسير
حتى كتب لي خطه شهد لي بانه ما قرا عليه احد باكثر ما قرات وعندي خطه
بجميع ما قرات عليه في قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه
عندي وانا ارويه عنه ومما يشتمل عليه فهرست البخاري ومسلم
من عدة طرق وغالب كتب الحديث وغالب كتب الادب وغيره واخر
رواياتي عنه شرح الغريب لابي عبيد القاسم بن سلام قراته عليه في
مجالس آخرها في العشر الاخير من شعبان سنه سبع وستين وخمس
مائة وهي السنه التي مات فيها القرطبي حسبما ذكرته في ترجمته ثم
قال — ومنهم الشيخ ابا البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف
بابن الشيرجي سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي واجاز لي ان اروي
عنه جميع ما رواه على اختلاف انواع الروايات وكتب لي خطه
بذلك في فهرست سماعي مورخا بخامس جمادى الاولى سنه ست
وستين وخمس مئة وكان مشهورا بعلمي الحديث والفقه وولي قضاء
البصرة ودرس بالاتابكية القديمة يعني بالموصل ومنهم الشيخ مجد الدين
ابو الفضل عبد الله احمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب
بالموصل وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من الافاق وعاش نيفا

وتسعين سنة قلت كانت ولادة ابى الفضل بن الطوسى الخطيب المذكور
فى منتصف صفر سنة سبع وثمنين واربعمايه ببغداد بباب المراتب
وتوفى ليلة الثلثا رابع عشر شهر رمضان سنه ثمان وسبعين وخمسمايه
بالموصل ودفن بمقبرة باب الميدان رحمه الله تعالى رجعنا الى تتمة
كلام ابى المحاسن بن شداد وسمعت عليه يعنى على الخطيب المذكور كثيرا
من مسموعاته واجاز لى جميع ما رواه فى السادس والعشرين من رجب
سنة ثمان وخمسين وخمسمايه ومنهم القاضى فخر الدين ابو الرضا سعيد
ابن عبد الله بن القسم الشهرزورى سمعت عليه مسند الشافعى رضى الله عنه
ومسند ابى عوانه ومسند ابى يعلى الموصلى وسنن ابى داود وكتب
لى خطه بذلك وهو فى فهرستى وسمعت عليه الجامع لابى عيسى الترمذى
واجاز لى روايه ما رواه وكتب لى خطه بذلك فى شوال سنه سبع
وستين وخمسمايه ومنهم الحافظ مجد الدين ابو محمد عبد الله بن محمد بن
على الاشيرى اجاز لى جميع ما يرويه على اختلاف انواعه وفى فهرستى
خطه بذلك مورخا بشهر رمضان سنه تسع وخمسين وخمسمايه قلت
توفى ابو محمد عبد الله الاشيرى المذكور فى شوال سنه احدى وستين
وخمسمايه بالشام ودفن ببعلبك رحمه الله تعالى ومنهم الحافظ سراج الدين
ابو بكر محمد بن على الجيانى قرات عليه صحيح مسلم من اوله الى اخره بالموصل

والوسيط للواحدي واجاز لي رواية ما يرويه في سنة تسع وخمسين
وخمس مايه فهذه اسما من حضر في خاطري وقد سمعت من جماعة لم تحضرني
رواياتهم عند جميع هذا الكتاب لشهره كا به في بغداد واي المغيث في اجزته
والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظاميه وجماعه شذت عني طرقهم
فلم اذكرهم اذكان في هولاء غنية هذا آخر ما ذكره عن نفسه وقال
غيره انه قرا الفقه على ابي البركات عبد الله بن الشيرجي المذكور فقيه الموصل
وكان عالما زاهدا متقشفا وتوفي في جمدى الاولى سنة اربع وسبعين
وخمس مايه بالموصل ودفن بظاهرها ثم اشتغل بالخلاف على الضيا ابن
ابي حازم بن محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري ثم باحث في الخلاف متفقي
اصحابه كالفخر النوقاني والبروي والعماد النوقاني والسيف الجواري
والعماد الميانجي ثم انحدر الى بغداد بعد التامل التام ونزل بالمدرسه
النظاميه وترتب فيها معيدا بعد وصوله اليها بقليل واقام بها اربع
سنين والمدرس بها يوم ذاك ابو نصر احمد بن عبد الله بن محمد الشاشي
وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور للتدريس بالنظاميه في شهر ربيع الآخر
سنه ست وستين وخمس مايه وعزل عنها في رجب سنه تسع وستين
وتولاها بعده رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني في التاريخ المذكور
وابو المحاسن المذكور مستمر بها على الاعاده وكان رفيقه بها في الاعاده

السديد محمد السلماسي وقد تقدم ذكره ثم اصعد الى الموصل في سنة تسع
وستين فرتب مدرسا في المدرسة التي انشاها القاضي كمال الدين
ابو الفضل محمد بن الشهرزوري المقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به
جماعة وله كتاب الاقضيه سماه ملجاء الحكام عند التباس الاحكام
ذكر في اوايله انه حج في سنة ثلث وثمنين وخمس مايه وزار البيت
المقدس والخليل عليه السلم بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه
وسلم ثم دخل الى دمشق والسلطان صلاح الدين رحمه الله يومئذ محاصرا
قلعة كوكب فذكر انه سمع بوصوله فاستدعاه اليه فظن ان السلطان
ساله عن كيفية قتل الامير شمس الدين بن المقدم فانه كان امير الحاج
في تلك السنه من جهة السلطان صلاح الدين وقتل على جبل عرفات
لامر يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره فلما دخل عليه ذكر انه قابله
بالاكرام التام وما زاد على السوال عن الطريق ومن كان فيه من مشايخ
العلم والعمل وساله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه فاخرج له
جزءا فيه اذكار البخاري وانه قراه عليه بنفسه فلما خرج من عنده تبعه
عماد الدين الكاتب الاصبهاني وقال له السلطان يقول لك اذا عدت
من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا اليك مهم فاجابه بالسمع
والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع في تلك الدفعة كتابا يشتمل

على فضائل الجهاد وما اعدّ الله سبحانه للمجاهدين يحتوي على مقدار ثلثين
كراسة فخرج اليه واجتمع به على بقيعة حصن وقدم له الكتاب الذي جمعه
وقال انه كان على عزم الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل اذا وصل اليها
ثم انه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمدى الاولى سنة اربع وسبعين
وخمس مائة ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف ولما كنت
متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وستين
وستمائة اسجال قد ثبت مضمونه عند القاضي ابي المحاسن المذكور
وهو يومئذ قاضي العسكر المنصور الصلاحي وقد انقطع ثبوته بموت
شهوده فتعذر اثباته عندي لذلك وتاملته الى آخره لاني استغربته
فقد كان شيخنا اخذنا عنه كثيرا وحصل الانتفاع بصحبته عدنا
الى بقية ما ذكره ابو المحاسن المذكور فقال انه كان قد حضر الى خدمة
صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل
والقاضي محي الدين بن الشهرزوري لما وصلا اليه في رسالة واتفق
في تلك الدفعة وفاة الدمشقي المدرس كان بمصر في مدرسة
منازل العز وخطيب مصر وان صلاح الدين عرض عليه تدريس
المدرسة المذكورة فلم يفعل وانه حضر عند السلطان دفعة ثانية
في رسالة من الموصل وهو على حران وكان صلاح الدين مريضا يومئذ

وذكر انه لما توفي صلاح الدين كان حاضرا وتوجه الى حلب بجمع كلمة
الاخوة اولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض وان الملك الظاهر
غياث الدين بن السلطان صلاح الدين صاحب حلب كتب الى اخيه
الملك الافضل نور الدين علي صاحب دمشق بن صلاح الدين يطلبه منه
فاجابه الى ذلك فارسله الظاهر الى مصر لاستحلاف اخيه الملك
العزيز عماد الدين عثمن بن صلاح الدين وعرض عليه الظاهر الحكم
بحلب فلم يوافق على ذلك فلما عاد من هذه الرساله كان القاضي بحلب
قد مات فعرض عليه القضا فاجاب هكذا ذكره في كتاب ملجا الحكام
وذكر القاضي كمال الدين ابو القسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم
في تاريخه الصغير الذي سماه زبدة الحلب في تاريخ حلب ما مثاله
وفي سنه احدى وتسعين يعني وخمس مايه اتصل القاضي بها الدين ابو
المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر وقدم اليه الى حلب
وولاه قضاها ووقوفها وعزل عن قضاها زين الدين ابا البيان نبا ابن
الباناسي نايب محيي الدين بن الزكي وحل عنده بها الدين محل الوزاره
ورتبه المشاوره انتهى كلامه قلت وكان السلطان صلاح الدين قد ولا
القضا محيي الدين ابا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي المقدم ذكره القضا بحلب
فاستناب فيها زين الدين نبا ابن الباناسي المذكور واستمر بها الى التاريخ

المذكور وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلماء
الا نفر يسير فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها
وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا
جيدا يحصل منه جملة مستكثرة ولم يكن عليه خرج كثير فانه لم يولد له
ولد ولم يكن له اقارب كبيرة فتوفر له شي كثير فعمر مدرسة بالقرب
من باب العراق في قباله مدرسة نور الدين محمود بن زنكي رحمه
الله تعالى الشافعية ورايت تاريخ عمارتها مكتوبا على سقف مسجدها
وهو الموضع المعد لالقاء الدروس وذلك في سنة احدى وستمائة
ثم عمر جوارها دارا للحديث النبوي وجعل للمكانين تربة برسم دفنه فيها
ولها بابان باب الى المدرسة وباب الى دار الحديث وشباكان الى الجهتين
وهما متقابلان بحيث ان الذي يقف في احدى المكانين يرى من يكون في
المكان الاخر ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من
البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفاده وكثر الجمع وكان بين والدي
رحمه الله وبين القاضي ابي المحاسن المذكور موانسة كثيرة وصحبة صحيحة
الموده من زمن الاشتغال بالموصل فجيت اليه وكان اخي قد سبقني بمدة
قليلة وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين ابو سعيد كوكبوري
ابن علي بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف الكاف كتابا بليغا

في حقنا يقول له فيه أنت تعلم ما يلزم من امر هذين الولدين وانهما ولدا
اخي وولدا اخيك ولا حاجة مع هذا الى تاكيد وصية واطال القول في
ذلك فتفضل القاضي ابو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام واحسن حسب
الامكان وعمل ما يليق بمثله وانزلنا في مدرسته ورتب لنا اعلا
الوظايف والحقنا بالكبار مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال
وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي تاريخ دخولي الى حلب
فاغنى عن الاعادة ولم نزل عنده الى ان توفي في التاريخ الاتي ذكره ولم
يكن بمدرسته في ذلك الزمان كله درس علم لانه كان المدرس بنفسه
وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس والقايها
فرتب اربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الاعادة والجماعة يشتغلون
عليهم وكنت انا واخي نقرا على الشيخ جمال الدين ابي بكر الماهاني لانه كان
من بلدنا ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين ابي حامد
محمد بن يونس المقدم ذكره فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمئة
وقد نيف على ثمانين سنة فترددت الى الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن ابي
بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك
مدرس المدرسة السيفية فقرات عليه من اول كتاب الوجيز للغزالي
الى الاقرار وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب اتصال الكلام

وكان القاضي ابي المحاسن المذكور بيده حل الامور وربطها لم يكن لاحد معه
في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز ابا المظفر محمد بن الملك الظاهر
بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب
الدين ابي سعيد طغرل وهو اتابكه متولي تدبير الدولة باشارة القاضي
ابي المحاسن وكان لا يخرج عنهما شيئا من الامور وكان للفقهاء في ايامه
حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصا جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون
مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا نسمع عليه الحديث
ونتردد اليه في داره فقد كانت له قبة تختص به وهي شتوية لا يجلس
في الصيف والشتاء الا فيها لان الهرم كان قد اثر فيه حتى صار كفرخ الطائر
من الضعف لا يقدر على الحركه للصلاه وغيرها الا بمشقة عظيمة وكانت
النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة وفي الشتا يكون عنده
منقل كبير من الفحم والنار شي كثير ومع هذا كله لا يزال مزكوما وعليه
الفرجيه البرطاسي والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط
ذوات الخمايل الثخينه بحيث انا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا
يشعر لكثرة استيلاء البرد عليه من الضعف وكان لا يخرج لصلاة الجمعة
الا في شدة القيض واذا قام الى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت
انظر الى ساقيه وهو في الصلاة وكانهما عودان رقيقان لا لحم عليهما

وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عليه الحديث عنده فكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والادب غالب عليه وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه ٥

إن السلامة من ليلى وجارتها ان لا تمر على حال بناديها

وكان يتمثل ايضا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو

وعهودهم بالرمل قد نقضت وكذاك ما يبنى على الرمل

فانشده في بعض الايام فقال له بعض اصحابنا الحاضرين يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالا مليحا فقال ابن المعلم هو ابو الغنايم قال نعم فقال صاحبنا كان كيف قال فانشده

نقضوا العهود وحق ما يبنى على رمل اللوى بيد الهوى أن ينقضا

فقال ما اقصر ولقد تلطف في قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله في قصيدة اخرى فقال هات فانشده

ولس على الرمل فكيف انتقض العهد

فاستحسنه وكان كثيرا ما ينشد ابيات ابي الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول انه سمعها منه ويرويها عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص فاغنى عن الاعادة واولها

لا تضع من عظيم قدرٍ وان كنت مشارًا اليه في التعظيم

وكان كلما نظر الى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ينشد

من يتمنّ العمر فليدّرع صبرًا على فقد احبائه
ومن يعمّر ير في نفسه ما يتمناه لاعدائه

ودخل يومًا رجل من اهل المغرب يقال له ابا الحجاج يوسف وكان قريب العهد ببلاده وورد الى حلب في تلك الايام وكان فاضلًا في الادب والحكمة فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة انشد

لم يعلم الناس ما في ان تعيش لهم بكوا لانك من ثوب الصبى عاري
ولو اطاقوا انتقاصًا من حياتهم لما فدوك بشيءٍ غير اعمار

فاعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له وقال لي بعض اصحابنا سمعته يومًا وهو يحكي للجماعة عنده قال لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق اربعة خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلاذر لاجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض الاطباء وسالوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في موضع خارج عن المدرسة فحصل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا ولم نعلم ما جرى عليهم وبعد ايام جاء الى المدرسة واحدًا منهم وكان طويلًا

وهو عريان ليس عليه شيء يستر عورته وعلى راسه بقيا زكبه له عذبة
طويلة خارجة عن العاده وقد القاها وراه فوصلت الى كعبه وهو ساكت
ساكن عليه السكينه والوقار لا يتكلم ولا يعبث فقام اليه من كان حاضرا
من الفقهاء وساله عن الحال فقال له كنا قد لجحنا وشربنا حب البلاذر
فاما اصحابي فانهم جنوا وما سلم منهم الا انا وحدي وصار يظهر العقل
العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد انه سالم
مما اصاب اصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا ينظر اليهم ٥
واخبرني جماعه ممن كانوا عنده قبل وصولنا اليه انه قدم عليه الاديب
نظام الدين ابو الحسن محمد بن علي بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف
بابن خروف الشاعر فكتب اليه رسالة وفي اولها رساله ابيات
يستحن به فروة وقرظ وهي ٥

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانواء من نعماك جلد ابي
وفضلك عالم انى خروف بارع الادب
حلبت الدهر اشطره وفي حلب صفى حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يتجنب ذول سير السراء ويحب
النجاة من اجل الفراء وممن على الخروف النبيه بجلد ابيه فانى الصباغ

قريب العهد بالدباغ ما ضلّ طالب قرضه ولا ضاع بل ذاع ثنا صابغه
وصابغ اثبت خمايل الصوف بها من الرياح بكل هوجاء عصوف اذا
ظهر اهابه كافه البرد وبها به ما في الثياب له ضرب اذا احرك الجليد
والضريب ولا في اللباس له نظير اذا عري من ورقه الغصن النضير لا
كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو المزق بالضرب كانه من جلد
جمل الجرباء الذي يراعي البرد والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى
الشجر والنجم فنحى النوع ارجى الضوع لكون تارة كافا وتارة بردا
وهو في الحال يحيى حرا ويميت بردا لا يزال مهديه سعيدا ينجز
للاولياء وعدا وللاعداء وعيدا ان شاء الله تعالى والسلم
قلت وقد ذكرت في ترجمة ابي الفتح محمد بن سبط بن التعاويذي رسالة
كتبها الى عماد الدين الاصبهاني الكاتب المقدم ذكره يطلب منه فروة
قرظا ايضا وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها وفي هذه الرساله
كلام يحتاج الى ايضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن حرب وهذا مثل
مشهور بين الادباء فاذا كان الشي باليا شبهوه بطيلسان ابن حرب
ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو ان محمد بن حرب بن اخي يزيد المهلبي
اعطى ابا علي اسمعيل بن ابرهيم بن حمدويه البصري الحمدوي الشاعر الاديب
طيلسانا خليعا فعمل فيه الحمدوي مقاطيع عديده ظريفه سارت عنه

وتناقلتها الرواة فمن ذلك قوله من ابيات

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا مل من صحبة الزمان فصدا
طال ترداده الى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى

وقوله ايضا من ابيات

لقد حالف الرفاء حتى كانه يحاول منه ان يعلمه الرفوا

وقوله ايضا

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا انحلته الازمان فهو سقيم
فاذا ما رفوته قال سبحانك محيي العظام وهي رميم

وقوله ايضا

يا ابن حرب اطلت فقري برفوي طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو في الرفو آل فرعون في العرض على النار بكرة وعشيا

وله فيه ايضا ٥

رأينا طيلسانك يا ابن حرب يزيد المرء ذا الضعة اتضاعا
اذا الرفاء اصلح منه بعضا تداعى بعضه الباقي انصداعا
يسلم صاحبي فيقد شبرا به واقد في ردي ذراعا
اجيل الطرف في طرفيه طولا وعرضا ما ارى الا رقاعا
فلست اشك ان قد كان دهرا لنوح في سفينته شراعا

وقد اعيت اذا بصرت منه بقاياه على كتفي تداعا

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

وقال فيه وكتبها الى بعض الرؤساء

دعني ابكي كسوتي اذ ودعت فلأزمعن على البكا اذ ودعت

يا ابن الحسين اما ترى ذراعتي شملا تردت بالبلى وتدعت

فيها من التمزيق ما لو انه مرت بها ريح الصبا لتقشعت

تحكي تخرق طيلساني انها منه تعلمت البلى فتضعضعت

لا فرج الرحمن عنه انه أعدى ثيابي كلها فتقطعت

فليحمد الله الجبال فانها لو قارنته تخشعت وتصدعت

وله فيه ايضا

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا يرجع الرفو فيه وهو سباخ

مات رفاؤه ومات بنوه وبدا الشيب في بنيهم فشاخوا

وله فيه ايضا

طيلسان لو كان لفظا اذا ما شك خلق فيه انه بهتان

فهو كالطور اذ تجلى له الله فدكت قواه والاركان

كم رفوناه اذ تمزق حتى بقي الرفو وانقضى الطيلسان

وله فيه ايضا ٥

٣٣ ٧٢
٧٥

يا ابن حرب إني أرى في زوايا بيتنا مثل من كسوت جماعه
طيلسانا أرفوه وأرفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه
فأطاع البلى فصار خليعا ليس يعطي الرفا فيه الرفو طاعه
فإذا سائل رآني فيه ظن أني فتى من أهل الصناعه
وله فيه أيضا
قل لابن حرب طيلسانك قوم نوح منه أحدث
هو طيلسان لم يزل عمن مضى من قبل يورث
فإذا العيون لحظنه فكأنه باللحظ يحرث
يودي إذا لم أرفه فإذا رفوت فليس يلبث
كالكلب إن تحمل عليه الدهر أو تتركه يلهث
وأما قوله ولا جلد عمرو الممزق بالضرب فيريد به قول النحاة ضرب
زيد عمرا فإنهم أبدا يستعملون هذا المثال ولا يتمثلون بغيره فإنهم
يمزقون جلده بكثرة الضرب ويقال إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي
مقطوع في كل مقطوع معنى بديع عدنا إلى ما كنا عليه وكان القاضي
أبو المحاسن المذكور يسلك طريق البغادده في ترتيبهم وأوضاعهم
وحتى إنه كان يلبس ملبوسهم والرؤساء الذين كانوا يترددون إليه
كانوا ينزلون عند دوابهم على قدر أقدارهم لكل واحد منهم مكان معين

لا يتعداه ثم انه تجهز الى البلاد المصرية لاحضار ابنة الملك الكامل بن
الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب للملك العزيز صاحب حلب
ابن الظاهر بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب قدس الله ارواحهم
وكان قد عقد نكاحه عليها فسافر في اول سنة تسع وعشرين وستمائة
وعاد وقد جاء بها في شهر رمضان من السنة ولما وصل كان قد
استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك طغرل
من القلعه الى دار تحت القلعه واستولى على الملك العزيز جماعة من
الشباب الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه فاشتغل بهم ولم يرى
القاضي ابا المحاسن وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته وهو
باق على الحكم واقطاعه جار عليه غاية ما في الباب انه لم يبق له حديث
في الدولة ولا كانوا راجعونه في الامور فصار يفتح بابه لاسماع الحديث
كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث انه صار اذا جاءه
الانسان لا يعرفه واستمر على هذه الحال مدية ثم مرض اياما قلايل
وتوفي في يوم الاربعا رابع عشر صفر سنه اثنين وثلثين وستمائة بحلب
رحمه الله تعالى ودفن في التربه المقدم ذكرها وحضرت الصلاة
عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك وصنف كتاب ملجا الحكام
عند التباس الاحكام يتعلق بالاقضيه في مجلدين وكتاب دلايل

الاحكام فيه على الاحاديث المستنبط منها الاحكام في مجلدين وكتاب الوجيز
الباهر في الفقه وغير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين رحمه الله تعالى وجعل
داره خانقاه للصوفية لانه لم يكن له وارث ولازم الفقها والقرا تربته
مدة طويلة يقرؤن عند قبره وكان قد قرر عند كل واحد من الشباكين
المذكورين اللذين للتربة سبعة قرا وكان غرضه ان يقرا كل يوم
عنده ختمة فكان كل واحد من القرا الاربعة عشر يقرا نصف سبع بعد
صلاة عشا الآخرة وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية في
الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلثين وستمائة
والامور جارية على هذه الاوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الامور
وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني وتوفي الشيخ نجم
الدين ابن الخباز المذكور في السابع من ذي الحجة سنة احدى وثلثين وستمائة
بحلب ودفن بظاهرها خارج باب اربعين وحضرت الصلاة عليه ودفنه
رحمه الله تعالى وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة سبع وخمسين وخمس مائة بالموصل وتوفي الاتابك شهاب الدين
طغرل المذكور ليلة الحادي عشر من المحرم سنة احدى وثلثين وستمائة
بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب اربعين وكان خادما ارمني
الجنس ابيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه

رحمه الله تعالى وتوفي ابو الحسن بن خروف الاديب المذكور بحلب في سنة اربع وستمئة مترديا في جب

يوسف بن عمر الثقفي

أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن

الحكم بن ابي عقيل بن مسعود الثقفي وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي فانه ابن ابن عم الحجاج يجتمعان في الحكم ابن ابي عقيل قال خليفة ابن خياط ولي هشام بن عبد الملك يوسف ابن عمر اليمن فقدمها لثلث بقين من شهر رمضان سنه ست ومئة فلم يزل واليا بها حتى كتب اليه هشام في سنه عشرين ومايه بولايته على العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف وقال البخاري كانت ولايه يوسف بن عمر العراق سنه احدى وعشرين ومايه الى سنه اربع وعشرين وقال غيره لما اراد هشام بن عبد الملك صرف خالد بن عبد الله القسري عن العراق كان قد جاء رسول يوسف بن عمر من اليمن فدعا هشام بالرسول وقال له ان صاحبك قد تعدى طوره ومشى فوق قدره وامر بتخريق ثيابه وضربه اسياطا وقال له امض الى صاحبك فعل الله به وصنع ودعا بسالم اليمامي مولى سالم ابن عنبسه بن عبد الملك فكان على ديوان الرسايل وقال له اكتب الى

يوسف بن عمر بشىء امره به واعرض الكتاب على فمضى سالم لكتب ما امره به
وخلى هشام بنفسه فكتب كتابا صغيرا بخطه الى يوسف بن عمر وفيه سر الى
العراق فقد وليتك اياه واياك ان يعلم بك احد واشفنى من ابن النصرانية
يعنى خالدا ومن عماله وامسك الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب
الذى كتبه وعرضه عليه فغافله وجعل الكتاب الصغير فى طيه
وختمه ودفعه الى سالم وقال له ادفعه الى رسول يوسف فلما وصل
الرسول الى يوسف قال له ما وراك قال الشر امير المومنين ساخط عليك
وقد امر بتخريق ثيابى وضربى ولم يكتب جواب كتبك وهذا كتاب
صاحب الديوان ففض الكتاب وقراه فلما بلغ الى اخره وقف على الكتاب
الصغير فاستخلف ابنه الصلت وسار الى العراق وقد كان يخلف سالما
الكاتب على ديوان الرسايل بشير بن ابى طلحه من اهل الاردن وكان
فطنا فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد ولى يوسف
ابن عمر العراق فكتب الى عياض عامل اجمه سالم وكان وادا له ان
اهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى فاذا اتاك فالبسه واحمد
الله تعالى واعلم طارقا بذلك وكان عامل خالد بن عبد الله القسرى
على الكوفه وما يليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب الى عياض ايضا
طارقا بذلك فقال طارق الخبر فى الكتاب الاول ولكن صاحبك ندم

وخاف ان يظهر امره وركب من ساعته الى خالد فخبره الخبر فقال له ما ترى
قال ارى ان تركب من ساعتك هذه الى امير المؤمنين فانه اذا رآك استحيى منك
وزال كل شي كان في نفسه عليك فلم يقبل ذلك فقال له انا اذن لي ان اصير
الى حضرته واضمن له مال جميع هذه السنة قال وما مبلغ ذلك قال مائة
الف الف درهم واتيك بعهدك فقال ومن اين لك هذه الاموال والله
ما املك عشرة الف درهم فقال اتحمل انا وسعيد بن راشد اربعين الف الف
درهم وكان سعيد يتقلد سقي الفرات والزبير وابان بن الوليد عشرين الف
الف درهم ونفرق الباقي على باقي العمال فقال اني اذن للئيم ان اسوغ
قوما شيا ثم ارجع عليهم فقال له انما نقيك ونقي انفسنا ببعض اموالنا وتبقى
النعمة عليك وعلينا بك ونستانف طلب الدنيا خير من ان نطالب بالاموال
وقد حصلت عند تجار اهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فنقتل
ونذهب انفسنا وتحصل الاموال لهم ياكلونها فابى خالد ذلك عليه
فودعه وقال هذا آخر العهد بك ووافاهم يوسف بن عمر فمات طارق
في العذاب ولقي خالد وعماله كل شر ومات منهم في العذاب بشر كثير
وكان ما استخرج يوسف من خالد واسبابه تسعين الف الف درهم قلت
وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته فنطلب
منه وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف بن عمر

المذكور وما جرى له في الوديعة وقال ابو بكر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري
في كتاب انساب الاشراف واخبارهم ان هشام بن عبد الملك كان قد
تغير على خالد بن عبد الله القسري امير العراق لامور نقلت عنه فحقد
عليه منها كثرة امواله واملاكه ومنها انه كان يطلق لسانه في حق هشام
بما يكرهه وغير ذلك من الاسباب فعزم على عزله واخفى ذلك
وكان يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن فكتب هشام اليه بخطه ان
يقبل في ثلثين من اصحابه الى الكوفة وكتب مع الكتاب بعهده على العراق
فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة في سبعة عشر يوما فعرس قريبا منه
وقد ختن طارق خليفة خالد القسري على الخراج ولده فاهدى اليه
الف عتيق والف وصيف والف وصيفة سوى المال والثياب وغير
ذلك فجاء رجل الى طارق وقال له اني رايت قوما انكرتهم وزعموا
انهم سفار وصار يوسف بن عمر الى دور بني ثقيف فامر بعض
الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر ففعل فدخل يوسف المسجد
مع الفجر فامر المؤذن بالاقامة فقال حتى ياتي الامام فانتهره فاقام
وتقدم يوسف فصلى وقرا اذا وقعت الواقعة وسال سائل ثم
ارسل الى خالد وطارق واصحابهما فاخذوا وان القدور لتغلي
وقال ابو عبيدة حبس يوسف خالدا فصالحه ابان ابن الوليد عنه

وعن اصحابه على تسعة الف الف درهم ثم نهم يوسف وقيل له لو لم تقبل هذا المال لاخذت منه مائة الف الف درهم فقال ما كنت ارجع عن شي رهنت به لساني ولحبس اصحاب خالد خالدا فقال اتاتم حين اعطيتموه هذا المال في اول وهلة ما توهم منى ان ياخذ المال ثم يرجع عليكم فارجعوا عليه فابوه فقالوا ان خالدا لم يقدر على المال الذى وقع الاتفاق عليه فقال انتم اعلم وصاحبكم اما انا فلا ارجع عليكم وان رجعتم فلم امنعكم قالوا فانا قد رجعنا فقال والله لا ارضى بتسعة الف الف ولا بمثلها ومثلها فذكر ثلثين الف الف ويقال مائة الف الف وقال اشرس مولى بنى اسد وكان تاجرا ليوسف بن عمر اتانا كتاب هشام فقراه يوسف وكتمنا ما فيه وقال اريد العمرة فخرج وانا معه واستخلف ابنه الصلت على اليمن فما كلم احدا منا بكلمة واحدة حتى انتهى الى العذيب فاناخ وقال يا اشرس ابن ذلك فقلت هو ذا فسأله عن الطريق فقال هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق فقلت والله ما هي بايام عمرة فلم يتكلم حتى اناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ثم استلقى على ظهره ورفع احدى رجليه على الاخرى وانشد

فما لبثتنا العيش ان قذفت بنا نوى غربة والعهد غير قديم

ثم قال اشرس قلت لبيك قال ابغنى انسانا اسايله فاتيته برجل فقال

سله عن ابن النصرانية يعني خالدا فقلت ما فعل خالد قال في الحمه
اشتكى فخرج اليها فقال سله عن طارق فقال خير بنيه فهو يطعم
في الحيرة وخليفته عطيه بن مقلاص يطعم الناس بالكوفه قال خل عن الرجل
ثم ركب فاناخ راحلته بالرحبة ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى
على ظهره فمكثنا ليلا طويلا ثم جاء المؤذنون وزياد بن عبد الله الحارثي
يومئذ على الكوفة خليفة لخالد فاذنوا ثم سلموا وخرج زياد واقيمت
الصلاه فخرج زياد ليتقدم فقال يوسف يا اشرس نحه فقلت يا زياد تاخر
للامير فتاخر زياد فتقدم يوسف وكان حسن القراءة فصيحا فقرا اذا
وقعت الواقعة وسال سايل وبعد صلاة الفجر تقدم القاضي فحمد الله
تعالى واثنى عليه ودعا للخليفة وقال ما اسم اميركم فاخبروه فدعا
له بالصلاح فتفرق اهل الصلاة حتى جاء الناس ولم يبرح يوسف حتى
بعث الى خالد والى ابان بن الوليد بفارس والى بلال ابن ابي بردة
بالبصرة والى عبد الله بن ابي بردة بسجستان وامر هشام ان تعزل عمال
خالد جميعهم الا الحكم بن عوانه وكان على السند فاقره حتى قتل هو
وزيد بن علي في يوم واحد قتله بالكهن ولما اتى خالد قيل له الامير يوسف
قال دعوني من اميركم اهو امير المؤمنين قيل له نعم قال لا باس على
فلما قدم خالد على يوسف حبسه وضرب يزيد ولده ثلثين سوطا فكتب هشام

الى يوسف اعطى الله عهدا لئن شاكت خالدا شوكة لاضربن عنقك فحمل سبيله
بثقله وعياله وقيل ان يوسف استاذن هشاما في بسط العذاب على
خالد فلم ياذن له حتى الح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار اليه
والى عماله فاذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسيا يشهد ذلك وحلف
لئن اتى على خالد اجله ليقتلنه به فدعا به يوسف ودعا على دكان
بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف
وقال له يا ابن الكاهن يعني شقا احد اجداد خالد وهو الكاهن المشهور
قلت كما تقدم في ترجمة خالد قال فقال له خالد انك لاحمق تعيرني بشرفي
لكنك ابن السبا انما كان ابوك يسبا الخمر قلت معناه يبيع الخمر قال
ثم رد خالدا الى محبسه فاقام ثمنية عشر شهرا فكتب اليه هشام يامره
بتخلية سبيله في شوال سنة احدى وعشرين ومايه وخرج خالد
ومعه جماعه من اهله وغيرهم حتى اتى القريه وهي من ارض الرصافه
فاقام بها بقية شوال وذي القعده وذي الحجه ومحرم وصفر لا ياذن
له هشام في القدوم عليه قال الهيثم بن عدي وخرج زيد بن زين العابدين
ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم على يوسف بن عمر
فكتب يوسف الى هشام ان اهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا
هلكوا جوعا حتى كانت همة احدهم قوت يومه فلما ولي خالد العراق قواهم

بالاموال حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافه وما خرج زيد الا باذن خالد
وما مقامه بالقريه الا لانها مدرجة الطريق فهو يسال عن اخبارنا فقال
هشام للرسول كذبت وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالدا فانا
لا نتهمه في طاعته وامر بالرسول فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدا فصار
الى دمشق وقال ابو الحسن المداينى امر يوسف بن عمر ببلال بن ابى بردة
ابن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه وكان بلال عامل خالد القسرى
على البصره فعذب فضمن ثلثمايه الف درهم واخذ منه كفلا فاخفرهم
وهرب الشام فقال ان غلامه اراد ان يشترى له دراجا فعرف
ويقال بل شوى له غلامه دراجا فاحرقه فضربه فسعى به فاتى به يوسف
ابن عمر فامر به فاقيم في الشمس فقال ادنونى من امير المومنين فله على
ما طلب فابى ورده الى يوسف فعذبه حتى قتله وقال اخو عبد الله
ابن ابى بردة للسجان ارفع اسمى في الموتى فرفعه فقال يوسف ارنيه
ميتا فغمه السجان حتى مات وقيل بل كان بلال الذى سال السجان
رفع اسمه في الموتى والمقتول في العذاب اخوه عبد الله والله اعلم بذلك
وقال يوسف النحوى ما قتل بلالا الا دهاؤه سال السجان ان يرفع
اسمه في الموتى ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى اعرض الموتى على فغمه حتى
مات وعرضه عليه ميتا وقال يوسف المداينى ولى يوسف بن عمر صالح

بن كرز ولاية فخرجت عليه ثلثون الف درهم فحبس بها وبلال بن ابي بردة يومئذ محبوس فقال له بلال اني على العذاب سالما ولقب رتبيل فاياك ان تقول له رتبيل فانه يكره ذلك وجعل بلال يردد القول عليه في ذلك فعذبه سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له يا رتبيل اتق الله وجعل يكرر عليه القول في ذلك من الم العذاب وهو يقول اقتل من غيظه عليه فلما خلا عنه قال له بلال الم انهك عن رتبيل فقال وهل اوقعني في رتبيل غيرك انا ما كنت اعرف رتبيل لولا انت وما تدع شرك في سراء ولا ضراء وقال المدايني ايضا كان على شرطة يوسف بن عمر العباس بن سعد المزني وكان كاتبه فخذم بن سلمان بن ذكوان وزياد بن عبد الله مولى ثقيف وعلى حرسه وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر انا نا امير شديد النكال كحاجب حاجبه حاجب ٥

وقال الحافظ ابو القسم بن عساكر في تاريخ دمشق بلغني ان يوسف بن عمر كان قد اخذ مع ابن الحجاج بن يوسف الثقفي ليعذب ويطلب منه المال فقال اخرجوني لاسال فدفع الى الحرث بن مالك الجهضمي يطوف به وكان مغفلا فانتهى به الى دار لها بابان فقال يوسف دعني ادخل هذه الدار فان فيها عمة لي اسالها فاذن له فدخل وخرج من الباب الاخر وهرب وذلك في خلافة سليمن بن عبد الملك وكان يوسف يسلك طرايق ابن عم ابيه

الحجاج بن يوسف في الصرامه والشده في الامور واخذ الناس بالمشاق ولم
يزل على ذلك الى حين عزله ذكر ابن شبه النميري في كتاب اخبار البصره
ان يوسف بن عمر وزن درهما فنقص حبة فكتب الى دار الضرب في
العراق فضرب اهلها فاحصى في تلك الحبه مائة الف سوط ضرب بها
الناس وكان يوسف مذموم في عمله احمق شتى الهيئة وكان
جوادا فكان يطعم على خمس مايه خوان اقصاها وادناها سوا ياكل منها
الشامي والعراقي وعلى كل خوان قرنه عليها السكر ففقد السكر يوما
من قرنه فتكلم اهلها فضرب الخباز ثلثمايه سوط والناس ياكلون فكان
الخباز يتخذ الخرايط فيها السكر فكلما نفد زاد وادروى الحكم بن عوانه
الكلبي عن ابيه قال لم يوتى الملك بمثل كلب ولم تعل المنابر بمثل قريش
ولم تطلب الثارات بمثل تميم ولم ترع الرعايا بمثل ثقيف ولم تسد
الثغور بمثل قيس ولم تهج الفتن بمثل ربيعه ولم يجب الخراج بمثل
اليمن وقال الاصمعي قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملا يا عدو الله تعال
اكلت مال الله فقال من اكل منذ خلقت والى الان والله لو سالت
الشيطان درهما واحدا ما اعطانيه وكان يوسف بن عمر قد استعمل
على خراسان نصر بن سيار الليثي وبقي الى اخر بني اميه وقضاياه
ووقايعه مع ابي مسلم الخراساني مشهوره في مواضعها وفيه وفي

يوسف يقول سوار بن الاشعر

اضحت خراسان بعد الخوف آمنة من ظلم كل غشوم الحكم جبار

لما اتى يوسفا اخبار ما لقيت اختار نصرًا لها نصر بن سيار

وقال شمال بن حرب بعث الى يوسف بن عمر وهو امير العراق ان غلاما

لى قد كتب الىّ انى قد زرعت لك كل خقّ ولقّ فما هما فقلت ان الخق

ما اطمأن من الارض واللق ما ارتفع منها انتهى كلامه قلت وذكر

الجوهرى فى كتاب الصحاح للخق الغدير اذا جف وتقلع واللق الشق

المستطيل وقيل الخق حفرة غامضة فى الارض والخق بضم الخاء المعجمة

وتشديد القاف واللق بضم اللام وتشديد القاف والله اعلم

وكان يوسف بن عمر من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة كانت لحيته

تجوز سرّته واستمر يوسف على العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك

فلما توفى فى يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الاخر سنة خمس

وعشرين ومايه بارض قنسرين وبها قبره وكان عمره خمسا وستين

سنة والله اعلم وكنيته ابو الوليد تولى ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد

الملك بعده فاقر يوسف بن عمر على ولايته بالعراق وقتل الوليد

المذكور يوم السبت وقيل الخميس وهو الاصح لليلتين بقيتا من جمدى

الاخرة سنة ست وعشرين ومايه وكان قد عزم على عزل يوسف

ابن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت
ام الوليد بن يزيد المذكور لم الحجاج بنت محمد بن يوسف فالحجاج عمها فكتب
الوليد الى يوسف بن عمر انك قد كنت كتبت الي تذكر ان خالدا بن عبد
الله القسري اخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل الى هشام ما تحمل وينبغي
ان تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه من العمارة
فاشخص الينا وصدق ظننا فيما تحمله الينا لعمارتك البلاد حتى نعرف
فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة فانك خالنا واحق
الناس بالتوفير علينا وقد علمت ما زدنا لاهل الشام في العطا وما
وصلنا اهل بيتنا به لجفوة هشام اياهم حتى اضر ذلك ببيوت الاموال
فخرج يوسف بن عمر بنفسه الى الوليد بن يزيد وحمل من الاموال
والامتعة والانية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله
القسري محبوس فلقيه حسان النبطي ليلا واخبره ان الوليد قد عزم
على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وانه لا بد له من اصلاح امر وزرائه
فقال يوسف ليس عندي شي فقال له حسان عندي خمس مائة الف
درهم فان شئت فهي لك وان شئت فارددها اذا تيسرت فقال له
يوسف انت اعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك
فيهم ففعل فقدم يوسف والقوم يعظمونه وقرر يوسف بن عمر مع ابان

ابن عبد الرحمن النميري ان يشتري خالد بن عبد الله القسري باربعين الف الف درهم
فقال الوليد ليوسف ارجع الى عملك فقال له ابان ادفع الى خالدا وادفع
لك اربعين الف الف درهم فقال الوليد ومن يضمن عنك هذا المال فقال
يوسف بن عمر فقال الوليد يا يوسف اتضمن عنه فقال يوسف استاديه
الى فانا استاديه خمسين الف الف درهم فدفعه اليه فحمله في محمل بغير وطاء
وقدم به العراق فقتله كما شرحنه في ترجمته ولما قتل الوليد بن يزيد
وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك واطاعه الملك دحيه
ابن خليفه الكلبي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها
منصور بن جمهور واما ابو محنف فانه قال قتل الوليد بن يزيد بالبخراء
وبويع يزيد بن الوليد بدمشق وصار منصور بن جمهور في البخرا في اليوم
الذي قتل فيه الوليد الى العراق وهو سابع سبعه فبلغ خبره يوسف بن
عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيره في ايام خلت من رجب فاخذ
بيوت الاموال واخرج العطا لاهل العطا والارزاق وولى العمال
واقام بقية ايام رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقيت
منه ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوه حتى اتى الى البلقا
فاستخفى بها وكان اهله مقيمين بها فلبس زي النسا وجلس بينهن
وبلغ يزيد بن الوليد خبره فارسل اليه من حضره فوصل اليه فوجده

[illegible]

بعد ان فتش عليه كثيرا جالسا على تلك الهيئة بين نسايه وبناته فجاء به في
وثاق فحبسه يزيد عند الحكم وعثمن ابني الوليد بن يزيد وكان يزيد بن
الوليد قد حبسهما عند قتله اباهما في الخضرا وهي دار بدمشق
مشهورة قبلي جامعها وقد خربت الان ومكانها عندهم معروف ثم
ان يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فاقام يوسف في السجن بقية مدة يزيد
ابن الوليد الى ان مات في الحجة على الخلاف الكبير فيه هل مات في اول
الشهر او في عاشره او بعد العاشر او في سلخ ذي القعدة سنة ست
وعشرين ومايه وجعل ولي عهده اخاه ابرهيم بن الوليد ومن بعده
عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر في
سجنه مدة ولاية ابرهيم بن الوليد فجا مروان بن محمد اخر ملوك بني
اميه باهل الجزيرة الفراتيه وقنسرين وغلب على الامر وخلع ابرهيم
ابن الوليد وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك
وكانت ولاية ابرهيم اشهرا وخلع في شهر ربيع الاخر سنه سبع وعشرين
ومايه وقيل كانت ولايته سبعين يوما لا غير وكان يزيد بن خالد
ابن عبد الله القسري مع ابرهيم بن الوليد فلما ظهر امر مروان بن
محمد والتقى عسكره وعسكر ابرهيم ودخلوا دمشق ومروان وراهم

خافت جماعة ابرهيم ان يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمن ابنى الوليد من
السجن ويجعل لهما الامر فلا يبقيا احدا ممن اعان على قتل ابيهما فاجمعوا
رايهم على قتلهما فارسلوا يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى ليتولى ذلك
فانتدب يزيد المذكور موالى ابيه فى جماعة من اصحابه فدخلوا السجن
وشدخوا الغلامين بالعمد واخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه لكونه
قتل خالد بن عبد الله القسرى والد يزيد المذكور كما شرحناه فى
ترجمة خالد وذلك فى سنة سبع وعشرين ومايه وهو ابن نيف
وستين سنة ولما قتل اخذوا راسه عن جسده وشدوا فى رجليه
حبل فجعل الصبيان يجرونه شوارع دمشق فتمر المراه فترى جسدا
صغيرا فتقول فى اى شى قتل هذا الصبى المسكين لما ترى من صغر جثته
قال بعضهم رايت يوسف بن عمر وفى مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق
ثم رايت بعد ذلك يزيد بن خالد القسرى وفى مذاكيره حبل وهو
يجر فى ذلك الموضع وقد قيل انه فى العشر الاوسط من ذى الحجه
سنة ست وعشرين ومايه رحمه الله تعالى

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين

يوسف بن تاشفين

اللمتونى امير المسلمين وملك الملثمين وهو الذى اختط مدينة مراكش

وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصم محمد بن صمادح الملكين
ببلاد الاندلس طرف من اخباره وماجرى لهما معه وكيف اخذ بلاد همما
واسر ابن عباد وحبسه في اغمات وقد استوفيت الكلام عليه هناك
ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه ان هذا الملك هو ذلك وانه
عظيم الشان كبير السلطان ذكر ارباب التواريخ شيئا من احواله
فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب المعرب عن سيرة ملوك
المغرب في انه اوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى اذكره
غير انه قال في اول النسخة التي نقلت منها هذا الفصل انه كتبها في
سنة تسع وسبعين وخمس مائة وفرغ منها في غرة ذي القعدة من
السنة بالموصل وهو في مجلد واحد لطيف فاخترت منه مقتضبا
ما مثاله كان من المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زناتة برابر فخرج عليهم
من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم
ابو بكر بن عمر منهم وكان رجلا ساذجا خير الطباع مؤثر البلاد
على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاة المغرب من
زناتة ضعفا لم يقاوموا الملثمين فاخذوا البلاد من ايديهم من باب
تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابي بكر بن عمر المذكور عمر
سمع ان عجوزا ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت ضيعنا ابو بكر بن

بدخوله بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلاً من
اصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى البلاد الجنوبية وكان يوسف
هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً اختط بالمغرب مدينة مراكش وكان
موضعها مكمناً للصوص وكان ملكاً لعجوز مصمودية فلما تمهدت
له البلاد تاق الى العبور الى جزيرة الاندلس وكانت محصنة بالبحر فانشا
شواني ومراكب واراد العبور اليها فلما علم ملوك الاندلس بما
يروم من ذلك اعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا المامه
بجزيرتهم الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا
ان يصبحوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم وكانت
الفرنج تشد وطأتها عليهم الا ان ملوك المغرب كانت ترهب الفرنج
باظهار موالاتهم للملك يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير لنقله
دولة زناتة وملك المغرب اليه في اسرع وقت وكان قد ظهر
لابطال الملثمين في المعارك ضربات السيوف تقد الفارس
وطعنات تنظم الكلا فكان له بذلك ناموس ورعب في قلوب
المتدينين لقتالهم وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف بن
تاشفين ويحذرونه على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما راوا
عزمته منفردة على العبور ارسل بعضهم الى بعض وكاتبوهم يستنجدون

آراءهم في امره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لانه كان
اشجع القوم واكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه
يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب
من اهل الاندلس كتابا هو اما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم
ولم تنسب الى عجز وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن
وقد اخترنا لانفسنا اجمل نسبتينا فاختر لنفسك اكرم نسبتيك
فانك بالمحل الذي لا يجب ان تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك
ذوي البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلم فلما جاءه
الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان
العربي لكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين
العربية والمرابطية فقال له ايها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس
يعظمونك فيه ويعرفونك انهم اهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون
منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وهم من ذوي
البيوتات فلا تغيرهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم
ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عمن اطاعك من اهل المغرب
فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى انت فقال ايها الملك اعلم
ان تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يرد بابه خليق بما حصل في يده

المال ان يعفو اذا استعفى وان يهب اذا استوهب وكما وهب جزلاً كان
لقدرته فاذا اعظم قدرته تاصل ملكه واذا تاصل ملكه تشرف الناس بطاعته
واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان
وارث الملك من غير اهلاك لاخرته واعلم ان بعض ملوك الاكابر
والحكماء البصراء يطرق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد
قاد ومن قاد ملك البلاد فلما القى الكاتب هذا الكلام الى يوسف بن
تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح فقال للكاتب اجب القوم واكتب بما
يجب في ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب
بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وحكمه التاييد والنصر فيما حكم
عليكم وانكم مما في ايديكم من الملك في اوسع اباحة مخصوصين
منا باكرم ايثار وسماحة فاستديموا بوفائكم واستصلحوا
اخانا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام ٥ فلما
فرغ من كتابه قراه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن
به يوسف بن تاشفين درقا لمطية مما لا يكون الا في بلاده قلت
لمطيه بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة
مثناه من تحتها ثم هاء ساكنة هذه النسبة الى لمطه وهي بليدة عند

السوس الاقصى قال وانفذ ذلك اليهم فلما وصل اليهم كتابه احبوه وعظموه
وفرحوا بولايته ملك المغرب وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج وازمعوا
ان راوا من ملك الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين برايه
ويريه ما اراد من محبة اهل الاندلس له وكفاه الحرب وان اللاذفونش
ابن فرذلند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج اخذ يجوس خلال الديار
ويفتتح بلاد الاندلس ويشتط على ملوكهم بطلب البلاد منهم وخصوصا
المعتمد بن عباد فانه كان مقصودا فيه وقد تقدم في ترجمة المعتمد
ذكر تاريخ اخذ طليطلة والابيات التي قيلت في ذلك فنظر المعتمد في
امره فراى اللاذفونش قد داخله طمع فيما بيده بلاده فاجمع امره على استدعا
يوسف بن تاشفين الى العبور على ما فيه من الخطر وعلم ان مجاورته غير الجنس
موذنة بالبوار وان الفرنج والملثمين ضدان له الا انه قال ان دهينا
من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين امر الملثمين ولان نرعى اولادنا
جمالهم احب الينا من ان يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا الراى نصب
عينيه مهما اضطر اليه وان اللاذفونش خرج في بعض السنين يتخلل
بلاد الاندلس في جمع كبير من الفرنج فخافه ملوك الاندلس على البلاد
واجفلوا اهل القرى والبسائط من بين يديه ولجاوا الى المعاقل فكتب المعتمد
ابن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له ان كنت مؤثرا للجهاد فهذا اوانه

فقد خرج اللاذفونش الى البلاد فاسرع في العبور اليك ونحن معاشر
اهل الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على اتم اهبة فشرع في عبور
عساكره فلما ابصر ملوك الاندلس عبور اهل المغرب يطلبون الجهاد وكانوا
قد وعدوا من انفسهم بالمساعده اعدوا ايضا للخروج فلما الاذفونش
اجتماع العزايم على مناجزته علم انه عام نطاح فاستنفر الفرنجيه
للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه الا الله تعالى ولم تزل الجموع
تتالف وتتدارك الى ان امتلات جزيرة الاندلس خيلا ورجالا من الفريقين
كل اناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين
عبر في آخرها وامر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع
رغاوها الى عنان السماء ولم يكن اهل الجزيرة راوا جملا قط ولا كانت
خيلهم قد رات صورها ولا سمعت اصواتها فكانت تذعر منها
وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها راي مصيب كان يحدق
بها معسكره وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما
تكاملت العساكر بالجزيرة قصدت اللاذفونش وكان نازلا بمكان
افيح من الارض يسمى الزلاقه بالقرب من بطليوس قال البياسي بين
الكائنين اربعه فراسخ وقال ايضا ان يوسف بن تاشفين قدم بين يدي
حربه كتابا يقتضي السنه يعرض عليه الدخول في الاسلام او الحرب

اوا جزيته ومن جملة مضمون كتابه بلغنا يا اذفونش انك دعوت في
الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك ولك سفن تعبر البحر الينا بها فقد
اجزناه لك وقد جمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى
عاقبة دعايك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش
ما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه واقسم انه لا يبرح من
موضعه حتى يلقاه ثم ان ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة
فلما وافاها المسلمون نزلوا اتجاه الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد
ان يكون هو المصادم لهم اولا وان يكون يوسف بن تاشفين اذا انهزم
المعتمد بعسكره بين ايديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وتالف معه
عساكر الاندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج
وخالطتهم عساكر المسلمين وعمل السيف فيهم فلم يفلت منهم احد
غير الاذفونش في ثلثين من اصحابه فلحق ببلده على اسوا حال فغنم
المسلمون من اسلحته وخيله واثاثه ما ملا ايديهم خيرا قلت
وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنه تسع وسبعين
واربع مايه وقيل في شهر رمضان في العشر الاواخر منه من السنة
والله اعلم وقال البياسي كان حلول العساكر الاسلامية بالجزيرة
الخضرا في المحرم سنه تسع وسبعين واربع مايه فحكى ان موضع المعرك

على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على جسد او دم واقامت العساكر
بالموضع اربعة ايام حتى جمعت الغنايم فلما حصلت عف عنها يوسف
ابن تاشفين واثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده كان الغزو
لا النهب فلما رات ملوك الاندلس ايثار يوسف بن تاشفين لهم بالغنايم
استكرموه واحبوه وشكروا له ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين ازمع
الرجوع الى بلاده وكان عند قصده ملاقاة اللاذفونش تحرى المسير
بالبيدا من غير ان يمر بمدينة او رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه اللاذفونش
وهناك اجتمع بعساكر الاندلس وذكر ابو الحجاج يوسف بن محمد
البياسي في كتاب تذكير الغافل ان ابن تاشفين نزل على اقل من فرسخ من
عسكر العدو في يوم الاربعا وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت
فغدر اللاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من
العام اقبلت طلايع ابن عباد والروم في اثارها والناس على طمانينة
فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر في العساكر فماجت باهلها
ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا
اهبه ودهمتهم خيل العدو فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها
وتركت الارض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد واصابه جرح اشواه
وفر رؤساء الاندلس واسلموا محلاتهم وظنوا انها وهيه لا ترقع

٨٦
83

ونازلة لا تدفع وظن اللاذفونش ان امير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم
ان العاقبة للمتقين فركب امير المسلمين واحدق به جياد خيله ورجاله
من صناجهه ورؤساء القبايل وقصدوا محل اللاذفونش فاقتحموها
ودخلوها وقتلوا خانقتها وضربت الطبول فاهتزت الارض وتجاوبت
الآفاق وتراجع الروم الى محلتهم بعد ان علموا ان امير المسلمين فيها
فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فاخرجهم منها ثم كروا عليه
فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان امر امير المسلمين حشمه
السودان فترجل منهم زهاء اربعة آلف ودخلوا المعترك بدرق اللمط
وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها
واحجمت عن اقرانها وتلاحق اللاذفونش باسود قد نفدت مزاريقه
فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على اعنته وانتضى
خنجرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه
مع بداد سرجه وكان وقت الزوال من ذلك اليوم فهبت ريح النصر
وانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة
على اللاذفونش واصحابه فاخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم واعطوا
اعناقهم والسيوف تصفعهم الى ان لحقوا بربوة لجاوا اليها واعتصموا
بها واحدقت بهم الخيل فلما اظلم الليل انساب اللاذفونش واصحابه

من الدبوة وانفلتوا بعد ما تشبثت بهم اظفار المنية واستولى المسلمون
على ما كان في محلتهم من الاثاث والانية والمضارب والاسلحة وامر
ابن عباد بضم رؤس قتلى الروم فنشر منها امامه كالتل العظيم ثم كتب
ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا واطاره الحمام في يوم السبت سادس
عشر بخبره بالنصر وقد روى ايضا ان امير المسلمين طلب من اهل
البلاد المعونة على ما هو بصدده فوصل كتابه الى المرية في هذا المعنى
وذكر فيه ان جماعة افتوه بطلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال اهل المرية لقاضي بلدهم وهو ابو عبد الله بن الفرا
ان يكتب جوابه وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي فكتب
اليه اما بعد ما ذكره امير المؤمنين في اقتضاء المعونة وتاخري عن
ذلك وان ابا الوليد الباجي وجميع القضاة بالعدوة والاندلس افتوه
بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا شك في عدله فليس
امير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه
في قبره ولا من لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك
في منزلته من العدل فان الله سائلهم عن تقليدهم فيك وما اقتضاها
عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحلف ان ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فليدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة اهل العلم وتحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا في بيت المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلم ٥ ولما قضى امير المسلمين من هذه الواقعة ما قضى امر عساكره بالمقام وان تشن الغارات على بلاد الفرنج وامر عليهم سير بن ابي بكر وطلب الرجوع في طريقه فتكلم له المعتمد بن عباد فعرج به الى بلاده وساله ان ينزل عنده فاجابه يوسف الى ذلك فلما انتهى الى مدينة المعتمد اشبيليه وكانت من اجمل المدن منظرا ونظر الى موضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضايع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على الف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى شرق اشبيليه وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف وفي جانب المدينه قصور المعتمد وابيه المعتضد في غاية الحسن والبها وفيها انواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والمفروش وغير ذلك فانزل المعتضد يوسف بن تاشفين في احدها وتولى من اكرامه وخدمته ما اوسع شكر بن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين اصحابا له ينبهونه على تلك الحال وما هي عليه من البغي والاسراف ويغرونه

باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون له ان فايدة الملك قطع العيش له بالنعم
واللذات كما هو المعتمد واصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصدا في
اموره غير متطاول ولا مبذر مسرف في صنوف الملاذ بالاطعمة
وغيرها وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شظف العيش
فانكر على مغربه بن ذلك الاسراف وقال الذي يلوح من امر هذا
الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما في يده من الملك لان هذه الاموال
التي تعينه على هذه الاحوال لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن اخذ هذا
القدر منهم على وجه العدل ابدا فاخذه بالظلم واخرجه في هذه
التُرهات وهذا من افحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد
من التصرف فيما لا يعدو الاجوف متى يستجد همة في حفظ بلادها
وضبطها وحفظ رعيته والتوفر في مصالحها ثم ان يوسف بن تاشفين
سأل عن احوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنقص عما هي عليه في بعض
الاوقات فقيل له كل زمانه على هذا فقال افكل اصحابه وانصاره
على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا قال فكيف
ترون رضاهم عنه فاطرق يوسف وسكت واقام عند المعتمد اياما
على تلك الحال وفي بعض تلك الايام استاذن رجل على المعتمد فدخل
وهو ذو هيئة رثة وكان من اهل البصاير فلما دخل عليه قال ايها الملك

اصلحك الله ان من اوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة
اهدآء النصايح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك الى الاختلاف
اقرب منها الى الاعتدال لكنني ملتزم لك في النصيحة ما يستوجبه
الملك على الرعية فمن ذلك خبر وقع في اذني من بعض اصحاب ضيفك
هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون انفسهم وملكهم احق بهذه النعمة
منك وقد رايت رايا ان رايت الاصغاء اليه قلته قال له المعتمد
قله قال رايت ان هذا الرجل الذي اطلعته على ملكك رجل مشاهد
على الملوك قد هدم ببر العدوة زناتة واخذ الملك من ايديهم ولم يبق
على احد منهم ولا يومن ان تطمح نفسه الى الطماعية في ملكك بل في
ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من بلهنية عيشك وانه متخيل
من مثل حالك سائر ملوك الاندلس وان له من الولد والاقارب
ممن يوثر مسراتهم من يود له الحلول بما انت فيه من خصب الجناب
وقد اودى اللاذفونش وجيشه واستاصل شافتهم واعدمك منه
اقوى ناصر لو احتجت اليه لقد كان لك اقوى عضد واوفى مجن وبعد
ان فات الامر في اللاذفونش لا يفيتك الحزم مما هو ممكن اليوم فقال
له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال ان تجمع امرك على قبض ضيفك هذا
واعتقاله في قصرك وتعزم انك لا تطلقه حتى يامر كل من بجزيرة

الاندلس من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ثم تنفق
انت وملوك الجزيرة على حراسة البحر في سفينة تجري فيه يغزاه له ثم بعد
ذلك تستحلفه باغلظ الايمان ان لا يضمر في نفسه عودا الى هذه
الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتاخذ منه على ذلك رهاين فانه يعطيك
من ذلك ما تشا فنفسه اعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك
يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه
بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع
ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق
منك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه
حزمك من محاورة من عاملته هذه المعاملة وا علم انه قد تهيا لك
من هذا امر سماوي تتفانا الامم وتجري بحار الدم دون حصوله فلما
سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة
وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا
الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام اهل المكرمات ممن
يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال له الرجل انما الغدر اخذ
الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به قال
ذلك النديم لضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح

اسند ذلك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة فانصرف
وبلغ الخبر يوسف بن تاشفين فاصبح غاديا وقدم له المعتمد الهدايا
السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضرا الى سبتة
قلت وهذا المكان المعروف بزقاق سبتة تعدي الناس فيه من احدى
البرين الى الاخر يعني بر الاندلس وبر العدوة وقد تقدم الكلام على
هذا المكان قال ولما عبر يوسف الى بر العدوة اقام عسكره بجزيرة
الاندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الاذفونش فتوغل في بلاده ولما
رجع الاذفونش الى موضعه سال عن اصحابه وشجعانه وابطال عسكره
فوجد اكثرهم قد قتلوا ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم فلم ياكل ولم يشرب
حتى مات هما وغما ولم يخلف الا بنتا جعل الامر اليها فتحصنت في
مدينة طليطلة واما عسكر ابن تاشفين فانهم كسبوا في غاراتهم هذه
من الغنايم ما لا يحد ولا يوصف وانفذوا ذلك الى بر العدوة
واستاذن اميرهم سير بن ابي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الاند لس
واعلمه انه افتتح معاقل في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالا
يعتمدون فيها وانه لا يستقيم لهذه الجيوش ان يقيم في الثغور في ضنك من
العيش تصابح العدو وتماسيه وتحظى ملوك الاندلس برغد العيش
من الارياف فكتب اليه يوسف بن تاشفين يامره باخراج ملوك الاندلس

من بلادهم والحاقهم بالعدو فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا نفس
عنه حتى يخرجه وليبدا منهم بمجاورى الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن
عباد ما لم يستولى على البلاد ثم تولى تلك البلاد امرا عسكره واكابرهم
فابتدا سير بن ابى بكر بملوك بنى هود ليستنزلهم من معقلهم وهى
روطه قلت بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة وبعدها هاء
وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى ماوها ينبع فى اعلاها
وكان فيه من الاقوات والذخاير المختلفات ما لا تفنيه الازمان
فلم يقدر عليها فرحل عنها وجند اجنادا على صورة الفرنج وامرهم
ان يقصدوا هذه القلعه مغيرين عليها ويكمن هو واصحابه بالقرب
منها ففعلوا ذلك فراهم صاحب القلعه فاستضعفهم ونزل فى
طلبهم فخرج سير بن ابى بكر فقبض عليه وتسلم القلعه ثم نازل بنى طاهر
بشرق الاندلس فسلموا اليه ولحقوا بالعدو ثم نازل بنى صمادح
بالمريه وكانت قلعتهم حصينه الا انهم لم يكن عندهم اجناد ولا انجاد
من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم فلما علم المعتصم بن صمادح انه
مغلوب دخل قصره فادركه اسف قضى عليه فمات من ليلته
واشتغل اهله به فسلموا المدينه ثم نازلوا المتوكل عمر بن الافطس
ببطليوس وكان رجلا شجاعا عظيم القدر كبير البيت كان ابو المظفر

بالله ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمه التجيبي من فحول العلماء وكان ملكا
له تصانيف اعظمها واشهرها الكتاب المنسوب اليه وهو المظفري
في علم التاريخ مدينته بطليوس من احمل البلاد لم يذعن ولا اقبل
على غير المدافعه والقتال الى ان خان عليه اصحابه فقبض باليد عليه
وعلى ولدين له فقتلوا صبرا وحملوا اولاده الاصاغر الى مراكش
وساير ملوك الجزيره سلموا وتحولوا الى بر العدوه الا ما كان من
المعتمد بن عباد فان سير بن ابي بكر لما فرغ من ملوك الجزيره كتب
الى سى بن تاشفين انه لم يبق بالجزيره من ملوكها غير المعتمد بن
عباد فارسم في امره بما تراه فامره بقصده وان تعرض عليه التحول
الى بر العدوه باهله وماله فان فعل فيها ونعمت وان ابى فنازله
فلما عرض عليه سير بن ابي بكر ذلك لم يعطه جوابا فنازله وحاصره
اشهرا ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا فحمل الى
العدوه مقيدا فانزل باغمات واقام بها الى ان مات ولم يعتقل
من الملوك غيره وتسلم سير بن ابي بكر الجزيره كلها واستحوذ عليها
فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الاتي ذكره ان شاء الله تعالى
وافضى الملك الى ولده ابي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وكان رجلا
حليما وقورا صالحا عادلا منقادا الى الحق والعلما يجبى اليه الاموال

من البلاد لم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه قلت
وقد تقدم في ترجمة الفتح بن خاقان القيسي صاحب قلايد العقيان
انه جمع الكتاب المذكور باسم ابرهيم بن يوسف بن تاشفين وان الذي
اشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين وعلى يده انقض
ملكهم وسياتي شرح ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى وقد تقدم في
اول هذه الترجمة ان يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش
قال صاحب الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب
ان مراكش مدينه عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين موضع
كان اسمه مراكش معناه امش مسرعا بلغة المصامدة كان ذلك
الموضع ماوى للصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه
الكلمة فعرف الموضع وقال غير مؤلف هذا الكتاب بني يوسف
ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين واربع مايه
قاله ابو الخطاب بن دحيه في كتابه الذي سماه النبراس في خلافه
القايم بامر الله قال وكانت مزرعه لاهل نفيس فاشتراها منهم
بماله الذي خرج به من الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء
وسكون اليا المثناه من تحتها جبل مطل على مراكش قلت وهي بنواحي
اغمات من المغرب الاقصى وذلك انه لما توطنت نفسه على الملك

واطاعته قبايل البربر وذهب من خالفه من لمتونه سمت همته
الى بنا هذه المدينه وكان في موضعها قرية صغيرة في غاية من الشجر
وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنا بها القصور والمساكن
الانيقة وهو في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب
منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها
وفي سنة اربع وستين واربع مايه نزل يوسف على مدينه فاس
وكانت اذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على
اهلها ثم اخذها فاقر العامه بها ونفى البربر والجند
بعد ان حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوي شانه وتمكن
بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه بعد ما صار بيده من بلاد
جزيرة الاندلس ما ذكرناه وكان حازما سايسا للامور
ضابطا لممالكه مصلحته موثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة
لهم بلغني ان الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي تغمده الله برحمته
لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الجميلة وميله الى اهل العلم
عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندريه وشرع في تجهيز ما
يحتاج اليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت
على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت ان

وجدته وكان يوسف معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف
العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو اول من
تسمى باميرالمسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفي
لثلث خلون من المحرم سنة خمس مايه وعاش تسعين سنة ملك
منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين
ابن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله سنه خمس مايه توفي فيها
امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن
السيرة خيرا عادلا يميل الى اهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم
في بلاده ولا يخالفهم في ارايهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب
العظام فمن ذلك ان ثلثة نفر اجتمعوا فتمنى احدهم الف دينار
يتجر بها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الاخر
زوجة يوسف بن تاشفين وكانت من احسن الناس ولها الحكم في بلاده
فبلغه الخبر فاحضرهم واعطى متمني المال الف دينار واستعمل
الاخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي
لا تصل اليه ثم ارسله اليها فتركته في خيمة ثلاثة ايام تحمل اليه
في كلها طعاما واحدا ثم احضرته وقالت له ما اكلت في هذه الايام
فقال طعاما واحدا فقالت كل النسا شي واحد وامرت له بمال

وكسوة والطلقنه واما ولده على المذكور فانه توفى لسبع خلون من رجب
سنة سبع وثلثين وخمس مايه ومولده فى حادى عشر رجب سنة ست
وسبعين واربع مايه وقد تقدم ذكر طرف من حديثه فى ترجمة محمد
ابن تومرت المهدى فيكشف منه ولما خرج عبد المومن على المقدم ذكره
قاصدا جهة البلاد المغربية لياخذها من على بن يوسف بن تاشفين المذكور
كان مسيره على طريق الجبال فسير على بن يوسف ولده تاشفين ليكون قبالة
عبد المومن ومعه جيش فسا نزلوا فى السهل واقاموا على هذا مدة فتوفى
على بن يوسف فى اثنايها فى التاريخ المذكور فقدم اصحابه ولده اسحق بن
على وجعلوه نايب اخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر امر عبد
المومن ودانت له الجبال وفيها غمارة وتادلة والصامدة وهم امم
لا تحصى فخاف تاشفين واستشعر القهر وتيقن ان دولتهم ستزول
فاتى مدينة وهران وهى على البحر وقصد ان يجعلها مقره فان
غلب عن الامر ركب منها فى البحر الى بر الاندلس يقيم بها كما فعله بنى
اميه عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد وفى ظاهر وهران
ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وباعلاها رباط ياوى اليه المتعبدون
وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلثين وخمسمايه
صعد تاشفين الى ذلك الرباط ليحضر الختم فى جماعة من خواصه وكان

عبد المؤمن جمعه وناجره وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته واتفق انه
ارسل منسرا الى وهران فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من
شهر رمضان ومقدمهم الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي
فكمنوا عشية واعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصدوه
واحاطوا به واحرقوا ابابه فايقنوا الذين فيه بالهلاك وخرج تاشفين
راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس وينجوا فترامى لرعه
ولم يمكنه اللجام حتى تردى من جرف هنالك الى جهة البحر على حجارة
في وعر فتكسر تاشفين وهلك للوقت وقتل الخواص الذين كانوا
معه وكان عسكره في ناحية اخرى لا علم لهم بما جرى في الليل وجاء
الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمي ذلك الموضع
الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن
من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهي مدينتان قديمه ومحدثه
بينهما شوط فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واخذها في سنة
اربعين وخمس مايه ثم قصد مراكش في سنة احدى واربعين فحاصرها
احد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه
بعد موت ابيه علي بن يوسف بن تاشفين نايبا عن اخيه تاشفين فاخذها
وقد بلغ القحط من اهلها الجهد واخرج منها اسحق بن علي ومعه سير بن

الحاج وكان من الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين واسحق دون البلوغ
فعزم عبد المومن ان يعفوا عن اسحق لصغر سنه فلم توافقه خواصه
وكان لا يخالفهم فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المومن في القصبة
وذلك في سنه اثنتين واربعين وخمس مايه وانقرضت دولة بني تاشفين
قلت وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد ان يوسف بن تاشفين عاد
الى الاندلس في العام الثاني من وقعة الزلاقه وذكرت هاهنا
ما يدل على انه ما عاد الى هاهنا يعني الاندلس وانما نوابه هم
الذين اخذوا بلاد الاندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب
ان هذا متناقض والعذر في هذا انني وجدته في ترجمة بني عباد على
تلك الصوره ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة والله اعلم بالصواب
ثم رايت في كتاب تذكير الغافل تاليف البياسي ان ابن تاشفين لما جاز
البحر قصد اشبيليه فخرج ابن عباد الى لقايه ومعه الضيافه والاقامه
ثم خرج من اشبيليه بعضه وقضيضه قاصدا بطليوس وجرت
الواقعه المشهورة المذكوره ثم عاد ابن تاشفين الى بلاده وان ابن عباد
جاز البحر ومضى اليه في سنة احدى وثمانين واستنجده على ما جاوره
من بلاد العدو فكان معه ابن تاشفين واجابه الى انجاده ثم عاد ابن
عباد الى بلاده واستعد ابن عباد للعدو ولحقه ابن تاشفين في ترجمـ

سنه احدى وثمنين ثم خرج اللاذ فونش في جيش كثيف وكان ملوك
الاندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد
بالجمع الكبير رحل عن مكانه وراوه خواصه ان ملوك الاندلس
يفرون عنه ويخلون بينه وبين اللاذ فونش فاصغى الى كلامهم وعمل
في نفسه قولهم فاخذ في الحركة الى البرية وتحرك الجميع لحركته وجاز
البحر عايدا الى بلاده وقد وعر صدره على ملوك الاندلس وتبين
لهم تغيره عليهم وخافوه فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الاقوات
وارسل بعضهم الى اللاذ فونش ليكون عونا له خوفا من ابن تاشفين
فاجابه اللاذفونش الى الاعانة والمساعدة وكان قد سير له هدايا
والطافا كثيرة فقبلها وحلف له على جميع ما التمس منه واتصل ذلك
بابن تاشفين فاستشاط غيظا ثم ان ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة
وقصد قرطبة وهي لابن عباد فوصلها في جمدى الاولى سنة
ثلث وثمنين وقد سبقه ابن عباد اليها فخرج اليه بالضيافة وجرى
معه على عادته ثم ان ابن تاشفين اخذ غرناطة من صاحبها عبد الله
ابن بلقين بن باديس بن حبوس وحبسه فطمع ابن عباد في غرناطة
وان ابن تاشفين يعطيه اياها فعرض له بذلك واعرض عنه ابن
تاشفين وخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عنه فقال انه قد جاءته

كتب من اشبيليه وهم خايفون من العدو المجاور لهم واستاذنه في
العود اليها فاذن له فعاد ثم رجع يوسف بن تاشفين الى بلاده وجاز
البحر في شهر رمضان من سنة ثلث وثمنين واقام ببلاده الى ان
دخلت سنه اربع وثمنين ثم عزم على العبور الى الاندلس لمنازلة ابن
عباد وبلغ ابن عباد ذلك فاخذ في التاهب والاستعداد ونزل
ابن تاشفين الى سبته وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن ابى
بكر فجاوز البحر وضايقوا بلاد ابن عباد فاستصرخ بالادفونش
فلم يلتفت اليه وكان ما ذكرناه والله اعلم وفي هذه الترجمة ذكر
للملثمين فنحتاج الى الكلام عليه والذى وجدته ان اصل هولاء القوم
من حمير بن سبا وهم اصحاب حل وسا ويسكنون الصحارى الجنوبيه
وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر واول
من جمعهم وحرضهم على القتال واطمعهم في تلك البلاد عبد الله بن
ياسين الفقيه وقتل في حرب جرت مع برغواطه واقام مقامه
ابو بكر بن عمر الصنهاجي الصحراوى المقدم ذكره ومات في حرب
السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه وهو
الذى سمى اصحابه المرابطين وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم
فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها سلفا عن سلف

وسبب ذلك ما قيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد فعله
الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم وقيل ان كان
سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم
فيطرقون الحي فياخذون المال والحريم فاشار عليهم بعض مشايخهم
ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدوا هم في البيوت
ملثمين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنوهم النساء فيخرجون عليهم
ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام
تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين
ابن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله وقيل ان سبب اللثام لهم ان
طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم
ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنسا فلما تحقق المشايخ انه
العدو امروا النسا ان يلبسوا ثياب الرجال ويضيقنه حتى لا
يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان
امامهم واستدار النسا بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعا عظيما
فظنه رجالا وقالوا هولاء عندهم حريمهم يقاتلون عنهم قتال الموت
والراي ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم
فبيناهم في جمع النعم من المراعي اذا اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين

النساء فقتلوا من العدو واكثروا وكان من قبل النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا تعرف الشيخ من الشاب ولا ينزعونه ليلا ولا نهارا ومما قيل في اللثام

قوم لهم درك العلى في حمير ... وان انتموا صنهاجة فهم هموا
لما حووا احراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش ابى بكر بن عمر الصنهاجي وخرج من سجلماسة في سنة اربع وخمسين واربع مايه وكان ابو بكر بن عمر قد اتى سجلماسة في سنة ثلث وخمسين وقاتل اهلها اشد قتال واخذها ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان والله اعلم

يوسف بن عبد المومن

ابو يعقوب يوسف بن ابي محمد عبد

المومن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب قد تقدم ذكر ابيه في حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع محمد بن عبد المومن استقل ولده يوسف بالملك وكان ولي العهد قبله اخوه محمد بن عبد المومن ونقش على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف ابيه وتحليف الجند له فظهر منه اشتغال بالراحه وانهمال على البطاله فخلعه يوسف وكان له اخ اخر اسمه ابو حفص

ولاه جزيرة الاندلس وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متقنا لان
اباه هذبه وقرنه وبأخوته اكمل رجال الحرب والمعارف فنشا
في ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفي قراءة العلم بين افاضل العلماء
وكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم
وكان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته
وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في
غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الامر اليهم لما علم من صلاحهم
لذلك وان الدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه فلما تمهدت
له الامور واستقرت قواعد الملك ودخل الى جزيرة الاندلس لكشف
مصالح دولته وتفقد احواله وكان ذلك في سنة ست وستين
وخمسمايه وفي صحبته مايه الف فارس من العرب والموحدين فنزل
باشبيلية فخافه الامير ابو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش
صاحب شرق الاندلس مرسيه وما انضاف اليها وحمل على قلبه فمرض
مرضا شديدا ومات وقيل ان امه سقته السم لانه كان قد
اسا العشرة على اهله وخواصه وكبراء دولته فنصحته واغلظت
له في القول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه وقتلته بالسم ٥
وكان موته في رجب سنة سبع وستين وخمس مايه باشبيليه ومولده

٥٩٦

93

في سنه ثمان عشره وخمس مايه في قلعة اعمال طرطوشه يقال لها
نشكله وهي من الحصون المنيعه ولما مات محمد بن سعد جا اولاده
وقبل اخوته الى الامير يوسف بن عبد المومن وهو باشبيليه فسلم اليه
جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لمحمد بن سعد فاحسن اليهم الامير
يوسف وتزوج اختهم وصاروا عنده في اعظم مكان ثم ان الامير يوسف
شرع في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الفرنج وكانوا قد استولوا
عليها فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تغير الى بلاد
طليطله وهي كرسي بلادهم واعظم قواعدهم ثم انه حاصرها فاجتمع
الفرنج كافة عليهم واشتد الغلا في عسكره فرجع عنها وعاد الى مراكش
وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد افريقيه وفتح مدينه قفصه
ثم دخل جزيرة الاندلس ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها
فحاصر مدينه شنترين شهرا فاصابه مرض فمات في شهر ربيع الاول
سنه ثمانين وخمس مايه وحمل في تابوت الى اشبيليه رحمه الله تعالى
وكان قد استخلف ولده ابا يعقوب بن يوسف المقدم ذكره وذكر
شيخنا ابن الاثير في تاريخه ان يوسف مات عن غير وصيه بالملك لاحد
من اولاده فاتفق راي قواد الموحدين واولاد عبد المومن على تمليك
ولده يعقوب فملكوه في الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك

بجمع كلمتهم لفتنهم من بلاد العدوة وكان خلع اخو عبد الله محمد بن عبد المومن
في شعبان سنة ثمان وخمسين واستبد حينئذ يوسف بالامر واجتمع
اكابر اصحابهم على توليه الامير يوسف بعد خلع اخيه وروى له شعر
لكنه ليس بالجيد فلم اذكر منه شيا واما محمد بن سعد المذكور
فيروى له

وحقها انها جفون تسل من لحظها المنون
لا صبر عنها ولا عليها الموت من دونها يهون
لا ركبن الهوى اليها يكون في ذاك ما يكون

قلت ثم وجدت هذه الابيات في كتاب الملح لابن القطاع وقد نسبها الى
ابي جعفر احمد بن صمادح البني والله اعلم وقال البياسي في حماسته
هو ابو جعفر احمد بن الحسين بن خلف بن البني الابدي والله اعلم
الا انه لم يذكر هذه الابيات ثم اورد البياسي لابي جعفر المذكور

صدني عن حلاوة التشييع اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا فرايت الصواب ترك الجميع

وله في صفة قنديل

وقنديل كان الضوء فيه محاسن من احب وقد تجلى
اشار الى الدجى بلسان افعى فشمر ذيله فرقا وولى

ولما مات ابو يعقوب يوسف بن تاشفين المذكور رثاه الاديب ابو بكر
يحيى بن مجبر الشاعر المقدم ذكره في ترجمة يعقوب بن يوسف هذا
بقصيدة طويلة اجاد فيها واولها

جل الاسى فاسئل دم الاجفان ما الشؤون لغير هذا الشان

ومردنيش بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر
النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة
الفرنج اسم العذرة واما بنشكله بضم الباء الموحدة وسكون الشين
المعجمه وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقي معروف لا
حاجة الى ضبطه والنبي في نسب الشاعر المذكور بكسر الباء
الموحدة وكسر النون وتشديدها والأبدي بضم الهمزة وتشديد
الباء الموحدة وكسر الدال المهملة هذه النسبة الى بلد بالاندلس
من كورة جيان بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها ولده محمد ٥

٨٤٥ أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي

الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد
الشامية والفراتية واليمنية قد تقدم في هذا الكتاب ذكر ابيه ايوب
وجماعة من اولاده وعمه اسد الدين شيركوه واخيه الملك العادل

ابي بكر وجماعة من اولاده وغيرهم من اهل بيته وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته اكثر من ان يحتاج الى التنبيه عليه اتفق اهل التاريخ على ان اباه واهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي بليدة في آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية بفتح الراء والواو وبعد الالف دال مهملة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء والروادية بطن من الهذبانية بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الالف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها ثم هاء وهي قبيلة كبيرة من الاكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من اهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعد الالف الثانية نون اخرى وجميع اهلها اكراد روادية ومولد نجم الدين ايوب والد صلاح الدين بها وشاذي اخذ ولديه اسد الدين شيركوه ونجم الدين ايوب وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد وقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم اجد احدا ذكر بعد شادي ابا آخر حتى اني وقفت على كتب كثيرة بالاوقاف والاملاك باسم شيركوه وايوب فلم ار

فيها ستوى شيركوه بن شادي وايوب بن شادي لاغير وقال لى بعض
كبرابيتهم هو شادي بن مروان وقد ذكرت ذلك فى ترجمة ايوب وشيركوه
ورأيت مدرجا رتبه الحسن ابن غريب بن عمران الحرشي تضمن ان
ايوب بن شادي بن مروان بن ابى على بن عنترة بن الحسن بن على بن احمد
ابن على بن عبد العزيز بن هدبه بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمرو
ابن مرة بن عوف بن اسامه بن بهيس بن الحرث صاحب الحماله بن عوف بن
ابى حارثه بن مرة بن نشبه بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن
بغيظ بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان بن الناس بن مضر
ابن معد بن عدنان ثم رفع بعد هذا في النسب حتى انتهى الى
آدم عليه السلم ثم ذكر بعد ذلك ان على بن احمد بن ابى على بن عبد
العزيز يقال انه ممدوح المتنبي ويعرف بالخراساني وفيه يقول
من جملة قصيدة

شرق الجو بالغبار اذا سار على بن احمد القمقام

واما حارثه بن عوف بن ابى حارثه صاحب الحماله فهو الذي حمل
الدما بين عبس وذبيان وشاركه في الحماله خارجه بن سنان اخو هرم بن
سنان وفيها قال زهير بن ابى سلمى المزني قصايد منها قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل

هذا آخر ما ذكره في المدبج وكان قد قرأه الى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين ابي المفاخر داود بن الملك المعظم وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنه تسعة عشر وستمئة والله اعلم انتهى ما نقلته من المدبج قلت ذكر شيخنا الحافظ عز الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري صاحب التاريخ الكبير في التاريخ الصغير الذي صنفه للدولة الاتابكية ملوك الموصل في فصل يتعلق باسد الدين شيركوه ونجم الدين ايوب وهو الاكبر ابنا شادي من بلد دوين واصلهما من الاكراد الروادية قد قدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنه العراق ٥ قلت وهذا مجاهد الدين كان خادما روميا ابيض اللون تولى شحنه العراق من جهة السلطان محمود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره وذكر والده وجماعة من اهل بيته وكان صاحب همه في عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد واسع الصدر والصبر في البذول والانفاقات والمطاوله والمراجعه اذا امتنع عليه الغرض وكانت تكريت اقطاعا له وكان خادم السلطان محمد

والد مسعود المذكور وبنى في بغداد رباطا ووقف عليه وقفا جيدا ومات
في رجب سنه اربعين وخمس مايه وهو بكسر الباء الموحدة وسكون
الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاي وهو لفظ اعجمي
معناه يوم جيد على التقديم والتاخير على عادة كلام العجم قال
شيخنا ابن الاثير فراى مجاهد الدين في نجم الدين ايوب عقلا ورايا
حسنا وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت اذ هي له قلت دزدار
بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الالف
راء وهو لفظ اعجمي معناه حافظ القلعه وهو الوالي ودز بالعجمي
القلعه ودار الحافظ وسار اليها ومعه اخوه اسد الدين فلما
انهزم اتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا قلت وهي
وقعة مشهورة خلاصتها ان مسعود ابن السلطان محمد السلجوقي المقدم
ذكره وعماد الدين زنكي صاحب الموصل قصدا حصار بغداد في
ايام الامام المسترشد فارسل الى قراجا الساقي واسمه برس صاحب
بلاد فارس وخوزستان يستنجد به فاتاه وكبس عسكرهما وانهزما
بين يديه وانكسروا ذكر في تاريخ الدولة السلجوقية انها كانت يوم
الخميس في شهر ربيع الاخر ثاني عشر الشهر المذكور سنة ست وعشرين
وخمس مايه على تكريت وقال اسامه بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي

ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه من حضر هذه الواقعة
مع زنكي في التاريخ المذكور في موضعين احدهما في ترجمة اتابك والثاني
في ترجمة تكريت رجعنا الى ما كنا فيه فوصل زنكي الى تكريت فخدمه نجم الدين
ايوب واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن نجم الدين
اليهم وسيرهم ثم ان اسد الدين قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما
فارسل مجاهد الدين اليهما فاخرجهما من تكريت فقصدا عماد الدين
زنكي قلت وكان اذ ذاك صاحب الموصل قال فاحسن عماد الدين
اليهما وعرفهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا وصارا من
جملة جنده فلما فتح عماد الدين بعلبك جعل نجم الدين دزدارها
فلما قتل زنكي قلت وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته قال فحضر
عسكر دمشق وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين ابق بن محمد
ابن بوري بن الاتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذي حاصره نور الدين
محمود بن زنكي في دمشق واخذها منه قال شيخنا ابن الاثير
فارسل نجم الدين ايوب الى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل
وقد قام بالملك بعد والده ينهي اليه الحال ويطلب منه عسكرا ليرحل
صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في اول
ملكه وهو مشغول باصلاح ملوك الاطراف المجاورين له فلم يتفرغ له

وضاق الامر على من هو فى بعلبك من الحصار فلما راى نجم الدين ايوب
حاله متناقصا خاف ان يوخذ منه قهرا ارسل فى تسليم القلعة
وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه
وسلم القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع
وصار عنده من اكابر الامراء واتصل اخوه اسد الدين شيركوه
بالخدمة النورية بعد قتل ابيه زنكى قلت وهو نور الدين محمود
صاحب حلب وكان يخدمه فى ايام والده فقربه نور الدين واقطعه
وكان يرى منه فى الحرب اثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته
فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره
قلت ثم خرج شيخنا ابن الاثير الى حديث سفر اسد الدين الى الديار
المصرية وما جدد لهم هناك وليس هذا الفصل بل نتم حديث
صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدا امره حتى نصير الى اخره
ان شا الله وسندرج فيه حديث المملكة وما صار اليه حالهم وان
كان قد تقدم فى ترجمة اسد الدين شيركوه طرف من اخبارهم
لكن ما استوفيته هناك اعتمادا على استيفائه ها هنا ان شاء الله تعالى
قلت اتفق ارباب التواريخ ان صلاح الدين مولده سنة اثنين وثلثين
وخمس مايه بقلعة تكريت لما كان ابوه وعمه بها والظاهر انهم ما اقاموا

بها بعد ولادة صلاح الدين الامدة يسيرة لانه قد تقدم القول
ان نجم الدين واسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه وصلا الى
عماد الدين زنكي فاكرمهما واقبل عليهما ثم ان عماد الدين زنكي قصد
حصار دمشق فلم تحصل له فرجع الى بعلبك فحاصرها اشهرا وملكها
في رابع عشر صفر سنة اربع وثلثين وخمس مايه كما ذكره اسامه بن منقذ
المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها وذكر ابو يعلى
حمزة المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلا
على تاريخ ابو الحسين هلال بن الصابي ان عماد الدين حاصر
بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة سنة ثلث وثلثين ثم ذكر
في مستهل سنة اربع وثلثين انه ورد الخبر بفراغ عماد الدين من
ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله اعلم واذا كان
كذلك فيكون قد خرجوا من تكريت في بقية سنة اثنين وثلثين التي
ولد فيها صلاح الدين او في سنة ثلث وثلثين لانهما اقاما عند
عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك واخذها
رتب فيها نجم الدين ايوب وذلك في اوايل سنة اربع وثلثين كما شرحنا
فيتعين ان يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة وتقديرا والله اعلم
ثم اخبرني بعض اهل بيتهم وقد سالته هل تعرف متى خرجوا من تكريت

فقال سمعت جماعة من اهلها يقولون انهم اخرجوا منها في الليلة
التي ولد فيها صلاح الدين فتشاموا به وتطيروا منه فقال بعضهم
لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما كان والله اعلم ولم يزل صلاح
الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد
الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين ايوب
خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه
لايحه والنجابه تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويوثره
ومنه تعلم صلاح الدين طرايق الخير وفعل المعروف والاجتهاد
في امور الجهاد حتى تجهز مع عمه اسد الدين شيركوه الى الديار
المصرية كما سنشرحه ووجدت في بعض تواريخ المصريين ان شاور
المقدم ذكره هرب من الديار المصرية كما سنشرحه من الملك المنصور
ابي الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس الدين اللخمي
المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره واخذ مكانه في
الوزاره كعادتهم في ذلك وقتل ولده الاكبر طي بن شاور فتوجه
شاور الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين ابي القسم محمود
ابن زنكي وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمايه
ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة فوجه

نور الدين معه اسد الدين شيركوه بن شادي في جماعة من عسكره
كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وهو كاره في السفر معهم
وكان لنور الدين في ارسال هذا الجيش غرضان احدهما قضاء حق شاور
لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثاني انه اراد استعلام احوال
مصر فانه كان يبلغه انها ضعيفه من جهة الجند واحوالها في غاية
الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك وكان كثير الاعتماد على
اسد الدين شيركوه لشجاعته ومعرفته وامانته فانتدبه لذلك
وجعل اسد الدين شيركوه بن اخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور
معهم فخرجوا من دمشق في جمدى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا
مصر واستولى على الامر في رجب من السنة وقال شيخنا القاضي
بهاء الدين ابو المحاسن المعروف بابن شداد المقدم ذكره في كتابه الذي
وسمه بسيرة صلاح الدين انهم دخلوا مصر في ثاني جمدى الاخرى سنة
ثمان وخمسين وخمس مايه والقول الاول اصح لان الحافظ ابا طاهر
السلفي ذكر في معجم السفر ان الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع
وخمسين وخمس مايه وزاد غيره فقال يوم الجمعه الثامن والعشرين
من جمدى الاخرى من السنه عند السيده نفيسه فيما بين القاهره
ومصر واحتز راسه وطيف به على مصر وبقيت جثته ثلاثة ايام

هناك تاكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعملت عليه قبة
قلت والقبة الى الان باقية على حالها تحت الكبش المستجد بناوه ورايت
فيه جماعة من الفقراء الجواليقية مقيمين وقد قيل ان الضرغام انما
قتل في رجب سنة تسع وخمسين وقد اتفقوا على ان الضرغام
قتل عند قدوم اسد الدين شيركوه وشاور الى مصر فما يمكن ان يكون
دخولهم مصر في سنة ثمان وخمسين لان الضرغام لا خلاف في قتله
في سنة تسع وخمسين وانه كان في اول وصولهم والحافظ السلفي
اخبر بذلك لانه كان مقيما في هذه البلاد وهو اضبط لهذه الامور
من غيره لان هذا فنه وهو من اقعد الناس به ولما وصل اسد
الدين وشاور الى البلاد المصرية واستولى عليها وقتلوا الضرغام
وحصل لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده
واستمرت اموره غدر باسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه
وحصروه في بلبيس وكان اسد الدين قد شاهد البلاد وعرف
احوالها وانها مملكة بغير رجال تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال
فطمع فيها وعاد الى الشام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة
تسع وخمسين وقال شيخنا ابن شداد في السابع والعشرين من ذي
الحجة سنة ثمان وخمسين بناء على ما قرره اولا ان دخولهم للبلاد كان

في سنة ثمان وخمسين واقام اسد الدين بالشام مدة مفكرا في عوده
الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين الى
سنة اثنين وستين وخمس مئة وبلغ شاور حديثه وطمعه في البلاد
فخاف عليها وعلم ان اسد الدين لا بد له من قصدها فكاتب
الفرنج وقرر معهم انهم يجيئون الى البلاد ويمكنهم منها تمليكا كليا
ليعينوه على استيصال اعدائه وبلغ نور الدين واسد الدين
مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافوا على الديار المصرية ان
يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز اسد الدين وانفذ معه
نور الدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه اسد الدين وكان
توجههم من الشام في شهر ربيع الاول سنة اثنين وستين وخمسمائه
وكان وصول اسد الدين الى البلاد مقارنا لوصول الفرنج اليها
واتفق شاور والمصريون باسرهم والفرنج على اسد الدين شيركوه
وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن البلاد
وانفصل اسد الدين راجعا الى الشام وكان سبب عود الفرنج
ان نور الدين جرد العساكر الى البلاد واخذ المنيطرة منهم في رجب
من هذه السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها
وكان سبب عود اسد الدين الى الشام ضعف عسكره بسبب

مواقعه الفرنج والمصريين وما قاسوه من الشدايد وعاينوه من الاهوال
وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد الى الشام
في بقية السنة وقد انضاف الى قوة الطمع في البلاد المصرية شدة الخوف
عليها من الفرنج لعلمه انهم قد كشفوها كما كشفها وعرفوها كما عرفها
فاقام بالشام على مضض وقلبه مطلق والقضاء يقوده الى شي قدر لغيره
وهو لا يشعر بذلك وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة الى الشام
وقيل انه عاد في ثامن عشر شوال من السنة والله اعلم ورايت
في بعض المسودات التي بخطي ولا اعلم من اين نقلته ان اسد الدين لما
طمع في الديار المصرية توجه اليها في سنة اثنين وستين وسلك طريق
وادي الغزلان وخرج عن اطفيح فكانت فيها وقعة البابين عند
الاشمونين وتوجه صلاح الدين الى الاسكندرية فاحتمى بها وحاصره
شاور في جمادى الاخرة من السنة ثم عاد اسد الدين من جهة الصعيد
الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا
الى الشام ثم ان اسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن شداد
وكان سبب ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون
الديار المصرية ناكثين بجميع ما استقر مع المصريين ومع اسد الدين طمعا
في البلاد فلما بلغ ذلك اسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون ان

سار مسرعا في انتهاز الفرصة الى قصد البلاد اما نور الدين فبالمال
والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج ولانه
كان قد حدث له نظر الى الحاجب الموصل بسبب وفاة على بن بكتكين
قلت هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل
وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبوري قال فانه توفي في ذي الحجة
سنة ثلث وستين وخمس مايه وسلم ما كان من الحصون في يده
لقطب الدين اتابك عدا اربل فانها كانت له من اتابك زنكي واما
اسد الدين بنفسه وماله واخوته واهله ورجاله ولقد قال لي
السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت اكره الناس للخروج في
هذه الدفعه وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان شاور لما احس بخروج
الفرنج الى مصر على تلك القاعده سير الى اسد الدين يستصرخه
ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله الى مصر في شهر ربيع
الاول سنة اربع وستين وخمس مايه ولما علم الفرنج بوصول
اسد الدين الى مصر على اتفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على
اعقابهم ناكصين وقد اقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور في
الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم

فلم يوصل اليهم شيئاً وعلقت مخاليب اسد الدين في البلاد وعلم انه متى وجد
الفرنج رخصة اخذوا البلاد وان شاور يلعب به تارة وبالفرنج اخرى
وملاكها فقد كانوا على البدعة المشهورة وتحقق اسد الدين ان لا سبيل
له الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجمع رايه على القبض
عليه اذا خرج اليه وكان الامراء الواصلون مع اسد الدين يترددون
الى خدمة شاور وهو يخرج في الاحيان الى اسد الدين يجتمع به وكان
يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ولم يتجاسر على قبضه
احد من الجماعة الا السلطان بنفسه وذلك انه لما سار اليهم تلقاه راكبا
فسار الى جانبه واخذ بتلابيبه وامر العسكر بان قصدوا اصحابه
ففروا ونهبهم العسكر وانزل شاور الى خيمة مفردة وفي الحال
ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول لا بد من راسه
جريا على عادتهم في وزرائهم فحز راسه وارسل اليهم وسيروا الى
اسد الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر ورتب وزيرا
وذلك في سابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمس مايه
ودام آمرا ناهيا والسلطان رحمه الله مباشرا للامور مقررا لها لمكان
كفايته ودرايته وحسن رايه وسياسته الى الثاني والعشرين
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة فمات اسد الدين قلت وقد تقدم

حديث اسد الدين وصورة موته فلا حاجة الى الاعادة وكذلك وفاة
شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد فى سيرة صلاح الدين
لكننى اتيت منه بالمقصود وحذفت الباقى ورايت بخطى فى بعض مسوداتى
ان اسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعا سابع شهر ربيع الاخر سنة
اربع وستين وخمس مايه وخرج اليه العاضد عبد الله العبيدى
اخر ملوك مصر المتقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر
الى الايوان وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه واظهر له شاور
ودا كثيرا فطلب منه اسد الدين مالا ينفقه فى عسكره فدافعه فارسل
اليه ان الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة فاذا خرجت
فكن على حذر منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم ان يعمل دعوة يستدعى
فيها اسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس اسد الدين
بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النورى وغيرهم
على قتل شاور واعلموا اسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور الى
اسد الدين وكانت خيامهم على شاطى النيل بالمقس فلم يجده فى خيمته
وكان قد راح الى زيارة قبر الامام الشافعى رضى الله عنه بالقرافه
فقال شاور فامضوا اليه فالتقوه فسار وا جميعا فاكتنفه صلاح
الدين وجورديك وانزلوه عن فرسه وكتفوه فهرب اصحابه فاخذوه

اسيرًا ولم يمكنهم قتله بغير اذن نور الدين وجعلوه في خيمة ورسموا عليه
جماعة فارسل العاضد يامرهم بقتله فقتلوه وسيروا راسه على نحو الى
العاضد وذلك في يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر
من السنة المذكورة وقيل ان اسد الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور
جهة اسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر فسلم
بعضهم على بعض وساروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله اعلم ثم ان العاضد
استدعى اسد الدين عقيب قتل شاور وكان في الخيم فدخل القاهرة
فراى جمعا كثيرا من العامة فخافهم فقال لهم ان مولانا العاضد امركم
بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه
وافاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش ثم انه مات
يوم الاحد لسبع بقين من جمادى الاخرة من السنة المذكورة بعلة
الخوانيق وقيل انه سم في حنك الوزارة لما خلع عليه وكانت وفاته بالقاهرة
ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلوة
والسلم فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة ايام وقيل ان العبيد الذين
دخلوا على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الاخر من
السنة المذكورة والله اعلم قلت وقد تقدم في ترجمة كل واحد من اسد
الدين وشاور ذكر شي من هذه الامور التي ذكرتها هاهنا وانما اعدت

الكلام هاهنا لانني استوفيتها هاهنا اكثر من هاهنا وايضا فان المقصود
من هذا كله سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من اول امره الى آخره
فاجبت ذكر ذلك على سياقة واحدة لئلا ينقطع الكلام فبقي ابتدا فاقول
ذكر المورخون ان اسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان
صلاح الدين يوسف بن ايوب وتمهدت القواعد ومشى الحال على احسن
الاحوال وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها
وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص
بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه الى الله تعالى
الى ان مات قال شيخنا ابن شداد سمعته رحمه الله تعالى يقول لما يسر الله
تعالى لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في
نفسي ومن حين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج
الى الكرك والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحايب الافضال
والانعام ما لم يورخ عن غير تلك الايام وهذا كله وهو وزير
متابع القوم لكنه يقول بمذهب اهل السنة غارس في بلاده اهل العلم
والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون
عليه من كل جانب ولا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين
وخمس مايه ولما عرف نور الدين استقرار امر السلطان صلاح الدين بمصر

اخذ حمص من نواب اسد الدين وذلك في رجب سنة اربع وستين
ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من
استقامة الامر بالديار المصرية علموا انه يملك بلادهم ويخرب ديارهم
ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الروم والفرنج جميعا
وقصدوا الديار المصرية فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما
يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد امرهم فسرقوا
حصن عكار من المسلمين واسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال
له خطلج العلم دار وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين
ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم
فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من السنة المذكورة فقصده
فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقائهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة
مجد الدين بن الداية وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين
فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امره وعاد يطلب الشام فبلغه امر
الزلازل بحلب التي اخربت كثيرا من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال
من السنة يطلب حلب فبلغه خبر موت اخيه قطب الدين بالموصل
قلت وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود قال وبلغه الخبر
وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ صلاح الدين

فصد الفرنج دمياط استعدّ لهم بتجهيز الرجال وجمع الالات اليها
ووعدهم بالامداد بالرجال ان نزلوا عليها وبالغ في العطايا والهبات
وكان وزيرًا متحكمًا لا ترد اوامره في شي ثم نزل الفرنج عليها واشتدّ زحفهم
وقتالهم عليها وهو رحمه الله تعالى يشنّ عليهم الغارات من خارج
العساكر تقاتلهم من داخل ونصر الله المسلمين به وبحسن تدبيره ورحلوا
عنها خايبين فاحرقت مناجيقهم ونهبت الاتهم وقتل من رجالهم
كثير من الخلق واستقرت قواعده وسيّر طلب والده نجم الدين ايوب ليتمّ
له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلم
فوصل والده اليه في جمدى الاخرة سنة خمس وستين قلت
هذا ذكر ابن شداد تاريخ وصوله الى مصر والصواب فيه هو الذي
ذكرته في ترجمته وسلك معه من الادب ما جرت به عادته والبسه
الامر كله فابى ان يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا
وانت كفؤ له ولا ينبغي ان تغير موضع السعاده فحكمه في الخزاين كلها
ولم يزل وزيرًا حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره قلت
اكثر ما نقلته في هذا الفصل من كلام شيخنا ابن شداد في سيرة صلاح
الدين وفيه زوايد من غيرها والذي ذكره شيخنا الحافظ عز الدين
ابن الاثير المذكور قبل هذا في تاريخ الاتابكي ان كيفيه ولايه صلاح

ان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على
العساكر وولاية الولاية يعني بعد موت اسد الدين منهم الامير عين
الدولة البارزوقي وقطب الدين خسرو ابن تليك وهو ابن اخي الهيجا
الهذباني الذي كان صاحب اربل قلت هو صاحب المدرسة التي
بالقاهرة ومنهم سيف الدين علي بن احمد الهكاري وجده كان صاحب
قلاع الهكارية قلت هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين احمد
ابن المشطوب وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال ومنهم
شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد
من هولاء خطبها لنفسه وقد جمع ليغالب عليها فارسل العاضد
صاحب مصر الى صلاح الدين وامره بالحضور اليه في قصره ليخلع عليه
خلع الوزارة وتوليه الامر بعد عمه وكان الذي حمل العاضد على ذلك
ضعف صلاح الدين فانه ظن اذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا
رجال كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة وانه
يضع على العسكر الشامي من يستميلهم اليه فاذا صار معه البعض
اخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها
من الفرنج ونور الدين ولله القايل اردت عمرو واراد الله خارجه
قلت هذا المثل مشهور بين العلماء وسياتي الكلام عليه بعد الفراغ

من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى عدنا الى الكلام الاول فامتنع
صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فالزمه واخذ كارها
ان الله ليعجب من قوم يقادون الى الجنة بسلاسل فلما حضر في
القصر خلع عليه خلع الوزاره الجبة والعمامه وغيرهما ولقب
الملك الناصر وعاد الى دار اسد الدين فاقام بها ولم يلتفت اليه
احد من اولئك الامراء يريدون الامر لانفسهم ولاحد منهم وكان
الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى معه قلت وقد تقدم ذكره في
ترجمة مستقلة قال ابن الاثير فسعى مع سيف الدين على بن احمد
حتى اماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين
الدوله والحارمى وابن تليك فمال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب
الدين الحارمى وقال له ان هذا صلاح الدين ابن اختك وملكه لك
وقد استقام له الامر فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه ولا
يصل اليك ولم يزل به حتى احضره ايضا عنده وحلفه له ثم حلف
الى قطب الدين ايضا وقال له ان صلاح الدين قد اطاعه الناس كلهم
ولم يبق غيرك وغير الياروقى وعلى كل حال فيجمع بينك وبين
صلاح الدين ان اصله من الاكراد فلا تخرج الامر عنه الى الاتراك
ووعده وزاد فى اقطاعه فاطاع صلاح الدين ايضا وعدل الى عين الدوله

الياروقي وكان اكبر الجماعة واكثرهم جماعة فلم تنفعه رقاه ولا نفذ فيه
سحره وقال انا لا اخدم يوسف ابدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره
فانكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضي الله امرا كان مفعولا وثبت
قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نايب عن الملك العادل نور الدين
والخطبه لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن امره وكان
صلاح الدين يكاتب نور الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته في
الكتب تعظيما ان يكتب اسمه وكان لا يفرده في كتاب بل يكتب الامير
الاسفهسلار صلاح الدين وكافه الامراء بالديار المصريه يفعلون كذا
واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال مما كان اسد الدين
قد جمعه وطلب من العاضد شيا يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس
اليه واحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف
امر العاضد فكان كالباحث عن حتفه بظلفه وارسل صلاح الدين
الى نور الدين يطلب منه ان يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال
اخاف ان يخالفك احد منهم فتفسد البلاد ثم ان البلاد اجتمعوا
ليسيروا الى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوه صلاح الدين
منهم شمس الدوله توران شاه بن ايوب قلت وقد تقدم ذكره في
ترجمة مستقلة وهو اكبر من صلاح الدين فلما اراد ان يسيره

قال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى اخيك انه يوسف الذي كان يقوم
في خدمتك وانت قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك حينئذ
واعاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقايم
مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد ازره وساعده
على ما هو بصدده فقال افعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل
بك ان شاء الله تعالى فكان معه كما قال ثم قال شيخنا ابن الاثير
بعد هذا في اوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية واقامة
العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمس مايه فقال
قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للامام المستضي
بالله امير المؤمنين وكان السبب في ذلك ان صلاح الدين يوسف بن ايوب
لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف امر العاضد ولم
يبق من العساكر المصرية احد كتب اليه الملك العادل نور الدين
يامره بان يقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية
فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب اهل مصر وامتناعهم من الاجابة
الى ذلك لميلهم الى دولة المصريين فلم يصغ نور الدين الى قوله وارسل
اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه واتفق ان العاضد مرض
وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة واستشار امراءه كيف

الابتدآء بالخطبة العباسية فمنهم من اقدم على المساعدة واشار بها
ومنهم من يخاف ذلك الا انه لا يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان
قد دخل الى مصر انسان اعجمي يعرف بالامير العالم وقد رايناه بالموصل
كثيرا فلما راى ما هم فيه من الاحجام قال انا ابتدئ بها فلما كان اول
جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضي بامر الله
فلم ينكر احد ذلك فلما كان الجمعة الثانية امر صلاح الدين الخطبا
بالقاهرة ومصر بقطع خطبة العاضد واقامة خطبة المستضي
بامر الله فلم ينكر عليه ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر
بلاد الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم
يعلم اهله واصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي
فلا ينبغي ان تنغص عليه هذه الايام التي بقيت من اجله فتوفي يوم
عاشوراء ولم يعلم بذلك ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى
على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين
قراقوش وهو خصي يحفظه قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة ايضا
قال وجعله كالاستاذ دار العاضد فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين
ونقل اهل العاضد الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل اولاده
وعمومته وابناءهم في ايوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم

واخرج من كان من العبيد والاماء فاعتق البعض ووهب البعض
واخلى القصر من اهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره
ممر الايام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد ارسل يستدعى
صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة منه فلم يمض اليه فلما توفى علم
صدقه وتخلفه عنه وكان ابتداء الدولة العبيدية بافريقيه والمغرب
فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين واول من ظهر منهم المهدى ابو محمد
عبيد الله وبنى المهدية وملك افريقيه كلها قلت هكذا ذكر شيخنا
ابن الاثير تاريخ المهدى عبيد الله على افريقيه والصواب فيه هو
الذى ذكرته فى ترجمته فكشف منه ثم قال ولما مات المهدى عبيد الله
قام بالامر من بعده ولده القايم ابو الحسن محمد ثم ذكرهم واحدا
واحدا حتى انتهى الى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم وكانت
مدة دولتهم مائتا سنة وست وستين سنة وكان مقامهم بمصر مائتى
سنه وثمان سنين وملك منهم اربعة عشر المهدى والقايم
والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر
والمستعلى والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد
آخرهم قلت وقد ذكرت كل واحد من هولاء بترجمة مستقلة فى هذا
الكتاب فمن اختار الوقوف على احواله فليطلبه فى اسمه ولا حاجة الى ذكره

هاهنا وقال شيخنا ابن الاثير وقد اتينا على ذكر ما اجملناه مستقصى
في التاريخ الكبير يعني كتابه الذي سماه الكامل وهو مشهور وهو من انفع
الكتب في بابه قال ولما استولى صلاح الدين على القصر وامواله
وذخايره اختار منه ما اراد ووهب اهله وامراه وباع منه
كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك
من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب
الزمرد طوله نحو قبضة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن
الكتب المستحسنة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مايه
الف مجلد ولما خطب الامام المستضي بامر الله بمصر ارسل اليه
نور الدين يعرفه ذلك فحل عنده اعظم محل وسير اليه الخلع الكامله
مع عماد الدين صندل المقتفي اكراما له لان عماد الدين المذكور
كان كبير القدر في الدولة العباسيه وكذلك ايضا سير خلعا
لصلاح الدين الا انها اقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام
السود لتنصب على المنابر وكانت هذه اول هبة عباسية دخلت
مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير
قلت ولما وصل الخبر الى الامام المستضي بامر الله ابي محمد الحسن
ابن الامام المستنجد وهو ولد الامام الناصر لدين الله بما تجدد من

امر مصر وعود السكة والخطبة بها باسمه بعد انقطاعهما بمصر من
هذه المدة الطويلة نظم ابو الفتح محمد بن سبط بن التعاويذي المقدم
ذكره قصيدة طنانة مدح بها الامام المستضي وذكر هذا الفتوح
المتجدد له وفتوح بلاد اليمن ايضا وهلاك الخارجي بها الذي سمى
نفسه المهدي وذلك في سنة احدى وسبعين وخمس مايه وكان
صلاح الدين قد ارسل له من ذخاير مصر واسلاب المصريين
شيا كثيرا واولها

قل للسحاب اذا حدته يد الجنايب فارجحن
عج باللوى فاسح بدمعك للمعاهد والدمن
يا منزل الانس البهيج وملعب الحي الاغن
سكنت بك الارام من بعد الاحبة والسكن
اين استقلت بالحبيب ركابه ومتى ظعن
شوقي الى زمن الحمى سقى الغوادي من زمن
شوق المغرب شردته يد البعاد عن الوطن
ولقد عهدتك والزمان يشملنا بك ما فطن
وارك ما اعمرت مسارحه وماك ما اجن
وظباوك الاترك لي وطن وتربك لي وطن

لام العذول وما درى وجدى وبلبالى بمن
وجدى بمن فضح القضيب واخجل الظبى الاغن
ماض من هوى فتنتى لو كان يرحم من فتن
دمعى طليق فى محبته وقلبى مرتهن
يا محنتى اودى الصدود بعاشق بك ممتحن
عاد ثنه وقفا على العبرات بعدك والحزن
كلف الفواد معذبا بين الاقامة والظعن
عطفا على قرح الجفون بعيد عهد بالوسن
لا تبخلى فالبخل يذهب بهجة الوجه الحسن
ولرب ليل بت فيه صريع باطية ودن
اختال من مرح واسحب فضل ذيلى والردن
مع محطف لدن القوام اذا انثنى رخص البدن
لكننى كفرت ليلة زرته عنه وعن
بمدايحى للمستضئ ابى محمد الحسن
المستقر من الخلافة فى الشواهق والقنن
ومنها ايضا
يا جار يلى فى العهد من سنن النبى على سنن

تاجاً معاً خلق النبوة والخلافة في قرن
دانت لهيبتك الممالك والمعاقل والمدن
بالمشرفيات الصوارم والمثقفة اللدن
وانتك اسلاب الملوك من الصعيد الى عدن
سلب الدعي بارض مصر والمضلل في اليمن
مما اقتناه دو رعين في القديم وذو يزن
وشفيت منهم بالظبا تلك الظغاين والاحن
لم تغن عنهم حين دعتهم الحصون ولا الجنن
امست سبايا هم تقاد اذلة قود البدن
غادرت عرض بلادهم عرض النوايب والمحن
في كل يوم من جيوشك غارة فيها تشن
واعدت سنن الاولياء المومنين بها علن
ودحضت ما افتنه اثار الخوارج من درن
فكان دعوتهم على تلك المنابر لم تكن
وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه ايضا
بقصيدة اخرى اشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطري منها سوى
غزلها فاحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة وهي

اهلاً بطلعة زائرٍ فضح الدجى بضيائها
سمح الزمان بوصلها فدنت على عدوائها
باتت تعاطيني المدام وكنت من اكفائها
فسكرت من الحاظها وغنيت من صهبائها
سضاء قتلى دائها من نائها وثوائها
فاذا دنت جفونها واذا نات اجفانها
لا يلتقي ابداً مواعدها بيوم وفائها
الشمس من ضرّاتها والبدر من رقبائها
والصبح فوق لثامها والليل تحت ردائها
مضرية تسمى اذا انتسبت الى حمرائها
بانت واطراف الرماح تجول حول خبائها
فالموت دون فراقها والموت دون لقائها
ولقد مررت بربعها بعد النوى وفنائها
والعين في الاطلال ساكنة على اطلالها
فوقفت انشد في مطالعها بدور سمائها
وبكيت حتى كدت اعطف بانتي جرعائها
يا موحش العين التي انست بطول بكائها

غادرت بين جوانحي يعسًا تموت بدايها
يشتاق عيني ان تراك وانت في سودايها
فاذا خلت بنظرة سمحت بجمّة مايها
فكانها كف الخليفة اسبلت بعطايها

وبعد هذا شرع في المنح واحسن فيها جميعها وساذكر بعد هذا عند اواخر الترجمة شيًا من مدايحه في صلاح الدين رحمه الله تعالى فقد كان يسير قصايده اليه من بغداد فصل اولا الى القاضي الفاضل ومهما يمدح للفاضل وهو الذي يعرض قصايده على السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الاثير بعد هذا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا وفي سنة سبع وستين ايضا حصل ما اوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين ارسل الى صلاح الدين يامره ان يجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع ايضا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعا هناك على حرب الفرنج والاستيلا على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتاخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز واقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما اتاه الخبر بذلك رحل عن دمشق

عازمًا على قصد الكرك فوصل اليه واقام ينتظر وصول صلاح الدين
اليه فاتاه كتاب يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد وانه يخاف
عليها مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب
تقاعده ان اصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم
يمتثل امر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول
الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع اهله
وفيهم والده نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامرا
واعلمهم ما بلغه عن نور الدين وعزمه على قصده واخذ مصر منه واستشارهم
فلم يجبه احد منهم بشيء فقام تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين قلت وقد
تقدم ذكره ايضًا في ترجمة مستقلة قال وقال اذا جاء قاتلناه وصددناه
عن البلاد ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر عليهم
ذلك واستعظمه وكان ذا راي ومكر وعقل وقال لتقي الدين اقعد
وشتمه وسبه وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك
اتظن في هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله
لو رايت انا وخالك هذا شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا ان نترجل له ونقبل
الارض بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا
نحن هكذا فكيف يكون غيرنا وكل من تراه من العساكر والامراء لو راى نور الدين

وحده لم يتحاشى على الثبات على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض
بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها وان اراد عزلك فاي حاجة
له الى المجي بنفسه يامرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته وتولى بلاده من
يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين وعبيده
يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب اكثرهم الى نور الدين
يعلمه بالخبر ولما خلا نجم الدين ايوب بولده صلاح الدين قال له انت جاهل
قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكبير وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع
نور الدين انك عازم على منعه البلاد جعلك اهم الامور اليه واولاها
بالقصد ولو قصدك لم ترى معك احدا من هذا العسكر وكانوا اسلموك
اليه واما الان بعد المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولي فتكتب انت
اليه وترسل في المعنى وتقول اي حاجة الى قصدي يجي نجاب ياخذني
بحبل يضعه في عنقي فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل ما
هو اهم عنده والايام تندرج والله عز وجل كل يوم هو في شان ففعل
صلاح الدين ما اشار به والده فلما رأى نور الدين الامر هكذا عدل عن
قصده وكان الامر كما ذكر نجم الدين ومات نور الدين ولم يقصده وهذا
كان من احسن الاراء واجودها انتهى ما ذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن
شداد في السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان

وافاضة الانعام على الناس الى سنة ثمان وستين وخمس مايه فبعد ذلك
خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وانما بداء بها لانها كانت اقرب
اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصريه وكان لا يمكن ان تعبر
قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فاراد توسيع الطريق وتسهيلها
فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد ولم يظفر
منها بشي ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين قبل وصوله اليه قلت
وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته قال ولما كان سنه تسع وستين
راى قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه ان باليمن انسانا قد استولى عليها
وملك حصونها يسمى عبد النبي بن مهدي فسير اخاه توران شاه اليه فقتله
واخذ البلاد منه وقد بسطت القول في ذلك في ترجمته فلا حاجة الى
اعادته وبلغ صلاح الدين ان انسانا يقال له الكنز جمع باسوان خلقا
كثيرا من السودان وزعم انه يعيد الدولة المصريه وكان اهل مصر يوثرون
عودهم فانضافوا الى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين جيشا كثيفا وجعل
مقدمه اخاه الملك العادل سيف الدين ابو بكر وساروا فالتقوا وكسروهم
وذلك في سابع صفر سنه سبعين وخمس مايه واستقرت له قواعد
الملك وكان نور الدين رحمه الله تعالى قد خلف ولده الملك الصالح اسمعيل
المذكور في ترجمة ابيه وكان بدمشق عند وفاة ابيه وكانت قلعة حلب

شمس الدين على بن الداية وشاذبخت وكان ابن الداية قد حدثت نفسه بامور
فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها فى المحرم من سنة
سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن ولما دخل الملك الصالح
القلعه قبض على شمس الدين واخيه حسن المذكور واودع الثلثه السجن
وفى ذلك اليوم قتل ابو الفضل بن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل
بل قتل قبل قبض اولاد الداية بيوم لانهم تولوا تدبير ذلك ثم ان
صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم ان ولده الملك الصالح لا يستقل
له الامر لانه صبى ولا ينهض باعباء الملك واختلفت الاحوال بالشام
وكاتب شمس الدين بن المقدم صلاح الدين فتجهز من مصر فى جيش كثيف
وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا مصلحة الملك الصالح
فدخلها بالتسليم فى يوم الثلثا سلخ شهر ربيع الاخر سنة سبعين وخمسمايه
وتسلم قلعتها وكان اول دخوله دار ابيه قلت وهى الدار المعروفه
بالشريف العقيقى وهى اليوم قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك
بالعقيقى قال واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق فى ذلك اليوم مالا
جزيلا واظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعه وسار الى حلب
فنازل حمص واخذ مدينتها فى جمدى الاولى من السنه ولم يشتغل بقلعتها
وتوجه الى حلب ونازلها فى سلخ جمدى الاولى من السنه يوم الجمعه وهى

الوقعة الاولى ثم ان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين
زنكي صاحب الموصل لما احس بما جرى علم ان الرجل قد استفحل امره وعظم
شانه وخاف ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك
وتعدى الامر اليه فانفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه اخاه
عز الدين محمود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاه ليردوه
عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب
من السنة عايدا الى حماه ورجع الى حمص فاخذ قلعتها ووصل عز الدين
مسعود الى حلب واخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح نور الدين صاحب
حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم ولما عرف صلاح الدين بمسيرهم
سار حتى وافاهم على قرون حماه وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحوه
فما صالحوه وراوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضا
يجرهم الى امور وهم لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى انهم انكسروا
بين يديه وهم صاغرون واسر جماعة منهم فمن عليهم بالاطلاق وذلك
في تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قرون حماه ثم سار عقيب
كسرتهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على المعرة وكفر طاب
وبارين ولما جرت هذه الواقعة كان سيف الدين غازي يحاصر اخاه عماد الدين
صاحب سنجار وعزم على اخذها منه لانه انتمى الى صلاح الدين وكان

فمن قارب أخذها فلما بلغه الخبر وان عسكره انكسر خاف ان يبلغ اخاه
عماد الدين الخبر فيشتد امره ويقوى جاشه فراسله وصالحه ثم سار من
وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار الى البيرة
وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وارسل الى ابن عمه الملك الصالح بن
نور الدين صاحب حلب حتى يستقر له قاعدة يصل عليها ثم انه وصل الى
حلب وخرج الملك الصالح الى لقائه واقام على حلب مدة وصعد قلعتها
جريدة ثم نزل وسار الى تل السلطان قلت وهي منزلة بين حلب
وحماه قال ومعه جمع كبير وارسل صلاح الدين الى مصر طلب عسكرها
فوصل اليه وسار به حتى نزل تل السلطان ثم تصافوا بكرة يوم الخميس
العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت
ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين قلت هو صاحب اربل
المقدم ذكره قال فانه كان على ميمنة سيف الدين فحمل صلاح الدين بنفسه
فانكسر القوم واسر منهم جمعا كبيرا من الامراء وغيرهم فمن عليهم بالاطلاق
وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها خزاينه وسار حتى عبر الفرات
وعاد الى بلاده ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل بقيه ذلك اليوم
في خيامهم فانهم تركوا اثقالهم وانهزموا ففرق صلاح الدين الاصطبلات
ووهب الخزاين واعطى خيمة سيف الدين لابن اخيه عز الدين فرخشاه

قلت هو شاهان شاه بن ايوب وهو اخو تقي الدين عمر صاحب حماه
وفرخشاه صاحب بعلبك وهو والد الملك الامجد صاحب بعلبك قال
وسار الى منبج فتسلمها ثم سار الى قلعة عزاز فحاصرها وذلك في
رابع ذي القعدة سنة احدى وسبعين وعليها وثب جماعه من الاسماعيليه
على صلاح الدين فنجاه الله تعالى منهم وظفر بهم واقام عليها حتى اخذها
في رابع عشر ذي الحجه من السنه ثم سار فنزل على حلب في سادس
عشر الشهر المذكور واقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد
اخرجوا اليه ابنة صغيرة لنور الدين سالته اعزاز فوهبها لها ثم عاد
صلاح الدين الى مصر ليتفقد احوالها وكان مسيره اليها في شهر ربيع
الاول سنة اثنين وسبعين وكان اخوه شمس الدوله توران شاه قد
وصل من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم تاهب للغزاه وخرج يطلب
الساحل فوافى الفرنج على الرمله وذلك في اوايل جمادى الاولى سنة
ثلث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم قلت وذلك
لامر يطول شرحه فلما انهزموا لم يكن لهم حصن ياوون اليه فطلبوا جهة
الديار المصريه وضلوا في الطريق وتبددوا واسر منهم جماعه منهم
الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهنا عظيما جبره الله تعالى بوقعة
حطين المشهوره واما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط امره وقبض على

كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله ولما سمع
الفرنج بقتله نزل الفرنج على حارم طمعا وذلك في جمادى الآخرة من السنة فلما
راى اهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها للملك الصالح في العشر الاخر
من شهر رمضان من السنة فرحل الفرنج عنها واقام صلاح الدين بمصر حتى
لم شعثه وشعث اصحابه من كسرة الرملة ثم بلغه تخبط الشام فعزم
على العود اليه واهتم للغزاة فوصله رسول قليج ارسلان يلتمس الصلح
ويتضور من الارمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون قلت وهي بلاد سيس
الفاصله بين حلب والروم من جهة الساحل لينصر قليج ارسلان عليه
فتوجه اليه واستدعى عسكر حلب لانه كان في الصلح انه متى استدعاه
حضر اليه ودخل بلاد ابن لاون واخذ في طريقه حصنا واخربه فرغبوا
اليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم ثم ساله قليج ارسلان في صلح الشرقيين
باسرهم فاجاب الى ذلك وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الاولى سنة
ست وسبعين وخمس مايه ودخل في الصلح قليج ارسلان والمواصله وعاد
صلاح الدين بعد تمام الصلح الى دمشق ثم منها الى مصر ثم توفي الملك الصالح
في التاريخ المذكور في ترجمة والده وكان امرا حلب قد استحلفوا اجنادها
لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل قلت وقد تقدم ذكره وهو
ابن قطب الدين مودود قال فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته

قام مقامه عز الدين اخوه المذكور فلما بلغ عز الدين المذكور خبر موت
الملك الصالح وانه اوصى له بحلب بادر الى التوجه اليها خوفا ان يسبقه
صلاح الدين فياخذها فكان اول قادم وصل اليها مظفر الدين بن زين الدين
قلت هو صاحب اربل وكان اذ ذاك صاحب حران وهو مضاف
الى المواصلة لان تلك البلاد كانت لهم قال فوصلها مظفر الدين في
ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفي العشرين منه وصلها عز الدين
مسعود وصعد القلعة واستولى على ما بها من الحواصل وتزوج ام الملك
الصالح في خامس شوال من السنة قلت ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد
هذا امورا ذكرتها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة اخيه
عماد الدين زنكي وترجمة تاج الملوك بوري اخي صلاح الدين فلا حاجة لي
اعادتها هاهنا فمن اراد الوقوف عليها يكشفها من هذه التراجم
قلت وحاصل الامر ان عز الدين مسعود قايض اخاه عماد الدين زنكي
صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين
زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره فلم تقدر عماد الدين على حفظ حلب
وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع
وسبعين وخمس مايه وقال ابن شداد في سادس عشر المحرم والله اعلم
فتحدث عماد الدين زنكي مع الامير حسام الدين طمان ابن غازي في السر بما يفعله

فاشار عليه بان يطلب منه بلادا وينزل له عن حلب بشرط ان يكون له جميع
ما في القلعه من الاموال فقال له عماد الدين وهذا كان في نفسي ثم اجتمع
حسام الدين طمان في السر بصلاح الدين على نفر من القاعة في ذلك فاجابه
صلاح الدين الى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج
ودفع لطمان الرقه لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع
عشر صفر من السنه وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار واخذ في ثاني
شهر رمضان سنه ثمان وسبعين واعطاها لابن اخيه تقي الدين عمر فلما
جرى الصلح على هذه الصورة اعطاها لعماد الدين وتسلم صلاح الدين قلعه
حلب وصعد اليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنه تسع وسبعين
وخمس مايه واقام بها حتى رتب امورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من
شهر ربيع الاخر من السنه وجعل فيها ولده الملك الظاهر المقدم ذكره في
ترجمة مستقلة وكان صبيا وولى القلعة سيف الدين يازكوج الاسدي
وجعله يرتب مصالح ولده ثم سار صلاح الدين في التاريخ المذكور قال
ابن شداد وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب
من السنه وسير الى اخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به
على الكرك فسار اليه بجمع كثير وجيش عظيم واجتمع به على الكرك في رابع
شعبان من السنه فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا واحتفلوا كثيرا وجاوا الى الكرك

لتكونوا فى قباله عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على العساكر المصريه
فسير اليها ابن اخيه تقى الدين عمر ورحل عن الكرك فى سادس عشر
شعبان من السنه واستصحب اخاه الملك العادل معه ودخل دمشق
فى الرابع والعشرين من شعبان من السنه واعطاه حلب ودخلها يوم
الجمعه الثانى والعشرين من شهر رمضان من السنه وخرج الملك الظاهر
وبازكوج يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنه وكان الملك
الظاهر احب اولاد ابيه اليه لما فيه من الخلال الحميده ولم ياخذ منه حلب
الا لمصلحة راها فى ذلك الوقت وقيل ان العادل اعطاه على اخذ حلب
ثلثمايه الف دينار يستعين بها على الجهاد والله اعلم ثم ان صلاح الدين
راى ان عود العادل الى مصر وعود الظاهر الى حلب اصلح قيل كان
سبب ذلك ان الامير علم الدين سلمان بن جندر قال لصلاح الدين
وكان بينهما موانسه قبل ان تملك البلاد وقد سار توا وكان من امراء
حلب وكان الملك العادل لا ينصفه وقدم عليه غيره وكان صلاح الدين
قد مرض على حصار الموصل وحمل الى حران واشرف على الهلاك فلما
عوفى ورجع الى الشام واجتمعا فى المسير قال له وكان صلاح الدين قد
اوصى لاولاده كل واحد بشى من البلاد باى راى كنت تظن ان وصيتك
تمضى كانك كنت خارج الى الصيد وتعود فلا يخالفونك اما ترى ان الطاير

اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذاك وهو يضحك قال اذا اراد الطائر
ان يعمل لفراخه عشا قصد اعالى الشجر ليحمى فراخه وانت سلمت الحصون
لاهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب وهى ام البلاد بيد اخيك
الملك العادل وحماه بيد ابن اخيك تقى الدين وحمص بيد ابن اسد الدين
وابنك الافضل مع تقى الدين بمصر يخرجه منها متى شاء وابنك الاخر
مع اخيك فى خيمه يفعل به ما اراد قال صدقت واكتم هذا الامر ثم اخذ
حلب من اخيه واعطاها ابنه الملك الظاهر واعطى الملك العادل بعد
ذلك حران والرها ومما فارقين ليخرجه من الشام وتوفر الشام
لاولاده فكان ما كان وقد تقدم فى ترجمة عز الدين مسعود بن قطب
الدين مودود وصاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على
الموصل وحصارها مرات ولم يقدر عليها قال شيخنا ابن الاثير
فى تاريخه انه نزل عليها فى المرة الثانيه وكان زمان الشتاء وعزم
على المقام واقطع جميع بلاد الموصل وكان نزوله فى شعبان من السنه
احدى وثمانين وخمس مائه فاقام شعبان وشهر رمضان وترددت
الرسل بينه وبين صاحبها فبيناهم كذلك اذ مرض صلاح الدين وعاد
الى حران والحقته الرسل بالاجابه الى ما طلب وتم الصلح على ان يسلم
اليه صاحب الموصل شهرزور واعمالها وولايه القرابلى وما وراء الزاب

وان تخطب له على المنابر وتنقش اسمه على السكة فلما حلفا ارسل صلاح
الدين نوابه وتسلم البلاد التى استقرت القاعدة على تسليمها وطال
مرض صلاح الدين واشتد حتى اسوا منه خلف الناس منهم وكان
عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان واخو العادل جاءه من حلب
وهو ملكها يومئذ وجعل لكل واحد شيئاً وجعل العادل وصيّاً
على الجميع ثم انه عوفى وعاد الى دمشق فى المحرم سنه اثنتين
وثمانين ولما كان مريضا بحران كان عنده ناصر الدين محمد بن عمه
وله من الاقطاع حمص والرحبه فسار من عنده الى حمص واجتاز
بحلب واحضر جماعة من الاحداث ووعدهم واعطاهم مالا ولما
وصل الى حمص راسل جماعة من اهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق
اليه اذا مات صلاح الدين فعوفى صلاح الدين ولم يمض قليلا حتى مات
ناصر الدين المذكور ليلة عيد النحر من السنه شرب الخمر واكثر منه
فاصبح ميتا وقيل ان صلاح الدين وضع عنده انسانا نحضر عنده
ونادمه وسقاه سما فلما اصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص
وكان يقال له الناصح بن العميد فسألوا عنه فقيل انه سار من ليلته
وكان هذا مما قوى الظن والله اعلم فلما توفى اعطى اقطاعه ولده
شيركوه وعمره اثنتى عشرة سنة وخلف من الاموال والدواب

والاثاث شيا كثيرا فحضر صلاح الدين الى حمص واستحضر تركته واخذ
اكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه ثم قال شيخنا بعد هذا كله
وبلغني ان شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة
فقال له الى اين بلغت في القرآن فقال له الى قوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
فعجبت الجماعة والحاضرون من ذكاية والله اعلم بصحة ذلك ٥
قال ابن شداد ولما وصل صلاح الدين الى دمشق عقيب مرضه وابلاله
شيئا طلب اخاه الملك العادل فخرج من حلب جريدة ليلة السبت
الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة اثنين وثمنين ومضى الى
دمشق فاقام في خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما احاديث كثيرة
ومراجعات وقواعد تتقرر الى جمادى الاخرة من السنة فاستقر الامر
على عود الملك العادل الى مصر واخذت حلب منه وسار الملك الظاهر
اليها فدخل قلعتها يوم السبت سنة اثنين وثمنين وخمسماية وقد
ذكرت في ترجمة الظاهر انه دخل حلب مالكا لها في مثل يوم وفاته
وعينت هناك التاريخ واسم اليوم هكذا وجدته وما ادري من اين نقلته
وسلم السلطان ولده الملك العزيز الى الملك العادل وجعله اتابكه
قال ابن شداد قال لي الملك العادل لما استقرت بين القاعدة

اجتمعت بحضرة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت
للملك العزيز اعلم يا مولاي ان السلطان امرني ان اسير في خدمتك
الى مصر وانا اعلم ان المفسدين كثير ما يخلوا ان يقال عني ما لا يجوز
ويخوفوك مني فان كان لك عزم ان تسمع منهم فقل لي حتى لا اجي
فقال كيف ينبغي لي ان اسمع منهم او ارجع اليهم في رايهم ثم التفت الى
الملك الظاهر وقلت له انا اعرف اخاك ربما سمع في اقوال المفسدين
وانا فما لي الا انت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه
فقال له مبارك ووعده بكل خير وزوج السلطان صلاح الدين ولده
الملك الظاهر غازية خاتون ابنة اخيه الملك العادل ودخل بها يوم الاربعا
السادس والعشرين من شهر رمضان من السنه ثم كانت وقعه حطين
المباركه على المسلمين يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الاخر سنة ثلث
وثمانين وخمس مايه في وسط نهار الجمعه وكان كثيرا ما يقصد لقا العدو
في يوم الجمعه عند الصلاة تبركا بدعا المسلمين والخطبا على المنابر
فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع من المسلمين وكانت عدة تجوز الحصر والعد
على تعبية حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو انه اجتمع في
عدة كثيرة بمرج صفورية بارض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الاسلاميه
فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر

نصل الفرنج اذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور يوم الاربعا الحادي والعشرين
من شهر ربيع الآخر فلما رايتم لا يتحركون نزل حرده على طبريه وترك الاطلاب
على حالها قبالة العدو ونازل طبريه وهجمها واخذها في ساعة واحدة
وانهب الناس ما بها واخذوا في القتل والسبي والحريق وبقيت
القلعه محتميه بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبريه قلقوا لذلك
ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبريه من يحاصر قلعتها
ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبريه الغربي منها وذلك
في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر وحال الليل بين العسكرين
فناما على مصاف الى بكره يوم الجمعه الثالث والعشرين فركب العسكران
وتصادما والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قرية تعرف
بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون قد ايقنوا بالويل والثبور واحست نفوسهم
انهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم
والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق الا الظفر ووقوع الوبال
على من كفر فحال بينهما الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين
في سلاحه الى صبيحة يوم السبت فطلب كل واحد من الفريقين مقامه
وتحقق المسلمون ان من وراءهم الاردن ومن بين ايديهم بلاد العدو

وانهم لا ينجيهم الا الاجتهاد في الجهاد فحملت اطلاب المسلمين من جميع الجوانب
وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد فالقى الله الرعب في قلوب
الكافرين وكان حقا عليه نصر المؤمنين ولما احس القومص بالخذلان
هرب منهم في اوايل الامر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين
فنجى منهم وكفى الله شره واحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب
واطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كاس الحمام
وانهزمت طايفة منهم فتبعها ابطال المسلمين فلم ينج منهم احد
واعتصمت طايفة منهم بتل يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر
النبي شعيب عليه السلم فضايقهم المسلمون واشعلوا حولهم النار واشتد
بهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون للاسر خوفا
من القتل فاسر مقدمهم وقتل الباقون وكان ممن سلم من مقدميهم
الملك جفري واخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك وابن
الهنفري وابن صاحب طبريه ومقدم الديويه وصاحب جبيل ومقدم
الاسبتار قال ابن شداد ولقد حكى لي من اثق به انه راى بحوران
شخصا واحدا معه نيف وثلثين اسيرا وقد ربطهم بطنب خيمه لما وقع
عليهم من الخذلان ثم ان القومص الذي هرب في اول الامر وصل الى
طرابلس فاصابه ذات الجنب فهلك منها واما مقدمي الاسبتار والديويه

فان السلطان قتلهما وقتل من بقي من صنفهما حيا واما البرنس ارناط فان
السلطان كان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك لانه كان قد عبر به بالشوبك
قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح
الذي بينه وبين المسلمين فقال كلاما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان فحملته حميته ودينه على ان
هدر دمه ولما فتح الله تعالى عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لانها لم
تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسرى وصار الناس يتقربون بمن
في ايديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين ونصبت له
الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما انعم به واستحضر الملك الجفري
واخاه والبرنس ارناط وناول السلطان للملك جفري شربة من جلاب
وثلج فشرب منها وكان على اشد حال من العطش ثم ناولها البرنس وقال
السلطان للترجمان قل للملك انت الذي سقيته والا انا فما سقيته وكان
من جميل عادة العرب وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا اكل او شرب من
مال من اسره امن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم امر بمسيرهم الى
موضع عينه لهم فمضوا بهم اليه فاكلوا شيئا ثم عادوا بهم اليه ولم يبق
عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم واقعد الملك جفري في دهليز الخيمة
واستحضر البرنس ارناط واوقفه بين يديه وقال له ها انا انتصر لمحمد منك

ثم عرض عليه الاسلم فلم يفعل فسل البنجاه وضربه بها وحل كتفه
وتمم قتله من حضر واخرجت جثته ورميت على باب الخيمه فلما رآه الملك
جفرى على تلك الحال لم يشك في انه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه
وقال له لم تجر عادة للملوك ان يقتلوا الملوك واما هذا فانه تجاوز
الحد وتجرى على الانبياء صلوات الله عليهم وبات الناس في تلك
الليلة على اتم سرور وارتفعت اصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله
وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السلطان على طبريه يوم الاحد الخامس
والعشرين من شهر ربيع الاخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار واقام عليها
الى يوم الثلثا ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعا
سلخ شهر ربيع الاخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمدى الاولى
سنه ثلث وثمنين واخذها واستنقذ من كان بها من اسرى
المسلمين وكانوا اكثر من اربعة آلف نفس واستولى على ما فيها
من الاموال والذخاير والبضايع لانها كانت مظنة التجار
وتفرقت العساكر في بلاد الساحل ياخذون الحصون والقلاع
والاماكن المنيعه فاخذوا نابلس وحيفا وقيساريه وصفوريه والناصره
وكان ذلك لخلوها من الرجال لان الاسر والقتل افنى خلقا كثيرا
منهم ولما استقرت قواعد عكا ونهب اموالها وقسمها وفرق اسراها

سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الاحد حادى عشر جمدى الاولى وهى
قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها
وكان فيهم ابطال معدودون وحى دينهم متشددون فقاتلوا قتالا
شديدا ونصر الله تعالى عليهم فتسلمها منهم يوم الاحد ثامن عشره
واسر من بقى فيها بعد القتل ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها
فى غد يوم نزوله وهو يوم الاربعا العشرين من جمدى الاولى واقام
عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى اتى بيروت فنازلها ليلة الخميس
الثانى والعشرين من جمدى الاولى وركب عليها المناجنيق وداوم الزحف
والقتال حتى اخذها يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور
وتسلم اصحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من هذا الجانب
راى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها
ثم راى ان العسكر قد تفرق فى الساحل وذهب كل واحد
يحصل لنفسه وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب
والنزول وكان قد اجتمع فى صور من بقى فى الساحل من الفرنج فراى
قصد عسقلان اولا ونزل عليها يوم الاحد السادس عشر من جمدى
الاخرة من السنه وتسلم فى طريقه اليها مواضع كثيرة كالرمله والداروم
واقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها يوم السبت

سلخ جمدى الآخرة من السنه واقام عليها الى ان تسلم اصحابه غزة وبيت
جبريل والنطرون بغير قتال وكان بين فتح عسقلان واخذ الفرنج لها
من المسلمين خمسة وثلثون سنة فانهم كانوا اخذوها من المسلمين
في السابع والعشرين من جمدى الآخرة سنة ثمان واربعين وخمسمايه
هكذا ذكره ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه
الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا انهم اخذوها من المسلمين
في سابع جمدى الآخرة من السنه قال ابن شداد لما تسلم عسقلان والاما كن
المحيطه بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس
المبارك واجتمعت اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار
نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا امره اليه منتهزا الفرصه في فتح باب
الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب
خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه يوم
الاحد الخامس عشر من رجب سنة ثلث وثمنين وخمسمايه وكانت
نزوله بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتله من الخياله والرجاله
وحزر اهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتله فكانوا يزيدون على
ستين الفا خارجا عن النسا والصبيان ثم انتقل لمصلحة رآها الى
الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضايق

البلد بالزحف والقتال حتى اخذ النقب فى السور مما يلى وادى جهنم
ولما راى اعداء الله ما نزل بهم من الامر الذى لا مدفع لهم عنه وظهر
لهم امارات فتح المدينه وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم
لما جرى على ابطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم من التخريب
والهدم وتحققوا انهم صايرون الى ما صار اوليك اليه فاستكانوا
واخلدوا طلب الامان واستقرت القاعده بالمراسله بين
الطايفتين وكان تسلمه فى يوم الجمعه السابع والعشرين من رجب
وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القران الكريم فانظر الى
هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله تعالى عوده الى المسلمين فى مثل
زمان الاسرى بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعه
من الله تعالى وكان فتحا عظيما شهده من اهل العلم خلق ومن ارباب
الخرق والزهد عالم وذلك ان الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على
يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء من مصر والشام
والشام بحيث لم يتخلف احد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج والدعاء
والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعه يوم فتحه وخطب الخطيب
قلت وقد تقدم فى ترجمة القاضى محيى الدين محمد بن على المعروف
بابن الزكى ذكر الخطبه التى خطب بها ذلك اليوم فيكشف منه ورايت

في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسية ان الخطبة اقيمت يوم
الجمعة رابع عشر شعبان والله اعلم واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد
تقدم ذكر الخطبة التي خطبت يوم الجمعة بها يليق ان نذكر الرسالة
التي كتبها القاضي الفاضل الى الامام الناصر لدين الله ابا العباس احمد
ابن الامام المستضيء بالله تتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة في بابها
ولم اذكرها بكمالها بل اخترت منها احسنها وتركت الباقي لانها طويلة
وهي ادام الله ايام الديوان العزيز النبوي ولا زال مظفر الجد
بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن راي كل رايد موقوف المساعي
على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر والنصل في جفنه
راقد وارد الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعي
الفضل وان كان لا يلقى بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي
الا بنصل غوي ورشد راشد ولا زالت بعوث فضله الى الاولياء
انواء الى المرابع وانوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء
خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة
تلو ما صدر عنه مما يجري مجرى التباشير لصبح هذه النعمة
والعنوان لكتاب وصف النعمة فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل
ولطف يحمل الشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر في شرحها مارب

وبيتري للاسرار في اظهارها مشارب وللّه في اعادة شكر رضى
وللنعم الراهنة بها دوام لا انتقال معه هذا مضى وقد صارت امور
الاسلام الى احسن مصايرها وقد استثبتت عقايد اهلها على بصايرها
وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه فلما وقع
الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه والفوز
معروضا فقد بذلت الانفس في ثمنه وأمر امر الحق وكان مستضعفا
وجاء امر الله وانوف اهل الشرك راغمه وادلجت السيوف
والآجال نايمه وصدق الله وعده في اظهار دينه على كل دين
واستطارت له انوار ابانت ان الصباح عندها حان الحين
واسترد المسلمون تراثا كان عنهم ابقا وظفروا يقظة بما لم يصدقوا
انهم يظفرون به طيفا على النأي طارقا واستقرت على الاعلا
اقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم
وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشفى بالماء غللهم ولما قدم الدين
عليها عرف سويداء قلبه وهنا كفوها الحجر الاسود بيت عصمتها
من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى
ولا يقاسي تلك البوسى الا رجاء هذه النعمى ولا يحارب من يستظلمه
الا لتكون الكلمة مجموعه فتكون كلمة الله هي العليا وليفوز جوهر

الآخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فانضج
قلوبها بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه من اجلها فاطفاها
بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيئا خاطر ومن رام صفقه مربحة
خاسر ومن سمى لان يجلى عمرة غامر والا فان القعود يلين تحت
نيوب الاعداء الاعاجم فيعضها فيضعف في ايديها بهى القوايم
فيعضها هذا الى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد ولا يرعى
به الواجب على العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذى تطوقه الخادم
من ائمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وخلفا كانوا عن مثل
هذا اليوم يسألون لاجرم انهم اورثوا سريرتهم وسريرتهم خلفهم الاطهر
ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفه وطليعتهم المنيفه وعنوان طليعة
صفيحة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفه فما غابوا لما حضر
ولا غضوا لما نظر بل وصلهم بما كان به موصولا وشاطروا العمل بما كان
عنه مقبولا وخلص اليه الى المضاجع جنوبها والى الصفايح ما عبقت
به جيوبها وفاز منها بذكر لا ينال الليل به شميلا والنهار به بصيرا
والشرق يهتدى بانواره بل ان بدا نوره من ذاته هتف به الغرب
بان واره فانه نور لا تكنه اعتساف السدف ولا تواريه
اوراق الصحف وكتاب الخادم هذا وقد اظفر الله بالعدو الذى

الذي تشظت قناته شققا وطارت فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا وكلت حملاته وكانت قد انصرف فيها العيان وعقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفه وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفه ونام جفن سيفه وكانت يقظته نزيق نطف الكرى من الجفون وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى او راعفة بالمنون واصبحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب والفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت الكفر مهدومه ونوب الشرك مهيومه وطوايفه الحاميه مجمعة على تسليم القلاع الحاميه وشجعانه المتوافيه مذعنة لبذل القطايع لا يرون في ماء الحديد لهم عصره ولا في نار الانف لهم نصره قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنه ونقل بيت عبادته من ايدي اصحاب المشئمه الى ايدي اصحاب الميمنه وقد كان الخادم لقيهم اللقاءة الاولى فامده الله بمداركته واتجده بملايكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشئة الله كفر واسر منهم من اسرت به السلاسل وقتل منهم من قتلت به المناصل واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار

ومن انصاف تحيل فانه فتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار
فبلوا ابشار من السلاح ونالوا ايضا بشار فكم اهلة سيوف تقارض
الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم انجم قنا تبادلت الطعان
حتى صارت كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم الى
اجل فاختلسته وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن
على بعد المسافه وافترسته وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة
شهودا وكان الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت
ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا واسر الملك وبيده اوثق وثائقه
واكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصلبوت وقائد
اهل الجبروت ما دهموا قط الا وقام بين دهمائهم يبسط لهم
باعه وكان مد الدين فى هذه الدفعة وذراعه لاجرم انهم تهافت
على ناره فراشهم وتجمع فى ظل ظلاله حشاشهم ويقاتلون تحت ذلك
الصليب اصلب قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه
اشد عهد واوثقه ويعدونه سورا تحف حوافر الخيل خندقه
وفى هذا اليوم اسرت سراتهم وذهبت دهاتهم ولم يفلت منهم
معروف الا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال
ومليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من ان

يلحقه منشر الرمح او جناح السيف ثم اخذه الله تعالى بيده واهلكه لموعده
فكان من عدتهم فذلك وانتقل من ملك الموت الى ملك وبعد الكسرة
من الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء
صبغا البيضاء صنعا الخافقة هي وقلوب اعدايها العالية
هي وعزايم اوليايها المستضاء بانوارها اذا فتح عينها النشر
واشارت بانامل العذبات الى وجه النصر فافتتح بلد كذا وكذا وهذه
امصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع وفدن وكل
هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزاير وجوامع ومنابر
وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد ان يحوزها ويتركها
وراه بعد ان ينتهزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط
من جوامعها صلبا ويرفع اذانا ويبدل المذابح منابر والكنايس
مساجد ويبوي اهل القرآن بعد اهل الصلبان للقتال عن دين
الله مقاعد ويقر عينه وعيون اهل الاسلام ان تعلق النصر منه
ومن عسكره بجار ومجرور وان ظفر بكل ماسور ما كان يخاف
زلن اله ولا زيا له الى يوم النفخ في الصور ولما لم يبق الا القدس وقد
اجتمع اليها كل شريد وطريد واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد
وظنوا انها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله شافعتهم فلما نازلها

الخادم راى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزايم قد تالبت وتالفت
على الموت فنزل بعرصته وهان عليها موردة السيف وان تموت
بغصته فناول البلد من جانب فاذا اودية عميقه ولجج وعر
غريقه وسور قد انعطف عطف السوار وابرجة قد نزلت
مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى الجهة اخرى فكان للمطامع
عليها معرج وللخيل فيها متوج فنزل عليها واحاط بها
وقرب منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه
ويزاحمه السور باكتافه وقابلها ثم قاتلها وبزلها ثم نازلها
وبرز اليها ثم بارزها وحاجزها ثم ناجزها وضمها ضمة
ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يصبرون على
عبوديته الحد عن عتق الصفح فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة
وقصدوا نظرة من شدة وانتظارا لنجدة فعرفهم الخادم في لحن القول
واجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تولى عقوبات
الحصون عصيها وحبالها واوتر لهم قسيها التي تضرب ولا
يفارق سهامها نصالها فصافحت السور فاذا سهمها في ثنايا
شرفاتها سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد اخلاده
الى الارض ويعلو علوه الى السماك فشج مرادع ابراجها

وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ورفع منار عجاجها فأخلى
السور من السيارة والحرب من النظارة وأمكن النقاب أن يسفر
للحرب النقاب وأن يعيد الحجر إلى سيرته الأولى من التراب
فتقدم إلى الصخرة فمضغ سرده بأنياب معوله وحل عقده ببنانه
الأخرق الدال على لطافة أنمله وأسمع الصخرة الشريفة أنينه واستغاثته
إلى أن كادت ترق لمقتله وتبرأ بعض الحجارة من بعض وأخذ
الخراب موثقا فلن تبرح الأرض وفتح من السور باب فسد من نجاتهم
أبوابا وأخذ نقب في حجره فقال عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا
فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب
القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفي الحال خرج
طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا أن يؤخذ البلد بالسلم
لا بالعنوة وبالأمان لا بالسطوة فألقى بيده إلى التهلكة وعلاه
ذل الهلكة بعد عز المملكة وطرح جنبه على التراب وكان جنبا لا
يتعاطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح إليه طرف
أمل طامح وقال ها هنا أسارى مسلمون يتجاوزون الألوف وقد تعاقد
الفرنج على أنه إن هجمت عليهم الدار وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار
بدئ بهم فعجلوا وثني بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا

بعد ذلك فلا نقتل خصما الا بعد ان ننتصف ولا نفك سيفا من يد
الا بعد ان ينقطع او ينقصف فاشار الامراء باخذ الميسور من
البلد المأسور فانه لو اخذ حربا فلا ان تقحم الرجال الانجاد
وتبذل نفوسها في اخماره قد نيل من اوله المراد وكانت الجراح
في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات واثقل الحركات
فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف اهل الحرب
عن قدرة وهم ظاهرون وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة
سكان فخدمها الكفر الى ان صارت روضة جنان لا جرم ان
الله اخرجهم منها واهبطهم وارضى اهل الحق واسخطهم فانهم
خذلهم الله حموها بالاسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح
واودعوا الكنايس بها وبيوت الديوية والاسبتارية منها
كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ولا ينطرد لالاؤه
قد لطف الحديد في تجزيعه وتفنن في توشيعه الى ان صار الحديد
الذي فيه باس شديد كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى الا
مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار
لها من التنبيت اوراق واوعز الخادم برد الاقصى الى عهده
المعهود واقام له من الائمة من يوفيه ورده المورود واقيمت

الخطبة يوم الجمعة رابع عشر شعبان فكادت السموات ينفطرن للسجوم
لا للنجوم ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طرقها مسدوده
وظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدوده واقيمت الخمس
وكان التثليث يقعدها وجهرت الالسنه بالله اكبر وكان سحر الكفر
يقعدها وجهر باسم امير المومنين في وطنه الاشرف من المنبر فرحب تعقدها
به ترحيب من بر بمن بر وخفق علماه في خفافيه فلو طار سرورا لطار
بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية الثغور
واستشراح ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور فان قوى العساكر
قد استنفذت مواردها وايام الشتاء قد مردت مواردها والبلاد
الماخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخايرها
واكلت غلالها فهي بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد
ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لبحرها وتقام المرابط
بساحلها ويداب في عمارة اسوارها ومرمات معاقلها وكل
مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة واطماع الفرنج بعد ذلك غير
مرجيه ولا معتزله فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله انها لا
تسمع ولن يكفوا ايديهم من اطراف البلاد حتى تقطع وهذه الالفاظ
لها تباشير تكاد بغير الالسنة تتشخص ولا بماء سوى المشافهة لسان
تتخلص

فلذلك نفذ الخادم لسانا شاكرا ومبشرا صادحا يطالع بالخبر على
سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان ٥
والله الموفق ٥ هذا آخر الرسالة الفاضلية وكان في عزمي
اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي
عسى ان يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فاكملتها ورجعت
عن الرأي الاول وهي قليلة الوجود في ايدي الناس وكانت النسخة
التي نقلتها منها سقيمة ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صارت على
هذه الصورة حسب الامكان وقد عمل عماد الدين الكاتب
الاصبهاني رسالة في فتح القدس ايضا فلم ار التطويل بكتابتها فتركتها
وجمع كتابا سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه
جميع ما جرى في هذه الواقعة ورأيت منذ زمان رسالة مليحة انشأها
ضياء الدين ابو الفتح نصر المعروف بابن الاثير الجزري المقدم ذكره في
حرف النون تتضمن فتح القدس ايضا وكل واحد من ارباب صناعة
الانشاء كان يريد يمتحن خاطره بما يفعل في مثل هذه الواقعة والقاضي
الفاضل رئيس هذا الفن واذا شرع في شيء من هذا الباب لا تستطيع
احدا يجاريه ولا يباريه فلهذا ذكرت رسالته ورفضت غيرها خوف
الاطالة واذ قد نجز المطلوب من هذا الامر فلنرجع الى تتمة ما ذكره شيخنا

بهاء الدين في السيرة الصلاحية قال ونكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة
وكان شكلا عظيما ونصر الله الاسلام على يديه نصرا عزيزا قلت وقد تقدم
في ترجمة ارتق طرف من اخبار القدس وان الافضل امير الجيوش بمصر
اخذه من ولديه سقمان وايل غازي ثم ان الفرنج استولوا عليه
يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وتسعين واربع مائة
وقيل في ثاني شعبان وقيل في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر
رمضان من السنة ولم يزل بايديهم حتى استنقذه السلطان صلاح الدين
منهم في التاريخ المذكور نعود الى كلام ابن شداد وكانت قاعدة الصلح
انهم قطعوا على انفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كل امراة خمسة
دنانير صورية وعن كل صغير ذكرا او انثى دينارا واحدا فمن
احضر قطيعته نجا بنفسه والا اخذ اسيرا وافرج عمن كان بالقدس
من اسارى المسلمين وكانوا خلقا عظيما واقام به يجمع الاموال
ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد
والوافدين عليه وتقدم بايصال من قام بقطيعته الى مامنه وهي مدينة
صور ولم يرحل عن القدس ومعه من الاموال التي جبيت له شي وكان
يقارب مائتي الف دينار وعشرون الف دينارا وكان رحيله عنه
يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس

حسن عنده اخذ صور وعلم انه ان اخر امرها عسر عليه فسار نحوها
حتى اتى عكا فنزل عليها ونظر في امورها ثم رحل عنها متوجها الى صور
في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنه فنزل قريبا منها وسير لاحضار
الآت القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور
وضايقها وقاتلها قتالا عظيما واستدعى اسطول مصر وكان
يقاتلها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث
والعشرين من شوال من السنه ثم خرج اسطول صور في الليل فكبس
اسطول المسلمين واخذوا المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا
خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشهر
المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم
وتراكمت الامطار وامتنع الناس من القتال لكثرة الامطار فجمع
الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال
ويجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من الالات الحصار ما امكن حمله
واحرق الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان
رحيله يوم الاحد ثاني ذي القعده من السنه وتفرقت العساكر واعطى
كل طايفة منهم دستورا وسار كل قوم الى بلادهم واقام هو مع جماعة
من خواصه بمدينة عكا الى ان دخلت سنة اربع وثمنين وخمس مايه

ثم نزل على كوكب في اوايل المحرم من السنه ولم يبق معه من العساكر
الا القليل وكان حصنا حصينا وفيه من الرجال والاقوات فعلم
انه لا يوخذ الا بقتال شديد فرجع الى دمشق ودخلها في سادس
شهر ربيع الاول من السنه قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت
الى خدمته ثم فارقته لزيارة القدس والخليل عليه افضل الصلوه والسلم
ودخلت دمشق يوم دخول السلطان اليها قلت وذكرت هذا في
ترجمته قال واقام بدمشق خمسة ايام ثم بلغه ان الفرنج قصدوا جبيل
واغتالوها فخرجوا مسرعين اعني السلطان والعسكر وكان قد سير
يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف
الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب
سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل الى حلب قاصدين
خدمته والغزاه معه فسار نحو حصن الاكراد قال ابن شداد في السيرة
انه اتصل بخدمة السلطان مستهل جمدى الاولى من سنة اربع وثمانين
وجميع ما ذكرته فانه برواية عمن اثق به ومن ههنا ما اسطر
الا ما شاهدته او اخبرني به من اثق اليه خبرا يقارب العيان قال
لما كان يوم الجمعة رابع جمدى الاولى دخل السلطان بلاد العدو بتعبيه
حسنة ورتب الاطلاب وسارت الميمنه اولا ومقدمها عماد الدين زنكي

والقلب في الوسط والميسرة في الاخير ومقدمها مظفر الدين ابن
زين الدين فوصل الى انطرسوس ضاحي نهار الاحد سادس جمدى الاولى
فوقف قبالتها ينظر اليها لان نصره كان جبله فاشتهان بامرها وعزم
على قتالها فسير من رد الميمنه وامرها بالنزول على جانب البحر
والميسرة على الجانب الاخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقه بها
من البحر الى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين
فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم
نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها واخذوها بالسيف وغنم
المسلمون من بها وما بها واحرق البلد واقام عليها الى رابع عشر
جمدى الاولى وسلم احد البرجين الى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى اخربه
واجتمع به ولده الملك الظاهر لانه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم
ثم سار يريد جبله وكان وصوله اليها في ثامن عشر جمدى وما استتم
نزول العسكر عليها حتى اخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم
بينهم وقوتلت القلعه قتالا شديدا ثم سلمت بالامان في يوم السبت
تاسع عشر جمدى الاولى من السنه واقام عليها الى الثالث والعشرين
منه ثم سار عنها الى اللاذقيه وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين
من جمدى الاولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله مينا

وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال الى آخر
النهار فاخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لانه
كان بلد التجار وجدوا فى امر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول
النقب ستين ذراعا وعرضه اربعة اذرع فلما راى اهل القلعة الغلبة
لاذوا بالامان وذلك فى عشية يوم الجمعه الخامس والعشرين من الشهر
والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم واموالهم
ماخلا الغلال والذخاير والسلاح والات الحرب فاجابهم الى ذلك
ورفع العلم الاسلامى عليها يوم السبت واقام عليها الى يوم الاحد
السابع والعشرين من الشهر فرحل عنها الى صهيون فنزل عليها يوم الثلثا
التاسع والعشرين من الشهر واجتهدوا فى القتال واخذوا البلد يوم الجمعه
ثانى جمدى الاخرة ثم تقدموا الى القلعه وصدقوا القتال فلما عاينوا
الهلاك طلبوا الامان فاجابهم اليه بحث يوخذ من الرجل عشرة دنانير
ومن المراة خمسة دنانير ومن كل صغير دينارين الذكر والانثى سوا
واقام السلطان بهذه الجهة حتى اخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها
ومن الحصون المتعلقه صهيون ثم رحل عنها واتى بكاس وهى قلعة
حصينة على العاصى ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم
الثلثا سادس جمدى الاخرة وقاتلوها قتالا شديدا الى يوم الجمعه تاسع الشهر

ثم يسر الله تعالى فتحها عنوة فقتل اكثر من بها واسر الباقون وغنم المسلمون
المسلمون جميع ما فيها ولها قليعة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر
اليها منها على جسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق عليها من كل جانب
وراوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك يوم الثلثا ثالث عشر الشهر
ثم سالوا المهلة ثلثة ايام فامهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم
السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم سار الى برزيه وهي
من الحصون المنيعة في غاية القوة تضرب بها المثل في بلاد الفرنج يحيط
بها اودية من جميع جوانبها وعلوها نيف خمس مايه وسبعين ذراعا
وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم اخذها عنوة
يوم الثلثا السابع والعشرين منه ثم سار الى دربساك فنزل عليها يوم
الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا ورقي
العلم الاسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب واعطاها
للامير علم الدين سليمن بن جندر وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث
والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب
من انطاكيه وقاتلها قتالا شديدا وصعد العلم الاسلامي عليها في ثاني
شعبان وراسله اهل انطاكيه في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر
من البيكار وكان الصلح معهم لا غير على ان يطلقوا كل اسير عندهم والصلح

الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد ثم رحل السلطان
فساله ولده السلطان الملك الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجابه الى
ذلك فوصل حلب في حادي عشر شعبان واقام بالقلعة ثلثة ايام
وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقي الدين
عمر بن اخيه واصعده الى قلعة حماه ووضع له طعاما وعمل له سماعا
من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة
واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان
بايام يسيرة ثم سار في اوايل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل
القتال حتى تسلمها بالامان في رابع عشر شوال وفي شهر رمضان المذكور
سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك لانه كان في الاسر
من نوبة حطين ولت‍ــــ هكذا ذكره وهذا لا ينتظم مع ما قبله فقد تقدم
قبل ان البرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك اسر في وقعة حطين
ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن ذلك من مكان اخر ليلحق به ثم سار الى
كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والامطار متواترة والوحول
متضاعفة والرياح عاصفة والعدو متسلط بعلو مكانه فلما تيقنوا
انهم ماخوذون طلبوا الامان فاجابهم اليه وتسلمها منهم في منتصف ذي
القعدة من السنة ثم نزل الى الغور واقام بالمخيم بقية الشهر واعطا الجماعة

دستورًا وسار مع اخيه الملك العادل يريد زيارة القدس ووداع اخيه
لانه كان متوجهًا الى مصر ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد
وتوجه في حادي عشر ذي الحجة الى عسقلان لينظر في امورها واخذها
من اخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد
احوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح
احوالها ورتب فيها الامير بهاء الدين قراقوش واليًا وامره بعمارة
سورها ثم سار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنه واقام بها
الى شهر ربيع الاول من السنه ثم خرج الى شقيف ارنون وهو موضع حصين
فخيم في مرج بالقرب من الشقيف في سابع عشر شهر ربيع الاول واقام اياما
تباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف
انه لا طاقة له به نزل له بنفسه فلم نشعر به الا وهو قايم على باب خيمته
فاذن له في دخوله عليه واكرمه واحترمه وكان من اكابر الفرنج
وعقلايهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ
والاحاديث وكان حسن التاني لما حضر بين يدي السلطان واكل معه
الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان
من غير تعب واشترط ان يعطى موضعًا يسكن فيه بدمشق فانه بعد
ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا يقوم به بدمشق وباهله

وشروطا غير ذلك فاجابه الى ذلك وفي اثناء شهر ربيع الاول وصله
الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد اقام عليها جمعا حاصرها مدة سنة
كاملة الى ان نفد زاد من كان فيه فسلموه بالامان ثم ظهر للسلطان بعد
ذلك ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم بلغه ان
الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين
وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة
واتى عكا ودخلها بغتة ليقوي قلوب من بها وسير استدعى العساكر
من كل ناحية وكان العدو مقدار الفي فارس وثلثين الف راجل ثم تكاثر
الفرنج واستفحل امرهم واحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها وذلك يوم
الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق
اليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على مضايقة
العدو لتنفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون
ودخل السلطان عكا فاشرف على امورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات
في عدة ايام وتاخر الناس الى تل العياضية وهو مشرف على عكا وفي هذه
المنزلة توفي الامير حسام الدين المقدم ذكره في هذه الترجمة وذلك في ليلة
نصف شعبان سنة خمس وثمانين وخمس مائة وكان من الشجعان ثم ان
شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها وتطول

[illegible]

هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير
وانما ذكرت فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعوا الى الوقوف
على تواريخها مع اني لم اذكر الا ما يكثر التطلع الى الوقوف عليه واضربت
عن الباقي قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم
قد عظم بمرج عكا وان الموت قد فشا في الطائفتين وهو هذا البيت

اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي

يريد بذلك انه قد رضي ان يتلف اذا اتلف الله اعداءه قلت وهذا البيت
له سبب يحتاج الى شرح وذلك ان مالك بن الحرث المعروف بالاشتر
النخعي كان من الشجعان والابطال المشهورين وهو من خواص علي بن ابي
طالب عليه السلام تماسك يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير
ابن العوام وكان ايضا من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عايشة
ام المومنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم اجمعين وكانوا لحاربون عليا
رضي الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوي على صاحبه جعله
تحته وركب على صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد هذا البيت

اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي

يريد بذلك الاشتر النخعي هذه خلاصة القول في ذلك وان كانت
القصة طويله وهي في التواريخ مبسوطة وقال عبد الله بن الزبير لا قيت

الاشتر النخعي فما ضربته ضربة الا وضربني ستا او سبعا ثم اخذ برجلي فرماني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه ما اجتمع منك عضو الى عضو ابدا وقال ابو بكر بن ابي شيبة اعطت عائشة رضي الله عنها للذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر عشرة آلف درهم وقيل ان الاشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا اشتر انت الذي اردت قتل ابن اختي يوم الوقعة

فانشدها

اعائش لولا انني كنت طاويا ثلثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه باخر صوت اقتلاني ومالكا
فنجاه مني اكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زحر بن قيس دخلت على عبد الله بن الزبير الحمام فاذا في راسه ضربة لو صب فيها قارورة من دهن لاستقر فقال اتدري من ضربني هذه الضربة قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعي رجعنا الى ما كنا فيه فقال ابن شداد ثم ان الفرنج جاءتهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الاسلامية بعكا وكان فيهم الامير سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب الهكاري والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم اشد مضايقة الى ان غلبوا على حفظ البلد فلما كان

فلما كان يوم الجمعه رابع عشر جمدى الاخرة من سنة سبع وثمنين وخمسمايه
خرج من عكا رجل عوام ومعهم كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه
وانهم تيقنوا الهلاك ومتى اخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا
على ان يسلموا البلد وجميع ما فيه من الالات والعدد والمراكب والاسلحه
ومايتى الف دينار وخمس مايه اسير مجاهيل ومائة اسير معينين من جهتهم
وصليب الصلبوت على ان يخرجوا بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال
والاقمشه المختصه بهم وذراريهم ونساءهم وضمنوا للمركيس لانه كان
الواسطه فى هذا الامر اربعة الف دينار ولما وقف السلطان على الكتب
المشار اليها انكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا الامر وجمع اهل
الراى من اكابر دولته وشاورهم فى ما يصنع واضطربت اراوه
وتقسمت افكاره وتشوش حاله وعزم على ان يكتب فى تلك الليله
مع العوام وينكر عليهم المصالحه على هذا الوجه وهو فى تردد فكره
من هذا فلم يشعر الا وقد ارتفعت اعلام العدو وصلبانه وناره
وشعاره على سور البلد وذلك فى ظهيرة يوم الجمعة سابع جمدى
الاخرة من السنة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة
على المسلمين واشتد حزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكا
والنحيب ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا

فاصدين عسقلان لياخذوها وساروا الى الساحل والسلطان وعساكره
في قبالتهم الى ان وصلوا الى ارسوف فكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمون
منه وهنا شديدا ثم ساروا على تلك الهيئة ثنى عشر منازل من مسيرهم
من عكا فاتى السلطان الى الرملة واتاه من اخبره بان القوم على عزم عمارة
يافا وتقويتها بالرجال والعدد والالات فاحضر السلطان ارباب
مشورته وشاورهم في امر عسقلان وهل الصواب خرابها ام ابقاها
فاتفقت اراؤهم ان يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجه بنفسه
ويخربها خوفا من ان يصل العدو اليها ويستولي عليها وهي عامرة وياخذ
بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا
مما جرى على المسلمين بعكا وراوا ان حفظ القدس اولى فتعين خرابها
من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلثا سابع عشر شعبان من سنة
سبع وثمانين وخمس مايه فسار اليها سحرة يوم الاربعا ثامن عشر الشهر
المذكور قال ابن شداد وتحدث معي في معنى خرابها بعد ان تحدث مع
ولده الملك الافضل في امرها ايضا ثم قال لان افقد ولدي جميعهم
احب الي من ان اهدم منها حجرا ولكن اذا قضى الله امرا كان مفعولا وكان
فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق الراي على خرابها
سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنه وقسم السور على الناس

وجعل لكل امير وطايفة من العسكر بدنة معينة وبرجا معلوما يخربونه
ودخل الناس البلد ووقع فيهم البكاء والضجيج وكان بلدا خفيفا على القلب
محكم الاسوار عظيم البناء مرغوبا في سكنه فلحق الناس على خرابه حزنا
عظيما وعظم عويل اهل البلد عليه لفراق اوطانهم وشرعوا في بيع
ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد
وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واختبط البلد وخرج الناس باهلهم
واولادهم الى المخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم الى مصر وقوم الى الشام
وجرت عليهم امور عظيمة واجتهد السلطان واولاده في خراب البلد كيلا
يسمع العدو فيسرع اليه ولا يمكن من خرابه وبات الناس على اصعب حال
واشد تعب مما قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك
العادل من اخبر ان الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد
الساحلية فراى السلطان ان ذلك مصلحة لما علم في نفس الناس من الضجر
من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب اليه بالاذن في ذلك
وفوض الامر الى رايه واصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على
الخراب واستعمل الناس علته وحثهم على العجلة واباحهم ما في الهوى الذي
كان مدخرا للميرة خوفا من هجم الفرنج والعجز عن نقله وامر باحراق
البلد فاضرمت النيران في بيوته وكان سورا عظيما ولم يزل الخراب

يعمل في البلد الى سلخ شعبان من السنه واصبح مستهل رمضان امر ولده
الملك الأفضل ان يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رايته يحمل الخشب
بنفسه لاجل الاحراق وفي يوم الاربعا ثالث شهر رمضان رحل الى
الرمله ثم خرج الى لد واشرف عليها وامر باخرابها واخراب قلعة
الرمله ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر
السلطان بالعسكر الى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم واحضار
ما يحتاجون اليه ودار السلطان حول النطرون وهي قلعة منيعة
فامر باخرابها وشرع الناس في ذلك ثم ذكر ابن شداد بعد ان الانكتار
من اكابر ملوك الفرنج سير رسوله الى الملك العادل يطلب
الاجتماع به فاجابه الى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من
السنة وتحدثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة اكيدة والتمس
الانكتار من الملك العادل ان يسأل السلطان الاجتماع به فذكر
العادل ذلك للسلطان فاستشار اكابر دولته في ذلك ووقع
الاتفاق على انه اذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم
وصل رسول الانكتار وقال ان الملك يقول لك ان احب صداقتك ومودتك
وانت تذكر انك اعطيت البلاد الساحلية لاخيك فاريد ان يكون حكما
بيني وبينه وتقسم البلاد بيننا وبينه ولابد ان يكون لنا علقه بالقدس

وأطال الحديث في ذلك فاجابه السلطان بوعد جميل واذن له في العود
في ذلك وتاثر لذلك تاثرا عظيما قال ابن شداد وبعد انفصال الرسول
قال السلطان متى صالحناهم لم نومن غايلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت
تجتمع هذه العساكر وتقوى الفرنج والمصلحه ان لا نزال على حتى نخرجهم عن
الساحل او ياتينا الموت هكذا كان رايه وانما غلب على الصلح قال
ابن شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح واطال القول في ذلك
تركه اذ لا حاجة اليه وجرت بعد ذلك وقعات اضربت عن ذكرها
لطول الكلام فيها وحاصل الامر انه اتصل الصلح بينهم وكانت الايمان
في يوم الاربعا الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين
وخمس مايه ونادى المنادي بالصلح بينهم وان البلاد الاسلاميه والنصرانيه
واحده في الامن والمسالمه فمن شاء من كل طايفة يتردد الى بلاد
الطايفه الاخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال
الطايفتان فيه من المسرة ما لا يعلمه الا الله وقد علم الله تعالى ان الصلح
لم يكن عن مرضاته واشارته لكنه راى المصلحة في الصلح لسامة العساكر
ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى لانه اتفقت وفاته
بعد الصلح فلو اتفق ذلك في اثناء وقعاته كان الاسلام على خطر ثم اعطى
للعساكر الوارده عليه من البلاد البعيده على سبيل البحر دستورا فساروا عنه

وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهه وتردد المسلمون الى بلادهم وجاؤهم
الى بلاد المسلمين وحملت البضايع والمتاجر الى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزياره
القدس وتوجه السلطان الى القدس ليتفقد احوالها واخوه الملك العادل
الى الكرك وولده الملك الظاهر الى حلب وابنه الافضل الى دمشق واقام
السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورا ويتاهب الى المسير
للديار المصريه وانقطع شوقه عن الحجاز ولم يزل كذلك الى ان صح عنده
مسير مركب الانكتار متوجها الى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك
قوي عزمه على ان يدخل الساحل جريده يتفقد البلاد البحريه الى بانياس
ويدخل دمشق يقيم بها اياما قلايل ويعود الى القدس ومنه الى الديار
المصريه قال شيخنا ابن شداد وامرني بالمقام في القدس الى حين عوده
لعماره مارستان انشاه به وتكميل المدرسه التي انشاها فيه وسار
ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنه ثمان وثمنين وخمس مايه
ولما فرغ من افتقاد احوال القلاع وازاحة خللها دخل دمشق بكره
الاربعا سادس عشر شوال وفيها اولاده الملك الافضل والملك الظاهر
والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر واولاده الصغار
وكان يحب البلد ويوثر الاقامه فيه على ساير البلاد وجلس للناس على بكره
يوم الخميس السابع والعشرين منه وحضروا عنده وبلوا شوقهم منه وانشده

وانشرح الشعراء ولم يتخلف احد عنه من الحاضرين واقام ينشر جناح
عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان
يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الافضل دعوة للملك الظاهر لانه
لما وصل الى دمشق وبلغه حركة السلطان اقام بها ليتملى بالنظر اليه ثانيا
وكان نفسه كانت قد احست بدنو اجله فودعه في تلك الدفعة مرارا
متعددة ولما عمل الملك الافضل الدعوة اظهر فيها من الهمم العالية ما
يليق بهمته وكانه اراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل الى
بلده وحضر الدعوة المذكورة ارباب الدنيا والآخرة وسأل السلطان
الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما مشهودا على ما بلغني ولما تصفح
الملك العادل احوال الكرك واصلح ما قصد اصلاحه فيه سار
قاصدا الى البلاد الفراتية فوصل الى دمشق في يوم الاربعا سابع
عشر ذي القعدة وخرج السلطان الى لقائه واقام يتصيد حوالي
غباغب الى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا يتصيدان وكان دخولهما
الى دمشق آخر النهار يوم الاحد حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين
واقام السلطان بدمشق يتصيد هو واخوه واولاده ويتفرجون
في اراضي دمشق ومواطن الصبى وكان وجد راحة مما كان به من ملازمة
التعب والنصب وسهر الليل وكان ذلك كالوداع لاولاده ومراتع

نزهه وثنى عزمه الى مصر وعرضت له امور اخر وعزمات غير ما تقدم
قال ابن شداد وصلنى كتابه الى القدس يستدعينى لخدمته وكان شتاءً
شديدا ووحلا عظيما فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث
والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق في يوم
الثلثا ثانى عشر صفر من السنه وركب السلطان لملتقى الحج يوم الجمعة خامس
عشر صفر وكان ذلك اخر ركوبه ولما كان ليلة السبت وجد كسلا عظيما
وما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه اكثر منها
في ظاهره واصبح يوم السبت متكسلا عليه اثر الحمى ولم يظهر ذلك
للناس لكن حضرت عنده انا والقاضى الفاضل ودخل ولده الملك الافضل
وطال جلوسنا عنده واخذ يشكو قلقه في الليل وطاب له الحديث الى
الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم الينا بالحضور على الطعام في
خدمة ولده الملك الافضل ولم تكن للقاضى الفاضل بذلك عادة فانصرف
ودخلت الى الايوان القبلى وقد مد السماط وجلس ولده الملك الافضل
في موضعه فانصرفت وما كان لى قوة في الجلوس استيحاشا له وبكى
في ذلك اليوم جماعة تفاؤلا لجلوس ولده في موضعه ثم اخذ المرض
يتزايد من حينئذ ونحن نلازم التردد طرفى النهار وندخل اليه انا
والقاضى الفاضل مرارا في النهار وكان مرضه في راسه وكان من

امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي قد عرف مزاجه سفرًا وحضرًا وراى
الاطباء قصده فقصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه
وكان يغلب عليه اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى غلب عليه الضعف
واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل يتزايد ويغيب
ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب
واشتد الخوف في البلد وجزع الناس ونقلوا اقمشتهم من الاسواق
وعلا الناس من الكابه والحزن ما لم يحد ولا يوصف ولما كان العاشر من
مرضه حقن دفعتين وحصل في الحقن بعض الراحه وفرح الناس بذلك
ثم اشتد مرضه وايس الاطباء منه ثم شرع الملك الافضل في تحليف
الناس ثم انه توفي بعد صلاة الصبح يوم الاربعاء السابع والعشرين
من صفر سنه تسع وثمانين وخمس مايه وكان يوم موته لم يصب الاسلم
والمسلمين بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وغشي
القلعه والملك والدنيا وحشة ما يعلمها الا الله تعالى وبالله قد كنت
اسمع من الناس انهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت اظن
هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم فاني علمت في
نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء بالانفس لفدي ثم جلس ولده الملك
الافضل للعزاء وغسله الدولعي قلت الدولعي المذكور هو ضياء الدين

ابو القسم عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد بن قايد بن حميد التغلبي الأرقمي

الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق توفي في ثاني عشر ربيع الاول سنة

ثمان وتسعين وخمس مايه وسئل عن مولده فقال سنة سبع وخمس مايه

وذكر غير هذا والله اعلم ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير

قال واخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله تعالى في تابوت مسجى بثوب

فوط فارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج واخذ الناس

في البكا والعويل وصلوا عليه ارسالا ثم اعيد الى الدار التي في البستان

وهي التي كان مستمرضا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله

في روضته قريبا من صلاة العصر ثم اطال ابن شداد القول في ذلك

فحذفته خوفا من الملاله وانشد في آخر السيرة بيت ابي تمام الطاي وهو

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام ٥

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرايبها وذكر

سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمس مايه ما مثاله

وفي خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركه قاصد الشام

وخرج اعيان الدوله لوداعه وانشده الشعراء ابياتا في الوداع

فسمع قايلا يقول في ظاهر الخيمه ٥

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار ٥

فطلب القابل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان كما
قال فانه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ولم يعد بعدها الى مصر
قلت وهذا البيت من جملة ابيات الحماسه في باب النسيب وذكر شيخنا
عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير هذه القضية على صورة اخرى فقال
ومن العجيب ما يحكى عن التطير انه لما برز عن القاهرة اقام بخيمته
حتى تجتمع العساكر وعنده اعيان دولته والعلماء وارباب الاداب
فمن بين مودع له وسائر معه وكل واحد يقول شيا في الوداع والفراق
وفي الحاضرين معلم بعض اولاده فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد
هذا البيت فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه وتنكد المجلس
والحاضرون فمات ولم يعد اليها في طول تلك المده وذكر ابن شداد ايضا
في اوايل السيرة انه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة
الا سبعة واربعين درهما ناصرية وجرما واحدا من الذهب صوريا
ولم يخلف ملكا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة وفي
ساعة موته كتب القاضي الفاضل الى ولده الملك الظاهر صاحب حلب
بطاقة مضمونها لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ان زلزلة
الساعة شي عظيم كتبت الى مولانا السلطان الملك الظاهر احسن الله
عزاه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل

المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب
الحناجر وقد ودعت اباك ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده وقبلت
وجهه عني وعنك واسلمته الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف
القوة راضيا عن الله ولا حول ولا قوة الا بالله وبالباب من الجنود
المجندة والاسلحة المعدة ما لا يرد البلا ولا ملك يدفع القضا
وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا عليك
لمحزونون يا يوسف واما الوصايا فما تحتاج اليها والارا فقد
شغلني المصاب عنها واما لائح الامر فانه ان وقع الاتفاق فما
عدمتم الا شخصه الكريم وان كان غيره فالمصايب المستقبلة اهونها
موته وهو الهول العظيم والسلم قلت لله دره فلقد ابدع
في هذه الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته من المقاصد السديدة في مثل
تلك الحالة التي يذهل الانسان فيها عن نفسه قلت وقد
ذكرت كل واحد من اولاده المذكورين وهم الافضل والظاهر والعزيز
في ترجمة مستقلة وعينت تاريخ موته ووفاته سوى الملك
الظافر المشهور بالمشمر فاني لم اذكر له ترجمة مستقلة وقد ذكرته
هاهنا فاحتاج الى شي من احواله فاقول لقبه مظفر الدين وكنيته
ابو الدوام وابو العباس الخضر وانما قيل له المشمر لان اباه رحمه الله

لما قسم البلاد بين اولاده الصغار قال وانا مشمر فغلب عليه هذا اللقب
وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمس مايه في خامس شهر
شعبان وهو شقيق الملك الافضل وفي جمدى الاولى سنة سبع وعشرين
وستمئة توفي الى رحمة الله تعالى بحران عند ابن عمه الملك
الاشرف ابن الملك العادل ولم يكن الاشرف يومئذ ملكا وانما
كان مجتازا بها عند دخوله بلاد الروم لاجل الخوارزمية
قال عن ابن شداد ثم ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقي
مدفونا بقلعة دمشق الى ان بني له قبه في شمالي الكلاسه التي هي
شمالي جامع دمشق ولها بابان احدهما الى الكلاسه والاخر الى
زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسه العزيزيه قلت ولقد دخلت
الى هذه القبة من الباب الذي في الكلاسة وقرات عنده وحرمت
عليه واحضر لي القيم ومتولي القبة بقجه فيها ملبوس بدنه وكان
في جملته قبا اصفر قصير وراس كميه باسود فتبركت به قال
ثم نقل من مدفنه بالقلعه الى هذه القبة في يوم عاشورا وكان
الخميس من سنه اثنين وتسعين وخمس مايه ورتب عنده القرا ومن يخدم
المكان ثم ان ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان المقدم ذكره لما اخذ
دمشق من اخيه الملك الافضل بنى الى جانب هذه القبة المدرسه العزيزيه

ووقف عليها وقفا جيدا والقبه المذكوره شباك الى هذه المدرسه
وهي من اعيان مدارس دمشق قلت ولما ملك السلطان صلاح الدين
الديار المصريه لم يكن بها شي من المدارس فان الدوله المصريه كان مذهبهم
مذهب الاماميه فلم يكونوا يقولوا بهذه الاشياء فعمر بالقرافه
الصغرى المدرسه المجاوره لضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد
تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني وبنى مدرسه بالقاهره
في جوار المشهد المنسوب الى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهم وجعل عليه وقفا كثيرا وجعل دار سعيد السعدا خادم
المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا طايلا وجعل دار عباس
المذكور في ترجمة الظافر العبيدي والعادل بن السلار مدرسه
للحنفيه وعليها وقف جيد ايضا والمدرسه التي بمصر المعروفه بزين
التجار ووقفها للشافعيه ولها وقف جيد ايضا وبنى بالقاهره داخل
القصر مارستانا وله وقف جيد وله بالقدس مدرسه ايضا ووقفها
كثير وخانقاه بها ايضا وله بمصر مدرسه للمالكيه ولقد فكرت في
نفسي في امور هذا الرجل وقلت انه سعيد في الدنيا والاخره فانه
فعل في الدنيا هذه الافعال المشهوره من الفتوحات الكثيره وغيرها ورتب
هذه الاوقاف العظيمه وليس منها شي منسوب اليه في الظاهر فان المدرسه

١٤٣

139

التي بالقرافه ما تسميها الناس الا للشافعي والمجاورة للمشهد لا يقولون الا المشهد والخانقه لا يقولون الا خانقاه سعيد السعدا والمدرسة الحنفية ايضا لا يقولون الا المدرسه السيوفيه والتي بمصر لا يقولون الا مدرسه زين التجار والتي بمصر لا يقولون الا مدرسة المالكيه ومن صدقة السر على الحقيقة والعجب ان له بدمشق بجوار البيمارستان النوري مدرسه يقال لها الصلاحيه فهي منسوبة اليه وليس لها وقف وله بها مدرسه للمالكيه ايضا ولا تعرف به ومن النعم من الطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعه والسلطنة العظيمه كثير التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراه وكان يحب العلما واهل الخير ويقربهم ويحسن اليهم وكان يميل الى الفضايل ويستحسن الاشعار الجيده ويرددها في مجالسه حتى قيل انه كان كثيرا ما ينشد قول ابي منصور محمد بن الحسين بن احمد بن الحسين بن اسحق الحميري وقيل انها لابي محمد احمد بن علي بن خيران العامري كان اميرا بالمريه من بلاد الاندلس وكان جده خيران من سبي المنصور بن ابي عامر فنسب اليه والله اعلم

وزارني طيف من اهوى على حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتهت وآمالي تخيل لي نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقيل انه كان يعجبه نشو ابي الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المعري الاصل المصري الدار والوفاه وهو في خضاب الشيب ولقد احسن فيه

وما خضب الناس البياض لقبحه واقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسخمت على الرسم من حزن عليه منازله

قال فكان اذا قال ولكنه مات الشباب يمسك لحيته وينظر اليها ويقول اي والله مات الشباب وذكر العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى في اول ملكه كتب الى بعض اصحابه بدمشق

ايها الغايبون عنا وان كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
انني مذ فقدتكم لاراكم بعيون الضمير عندي عيانا

واما القصيدتان اللتان ذكرت ان سبط ابن التعاويذي انفذهما اليه من بغداد فان احدهما وازن بها قصيدة صردر وقد ذكرت منها ابياتا في ترجمة الوزير الكندي واولها اكذا الجاري ودكل قرن فعارضها بهذه القصيدة

ان كان دينك في الصبابة ديني فقف المطي برملتي يبرين

والثم ثرى لو شارفت بى هضبة ايدى المطى لثمته بجفونى
وانشد فوادى فى الظباء معرضا فبغير غزلان الصريم جنونى
ونشدتى بين الخيام وانما غالطت عنها بالظباء العين
لولا العدى لم اكن عن الحاظها وقدودها بجوارى وغصون
لله ما اشتملت عليه قبابهم يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على اترابها فى الحسن غانية عن التحسين
خود ترى قمر السماء اذا بدت ما بين سالفة لها وجبين
غادين ما لمعت بروق ثغورهم الا استهلت بالدموع شؤونى
ان تنكروا نفس الصبا فلانها مرت بزفرة قلبى المحزون
واذا الركائب فى الحال تلفتت فحنينها لتلفتى وحنينى
يا سلم ان ضاعت عهودى عندكم فانا الذى استودعت غير امين
او عدت مغبونا فما انا فى الهوى لكم باول عاشق مغبون
رفقا فقد عسف الفراق بمطلق العبرات فى اسر الغرام رهين
ما لى ووصل الغانيات اروّمه ولقد خلن على بالماعون
وعلام اشكوا والدماء مطاحة بلحاظهن اذا لوين ديونى
هيهات ما للبيض فى ود امرئ ارب وقد اربى على الخمسين
ومن البلية ان يكون مطالبى جدوى بخيل او وفاء خئون

لست الضنين على المحب بوصله لكن السماحة من صلاح الدين

واما القصيدة الثانية فهي

حتام ارضى في هواك وتغضب والى متى تجني علي وتعتب
ماكان لولا ملك لك زلة لما مللت زعمت انى مذنب
خذ في افانين الصدود فان لي قلبا على العلات لا يتقلب
اتظنني اضمرت بعدك سلوة هيهات عطفك من سلوي اقرب
لي فيك نار جوانح ما تنطفي حزنا وماء مدامع ما تنضب
انسيت اياما لنا ولياليا للهو فيها والبطالة ملعب
ايام لا الواشي يعترض لا لة ولهي عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكبا في الحب من اخطاره ما اركب
واليوم اقنع ان يمر بمضجعي في النوم طيف خيالك المتاوب
ما خلت ان جديد ايام الصبى يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى سارى الدجى وانجاب ذاك
وثنا في البيض الحسان فاعرضت عني سعاد وانكرتني زينب
قالت وريعت من بياض مفارقي ونحول جسمي بان منك الاطيب
ان تنقمي سقمي فخصرك ناحل او تنكري شيبي فثغرك اشنب

قلت لله دره فلقد اجاد في هذا المعنى كل الاجاده غير انه ظن ان الشنب بياض

الغيهب

الثغر وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده فانه لما عيرته بالسقم
قابلها بنحول الخصر فقال ان كنت نحيلا فخصرك ايضا نحيل فلما انكرت
شيبه قابلها بان ثغرها اشنب فقال لها بياض شيبي في مقابلة ثغرك
الاشنب وليس الامر كما ظن فان الشنب في اللغة ليس البياض وانما
هو حدة الاسنان وتحال بردها وعذوبتها وهو دليل على الحداثة
لان الاسنان في اول طلوعها تكون حادة فاذا مرت عليها السنون
احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى ينظر الى قول النابغة الذبياني
في جملة قصيدته المشهورة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك
ومثله ايضا ما انشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره
لنفسه من جملة ابيات وهو قوله

يا طالبا بعد المشيب غضاضة من عيشه ذهب الزمان المذهب
اتروم بعد الاربعين تعدها وصل الدمى هيهات عز المطلب
ومن السفاهة ان ترجي وصلهم يفعا تطلبه وفودك اشيب
لولا الهوى العذري يا دار الهوى ما هاج لي طربا وميض خلب
كلا ولا استعذبت اخلاف الحيا وندى صلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد فمنهم العلم الشاتاني واسمه الحسن وقد تقدم ذكره مدحه بقصيدته الرائية التي اولها

ارى النصر مقرونا برايتك الصفرا فسر واملك الدنيا فانت بها احرى

ومدحه المهذب ابو حفص عمر بن محمد بن علي بن ابي نصر المعروف بابن الشحنه الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي اولها

سلام مشوق قد براه التشوق على جيرة الحي الذين تفرقوا

وعدد ابياتها مائه وثلثة عشر بيتا وفيها البيتان السائران احدهما

واني امرؤ احببتكم لمكارم سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد اخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره حيث يقول

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

والبيت الثاني من قصيده ابن الشحنه

وقالت لي الامال ان كنت لاحقا بابناء ايوب فانت الموفق

ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سنا الملك وابن الساعاتي والنحراني الاربلي وابن دهن الحصا الموصلي محمد بن اسمعيل بن حمدان والحيزاني وغير هولاء وقد ذكرت اكثر هذه الجماعة في هذا التاريخ وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي

وقد طال ثناي طول لابسه ان الثناء على التنبال تنبال

التنبال الرجل القصير بكسر التاء المثناه من فوقها وبعدها نون قلت
وقد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر ارسال العاضد الى صلاح الدين وطلبه
اياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور وهو اردت عمرا
اراد الله خارجة وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل
ولا ما المراد منه فاحببت ان اشرحه كي لا يحتاج من يقف عليه الى
كشفه من مكان آخر فاقول عمرو المذكور هو عمرو بن العاص بن وايل
ابن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوى
القرشي السهمي كنيته ابو عبد الله وقيل ابو محمد احد الصحابة رضي الله عنهم
اسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ومكة فتحها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان من هذه السنة وقيل بل اسلم بين الحديبية
وخيبر والاول اصح وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومي وعثمان
ابن طلحة بن ابي طلحة القرشي العبدري على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة مسلمين فلما دخلوا عليه ونظر اليهم قال قد رمتكم مكة بافلاذ
كبدها وقال الواقدي قدم عمرو بن العاص مسلما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اسلم عند النجاشي ملك الحبشة وقدم معه عثمن
ابن طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة
وقيل انه لم يات من ارض الحبشة الا معتقدا الاسلم وذلك ان النجاشي

قال له يا عمرو وكيف يعرب عنك امر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال
الحق ذلك قال اى والله فاطعنى فخرج من عنده مهاجرا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية الى الشام
يدعوا اخوال ابيه الى الاسلام فبلغ السلاسل من بلد قضاعه وهو ماء
بارض جذام وبذلك سميت تلك الغزوه بذات السلاسل وكان معه
ثلثمايه رجل فخاف عمرو فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده
فامده بجيش مايتى فارس من المهاجرين والانصار اهل الشرف فيهم ابوبكر
وعمر رضى الله عنهما وامر عليهم ابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فلما
قدموا على عمرو بن العاص قال انا اميركم وانما انتم مددى فقال ابو عبيدة
بل انت امير من معك وانا امير من معى فابى عمرو فقال ابو عبيدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى اذا قدمت على عمرو
فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتنى اطعتك قال عمرو فانى اخالفك
فسلم اليه ابو عبيدة خلفه الجيش كله وكانوا خمس مايه وولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على عمان فلم يزل عليها حتى قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنتى عشرة بعث ابوبكر
الصديق عمرو بن العاص ويزيد بن ابى سفيان الاموى وابا عبيدة بن
الجراح وشرحبيل بن حسنة الى الشام وسار اليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه

من العراق واول شيء فتحوا من الشام بصرى صلحا وتوفي رضي الله عنه
واستخلف عمر رضي الله عنه فولى اباعبيدة على الجيش وفتح الله عليه الشام
فولى يزيد بن ابي سفين على فلسطين وهي كورة قصبتها الرملة ولما مات
ابو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف اخاه معوية
ابن ابي سفيان وكتب اليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان عليه اخوه
يزيد وكان موت هولاء كلهم في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة للهجرة
وعمواس بفتح العين المهملة والميم وفي اخرها سين مهملة وهي قرية بالشام
بين نابلس والرملة كان الطاعون بها في العام المذكور وقيل مات يزيد
ابن ابي سفيان في ذي الحجة سنة تسع عشرة بدمشق والله اعلم
وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضي الله عنه قد ولى عمرو بن العاص
بعد موت يزيد بن ابي سفيان فلسطين والاردن وولى معوية دمشق
وبعلبك والبلقا وولى سعيد بن عامر بن حذيم حمص ثم جمع الشام
كله لمعاوية وكتب الى عمرو فسار الى مصر في سنة عشرين للهجرة
فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضي الله عنه فاقره عثمن رضي الله عنه
على حاله اربع سنين او نحوها ثم عزله وولى عبد الله بن ابي سرح
العامري وكان اخا عثمان رضي الله عنه من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاص
من ناحية فلسطين وكان ياتي المدينة احيانا فلما قتل عثمن رضي الله عنه

سار الى معوية باستخلاف معوية اياه وشهد صفين مع معوية وكان منه
فى صفين قضية التحكيم ما هو مشهور عند اهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب
من معوية انه اذا تم له الامر يوليه مصر وكتب اليه فى بعض ايام طلبه

معاوى لا اعطيك دينى ولم انل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصرا فاربح بصفقة اخذت بها شيخا يضر وينفع

ثم ولاه معوية مصر فلم يزل اميرا بها الى ان مات يوم عيد الفطر من سنة
ثلث واربعين للهجرة وقيل سنة اثنين واربعين للهجرة وقيل ثمان واربعين
وقيل سنة احدى وخمسين والاول اصح وعمره تسعون سنة ودفن
بسفح المقطم وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل
معوية عبد الله بن عمرو بن العاص وولى اخاه عتبة ابن ابى سفيان
فمات عتبة بعد سنة او نحوها فولى معوية مسلمة بن مخلد وكان
عمرو بن العاص من فرسان قريش وابطالهم فى الجاهلية وكان من الدهاة
فى امور الدنيا المقدمين فى الراى وكان عمر رضى الله عنه اذا استضعف
رجلا فى رايه قال اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الاضداد
قال ابو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة
دخل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال يا ابا عبد الله كنت اسمعك
كثيرا ما تقول وددت لو رايت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى اساله

عما اجد فكيف تجد قال اجد كان السماء مطبقة على الارض وكاني بينهما ثم
وكانما اتنفس من خرت ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى فدخل عليه ولده
عبد الله فقال له يا ولدي خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لي به
فقال انه مملو مالا فقال لا حاجة لي به ليته مملو بعرا وقال
اللهم انك امرت فعصينا ونهيت فارتكبنا فلا بري فاعتذر ولا
قوي فانتصر ولكن لا اله الا انت ثم مات واما خارجة المذكور
في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن
العاص بفتح مصر وكان على شرطة مصر في امرة عمرو بن العاص
لمعوية بن ابي سفيان الاموي قتله خارجي بمصر في سنة اربعين للهجرة
وهو يحسب انه عمرو بن العاص هكذا قاله ابن يونس في تاريخ مصر
وذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب وساق نسبه على هذه
الصورة ثم قال يقال انه كان يعدل بالف فارس ذكر اهل النسب
والاخبار ان عمرو بن العاص رضي الله عنه استمد ثلثة الف فارس
فامده بخارجة بن حذافة المذكور والزبير بن العوام والمقداد
ابن الاسود وشهد خارجة فتح مصر وقيل انه كان قاضيا لعمرو
ابن العاص بها وقيل انه كان على شرطة عمرو ولم يزل بها الى ان
قتل قتله احد الخوارج الثلثة الذين كانوا انتدبوا لقتل علي بن ابي طالب

عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي شهد فتح مصر
واختط بمصر ولم يزل بها الى ان قتل [illegible] ابن الخطاب
رضي الله عنه عمرو بن العاص

ومعوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص فاراد الخارجي قتل عمرو فقتل
خارجة هذا وهو يظنه عمرو وذلك انه كان استخلفه عمرو على صلاة الصبح
ذلك اليوم فلما قتله اخذ وادخل على عمرو فقال من هذا الذى ادخلتموني
عليه فقالوا عمرو بن العاصي فقال ومن قتلت قالوا خارجة فقال
اردت عمرا واراد الله خارجة وقيل ان الخارجي الذى قتله لما ادخل
على عمرو قال له عمرو اردت عمرا واراد الله خارجة والله اعلم من
قال ذلك منهما والذى قتل خارجة هذا رجل من بنى العنبر بن عمرو
ابن تميم يقال له داذويه وقيل انه مولى لبنى العنبر وقد قيل ان
خارجة الذى قتله الخارجي بمصر على انه عمرو بن العاصي رجل يسمى خارجة
من بنى سهم رهط عمرو بن العاصي وليس بشيء انتهى كلام صاحب الاستيعاب
وقال غيره ان عمرو بن العاصي اصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله
تلك الليلة وكان خارجة يغشى الناس فضربه الخارجي فقتله فكان
عمرو يقول ما نفعنى بطنى قط الا تلك الليلة قلت فهذا اصل المثل
فى قولهم اردت عمرا واراد الله خارجة والى هذا اشار ابو محمد
عبد المجيد بن عبدون الاندلسى فى قصيدته التى رثى بها بنى الافطس
ملوك بطليوس واولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر

ثم يذكر فيها ولبسها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر
وهي من غرر القصائد جمعت تاريخا كثيرا وشرحها الاديب ابو مروان
عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي شرحها شرحا
مستوفا وهذا البيت يحتاج الى شرح ايضا وهو من تتمة الكلام
على المثل المذكور لكني اذكره مختصرا فانه طويل ذكر اهل علم التاريخ
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل
فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل
وقد ذكرت طرفا من هذه الواقعة في ترجمة يموت بن المزرع
ساقتها الكلام هناك فذكرت المقصود منه ثم كانت وقعة صفين
عند خروج معوية بن ابي سفيان الاموي وعمرو بن العاص على علي بن
ابي طالب عليه السلم فتوجه اليهم من العراق وجاؤ من الشام والتقوا
على صفين وهو موضع على شاطي الفرات بالقرب من الرقه وهي
واقعة مشهورة وكانت في سنة سبع وثلثين من الهجرة ولما غلب اهل
الشام طلبوا من علي بن ابي طالب التحكيم فاجابهم اليه بعد منعا وذات
كثيرة فخرج على علي جماعة من اصحابه وقالوا حكمت في دين الله ولا حكم
الا لله ورحلوا الى النهروان فمضى اليهم وقاتلهم واستاصلهم الا
اليسير منهم وهي واقعة مشهورة بقتال الخوارج ولما طال الامر في

ذلك اجتمعوا فقالوا ان عليا ومعوية وعمرو بن العاصي قد افسدوا
امر هذه الامة فلو قتلناهم لعاد الامر الى حقه فقال عبد الرحمن بن
ملجم المرادي انا اقتل عليا قالوا فكيف لك بذلك قال اغتاله
وقال الحجاج بن عبد الله الصيرمي انا اقتل معوية ويعرف هذا الصيرمي
بالبرك وقال داذويه وقيل زادويه وقد تقدم الكلام عليه في
الكلام على خارجه بن حذافه انا اقتل عمرا واجمعوا امرهم على ان يكون
ذلك في ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلي رضي الله عنه بها
فاشترى سيفا بالف درهم وسقاه السم حتى لقطه فلما خرج علي
لصلاة الصبح كان ابن ملجم قد كمن له فضربه على راسه وقال الحكم لله يا علي
لا لك وقيل انه ضربه وهو في صلاة الصبح وذلك في صبيحة الجمعة
لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اربعين للهجرة وقيل
غير هذا التاريخ وقدم البرك الصيرمي على معوية بدمشق فضربه فجرح
اليته وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل واما عمرو بن العاص
فقد تقدم الكلام عليه عند قتل خارجه فهذا تفسير المثل والبيت الشعر
على سبيل الاختصار والله اعلم

أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال

الملقب الموفق صاحب ديوان الانشا بمصر في دولة الحافظ ابي الميمون
عبد المجيد العبيدي المقدم ذكره ومن بعده قال عماد الدين الكاتب
الاصبهاني في كتاب الخريدة في حقه هو ناظر مصر وانسان ناظرها
وجامع مفاخرها وكان اليه الانشا وله قوة على الترسل يكتب كما
يشا عاش كثيرا وعطل في آخر عمره ولزم بيته الى ان تعوض منه القبر
وتوفي بعد ملك الملك الناصر مصر بثلاث او اربع سنين وذكر له
عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئا منها بعد هذا ان شاء الله تعالى
وذكر ضياء الدين ابو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري ثم
الموصلي المقدم ذكره في الفصل من كتابه الذي سماه الوشي المرقوم في
حل المنظوم فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني
رحمه الله تعالى بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمس مايه وكان
اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصر في زمن
الدولة العلوية غضا طريا وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من راس
يرأس مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا وكان من العادة
ان كلا من ارباب الدواوين اذا نشأ له ولد وحفظ شيئا من علم الادب
احضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع
قال فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية

في ايام الحافظ وهو احد خلفائها وامرني بالمصير الى ديوان الكتابات
وكان الذي يرأس به في تلك الايام رجلا يقال له ابن الخلال فلما
حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رحب بي
وسهل وقال ما الذي اعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس
عندي شيء سوى انني احفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال
في هذا ابلاغ ثم امرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه
امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من اوله الى آخره ثم
امرني ان احله مرة ثانية فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير قلت وبعد
ان نقلت ما ذكره ابن الاثير على هذه الصورة اجتمع بي من له عناية بالادب
خصوصا بهذا الفن وهو من اعرف الناس باحوال القاضي الفاضل وقال
لي هذا الذي ذكره ابن الاثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل
فان القاضي الفاضل لم يدخل الى الديار المصرية الا في ايام الظافر بن
الحافظ وكان وصوله اليها مع ابيه في امر يختص بهم ثم انني وجدت في
بعض تعاليقي بخطي وما ادري من اين نقلته ان القاضي الاشرف والد
القاضي الفاضل كان من اهل عسقلان وكان ينوب في الحكم والنظر بمدينة
بيسان فدخل الى مصر في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي
الناحية من اجل كنز كبير كان عندهم له قيمة كبيرة فداجى الوالي في حقه فاطلقه

فاستدعى الوالى الى مصر لذلك وطولب بمال طائل فاحتمى ببعض
امراء الدولة وجعلوا الاقاويل فى حق القاضى الاشرف فاستدعى
وصودر الى ان لم يبق له شى ولم يكن معه من الاولاد سوى القاضى
الفاضل فحمل على قلبه وتوفى بالقاهرة ليلة الاحد حادى عشر شهر
ربيع الاول سنه ست واربعين وخمس مايه ودفن بسفح المقطم
وتوجه القاضى الفاضل لثغر الاسكندرية وحضر عند ابن حديد
قاضى البلد وناظره وعرفه بوالده فعرفه بالسمعة واستكتبه واخذ
الفرج عسقلان فحضر اخوته اليه وكان مكاتبات ابن حديد ترد الى
مصر وهى فى غاية البلاغة فحسده كتاب انشاها على فضيلته وخافوا
من تقدمه عليهم فسعوا الى الظافر به وقالوا انه قصر فى المكاتبه وكان
صاحب ديوان الانشاء القاضى الاثير بن بنان فحكى انه دخل على
الظافر فقال له يكتب الى ابن حديد يقطع يد كاتبه فتعصب له ابن
بنان وقال له يا مولانا هذا الرجل ما منه لتقصير وانما سعوا به
هولاء الكتاب ليوذيه مولانا فقال له الظافر فتكتب الى ابن حديد
ليرسله الينا ويكتب لنا قال ابن بنان كنت بعد ذلك فى مجلس الظافر
وقد رايت القاضى الفاضل وقد حضر وهو قايم بين يديه وقد استخدمه
والله اعلم وقال العماد فى الخريدة انشدنى مرهف بن اسامه بن منقذ

قال انشدني الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة

عذبت ليال بالعذيب خوالي وحلت مواقف بالوصال حوالي
ومضت لنا ذات تقضى ذكرها تصبى الخلي وتستهيم السالي
وحلت موردة الخدود فاوثقت في الصبوة الخالي لحسن الخالي
قالوا سراة بني هلال اصلها صدقوا كذاك البدر فرع هلال

قال العماد في الخريدة ايضا ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان قلت هو تاليف الرشيد بن الزبير المدرم ذكر من شعر ابن الخلال

قوله

واغن سيف لحاظه يفرى الحسام بحده
فضح الصوارم واللدان بجفنه وبقده
عجب الورى لما حييت وقد منيت ببعده
وبقاء جسمي ناحلا يصلى بوقد صده
كبقاء عنبر خاله في نار صفحة خده

وقوله

اما اللسان فقد اخفى وقد كتما لو امكن الجفن كف الدمع حين هما
اصبتم بسهام اللحظ مهجته فهل يلام اذا اجرى الدموع دما
قد صاد بالسقم من تعزيكم علما ولم يبح بالذي من جودكم علما

فما على صامتٍ ابدى لصدّ كم في كل جارحة منه السّقام فما

واورد له في الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى صبحا وتشفي الناظرين براٰيها
شابت ذوائبها اوان شبابها واسودّ مفرقها اوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر العماد في الخريدة ايضا في ترجمة القاضي ابي المعالي عبد العزيز بن الحسن بن الحبّاب ابياتا كتبها ابن الحباب المذكور الى الرشيد بن الزبير في نكبة جرت للموفق ابن الخلال المذكور وقال العماد كان خاله ولم يذكر ايهما كان خال الآخر وكان ابن الحبّاب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلّال صداع والابيات المشار اليها

تسمّع مقالي يا ابن الزبير فانت خليق بان تسمعه
بلينا بذي نسب شابك قليل الجدى في زمان الدّعه
اذا ناله الخير لم نرجه وان صفعوه صفعنا معه

ثم اني كشفت عن قول العماد وكان خاله ولم يبيّنه فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الحباب المذكور وذكر العماد ايضا في كتاب السيل والذيل الذي جعله ذيلا على الخريدة ابن الخلال ايضا واورد له

وغزالٍ نار وجنته اذكت النيران في كبدي

وله طرف لواحظه نصرت شوقي على جلدي

قذفت عيني سوالفه فتوارت منه بالزبد

والبيت الاول ماخوذ من قول ابي محمد الحسن بن حكينا البغدادي الشاعر المشهور وقد روي لغيره والله اعلم ثم ذكر العماد في الخريدة لعبد السلم بن الحكن المعروف بابن الصواف الواسطي

لو كان امري الي او بيدي اعددت لي قبل بينك العددا

طرفك يرمي قلبي باسهمه فما لخدك تلبس الزردا

ريقته الشهد والدليل على ذلك نمل بخده صعدا

وذكر الحسن بن ظافر الازدي المصري في كتاب بدايع البدايه ان ابا القسم بن هاني الشاعر المتاخر هجا ابن الخلال المذكور وبلغه هجوه فاضمر له حقدا واتفق في بعض المواسم التي جرت عاده ملوك مصر الحضور فيه لاستماع المدايح فجلس ابو الميمون عبد المجيد ملك مصر فانشده الشعراء وانتهت النوبة الى ابن هاني المذكور فانشده واجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف سمع فاثنى عليه واستجاد شعره وبالغ في وصفه ثم قال له لو لم يكن له ما يمت به الا انه ابن ابي القسم بن هاني شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم ماثرها لولا ما استظهره منه الضجر عند دخوله هذه البلاد فقال له ما هو فتحرج من انشاده فابى

النوبه

الحافظ الآن ينشده في اثناء ذلك صنع بيتا وهو

تبًا لمصر فقد صارت خلافتها عظما ينقل من كلب الى كلب

فعظم ذلك على الحافظ وقطع صلته وكان يفرط في عقوبته والله اعلم
ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى ان طعن في السن وعجز عن
الحركة فانقطع في بيته ويقال ان القاضي الفاضل كان يرعى له حق
الصحبة والتعليم فكان يجري عليه ما يحتاج اليه الى ان مات في الثالث
والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله

ابو عمر يوسف بن هرون الكندي المعروف

بالرمادي الشاعر المشهور ذكره الحافظ ابو عبد الله الحميدي في
كتاب جذوة المقتبس فقال اظن احد آبائه كان من اهل رمادة موضع
بالمغرب شاعر قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة
والعامة هناك لسلوكه في فنون من المنظوم مسالك تنفق عند الكل
حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم
بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون وكانا متعاصرين
واستدللت على ذلك بمدحه ابا علي اسمعيل بن القسم القالي عند دخوله
الى الاندلس بالقصيدة التي اولها

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي

وكان وصول ابي العالي الى الاندلس في سنة ثلثين وثلثمايه قلت
وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته ثم ذكر له الحميدي وقايع وعدة مقاطيع
من الشعر وانه الف كتابا في الطير وسجن مدة قلت وقد ذكر
ابو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الابيات التي مدح بها يوسف
ابن هرون ابا علي القالي فاوردت بعد البيت المذكور قوله

في اي جارحة اصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري فثم مدامعي او قلت في كبدي فثم غليلي
وثلث شيبات نزلن بمفرقي فعلمت ان نزولهن رحيلي
طلعت ثلثا في نزول ثلثة واش وواحد مراقب وثقيل
فعزلتني عن صبوتي فلئن دللت لقد سمعت بذلة المعزول

قلت ثم خرج بعد هذا الى المدح وكان قد وصف الصيد والروض
فقال

روض تعاهده السحاب كانه متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم انه اولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبابهم لغات فرقت فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكانما نزل الخراب بربعه الماهول

كأنه شمس بدت في غربها وتغيبت عن شرقها بأفول
يا سيدي هذا ثناي لم اقل زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فانا امرء لم ارج غير القرب من تأميلي

وله في غلام ألثغ

لا الراء تطمع في الوصال ولا انا الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها في راحتي وبكيت منتحبا انا والراء

وله فيه ايضا

اعد لثغة في الراء لو ان واصلا تسمعها ما اسقط الرا واصل

قلت وهذا واصل هو ابن عطا المقدم ذكره في حرف الواو وقد ذكرت هناك هذا الشاعر وشيئا من شعره قلت وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة فقال يوسف بن هرون الرمادي الشاعر من اهل قرطبة يكنى ابا عمر كان شاعر اهل الاندلس المشهور المقدم على الشعراء روى عن ابي علي البغدادي يعني القالي كتاب النوادر في تاليفه وقد اخذ عنه ابو عمر بن عبد البر قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تواليفه قال ابن حيان وتوفي سنة ثلث واربع مايه يوم العنصرة فقيرا معدما ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه قلت يوم العنصرة يوم مشهود مشهور ببلاد الاندلس وهو موسم للنصارى كالميلاد وغيره وهو

يوم الرابع والعشرين من حزيران فيه ولد يحيى بن زكرياء عليهما السلم والعنصره بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفي آخرها هاء وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع ابن نون حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلم وكان يوشع بن اخته الى اريحا لقتل الجبابرة فقتلهم وبقي منهم بقية فخشي ان يحول الليل بينه وبينهم فسال الله عز وجل ان يحبس عليه الشمس حتى يفرغ منهم فحبسها بدعائه وقد ذكر الشعراء ذلك في شعرهم كثيرا فقال ابو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة له طويلة

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لها من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما ادري الاحلام نائم المت بنا ام كان في الركب يوشع

وقال ابو العلا المعري من جملة قصيدة

ويوشع رد يوحا بعض يوم وانت متى سفرت رددت يوحا

ويوح بالباء الموحدة المضمومة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة اسم من اسماء الشمس وكذلك يوح بالياء المثناه من تحتها واريحا بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم الف مقصوره بلدة بارض الشام بين القدس والشريعة وهي قريبة من مداين لوط

عليه السلم والرمادي بفتح الراء والميم وبعد الالف دال مهملة
بعدها ياء النسب هذه النسبة الى الرماده وقال ياقوت الحموي في
كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا في باب الرماده
الرمادة عشر مواضع وعدها فقال الثالث رمادة المغرب
ينسب اليها يوسف بن هرون الكندي الرمادي الشاعر القرطبي
وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة وهي مقبرة قرطبه والله
اعلم وذكر ابن سعيد في كتاب المغرب في اشعار اهل المغرب
ان الرمادي المذكور اكتسب صناعة من الادب من شيخه ابي بكر
يحيى بن هذيل الكفيف علم ادباء الاندلس وهو القايل

لا تلمني على الوقوف بدار اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي الى هواهم سبيلا ثم سدوا علي باب الرجوع

ثم قال وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست او خمس وثمنين
وثلثمايه وهو ابن ست وثمنين سنة رحمه الله تعالى

يوسف بن درة الشاعر المعروف

بابن الدر الموصلي الاصل كان شابا ذكيا ذكره ابو شجاع محمد بن علي الدهان
في تاريخه وقال انه هلك مع الحاج سنة خمس واربعين وخمس مايه

لما خرجت عليهم زعب وقد ذكره عماد الدين الكاتب في الخريدة وذكره ابو المعالي سعيد بن علي الخطيري المقدم ذكره في كتاب زينة الدهر ومن شعره قوله في رجل ازجل

مدورة الكعب فاتخذ لسل غرش وتل عوش

لو نظرت عينه الثريا اخرجها من بنات نعش

وله غير هذا اشياء حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير الجزري في مختصر كتاب ابي سعد عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله في الانساب ما مثاله قلت فانه الزعبي بكسر الزاي وسكون العين المهملة واخره باء موحدة نسبة الى زعب سليم بن مالك بن خفاف ابن امرء القيس بن بهثة بن سليم بطن مشهور من سليم وهذه زعب هي الذي اخذت الحاج سنة خمس واربعين وخمس مائة فهلك منهم خلق عظيم قتلا وجوعا وعطشا ثم ان الله تعالى رمى زعبا بالقلة والذلة بعده الى الآن ودره بضم الدال المهملة والدرا بفتحها وتشديد الراء وبعدها الف مقصورة

ابو المحاسن يوسف بن اسمعيل بن علي

ابن احمد بن الحسين بن ابرهيم المعروف بالشوا الملقب شهاب الدين

١٥٥

152

الكوفي الاصل الحلبي المولد والمنشا والوفاه كان اديبًا فاضلًا متقنًا
لعلم العروض والقوافي شاعرًا تقع له في الشعر محاسن بديعة في
البيتين والثلثه وله ديوان شعر كبير يدخل في اربع مجلدات وكان
زيه على زي الحلبيين الاوايل في اللباس والعمامه المشقوقه وكان كثير
الملازمه لحلقة الشيخ تاج الدين ابي الغنم احمد بن هبة الله بن سعيد
ابن سعد بن مقلد المعروف بابن الجبراني الحلبي النحوي اللغوي الفا صل
واكثر ما اخذ الادب عنه وبصحبته انتفع وكان بيني وبين الشوا
مودة اكيدة وموانسة كبيرة ولنا اجتماعات في عدة مجالس نتذاكر
فيها الادب وانشدني كثيرًا من شعره وما زال الصاحبي منذ اواخر
سنة ثلث وثلثين وستمئة الى حين وفاته وقبل ذلك كنت اراه
قاعدًا عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدره بجامع حلب
وكان يكثر التمشي في الجامع ايضًا على جاري عادتهم في ذلك كما
يعملون في جامع دمشق ولم يكن بننا اذ ذاك معرفه وكان حسن
المحاوره مليح الايراد مع السكون والتاني جميل التاني واول شي
انشدني من شعره قوله

هاتيك يا صاح ربى لعلع ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا فقد غدت اهلة المربع

حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن او عطفا على الموضع

وانشدني لنفسه ايضا

ومهفهف عني الزمان بخده فكساه ثوبي ليله ونهاره

لا مهدت عيني محاسن وجهه ان غض عندي منه غض عذاره

وانشدته يوما في اثناء مناشرة جرت بيننا قول شرف الدين ابا المحاسن

محمد المعروف بابن عنين الدمشقي المقدم ذكره في صدر جهان المعروف

بابن مازه البخاري وقيل السرخسي

مال ابن مازه دونه لعفاته خرط القتادة او منال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه في راحة مثل المنادى المفرد

فقال هذا ليس بجيد قلت ولم فقال ليس من شرط المنادى المفرد

ان يكون مضموما ولا بد فقد يكون المنادى مفردا ولا يكون مضموما

بان يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن انا اعمل في هذا

شيا ثم اننا اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال قد عملت في ذلك

المعنى شيا فاسمعه مني ثم انشد ٥

لنا خليل له خلال تعرب عن اصله الاخس

اضحت له مثل حيث كف وددت لو انها كامس

فقلت له وهذا ايضا فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات

فمن العرب من يبنيها على الضم ومنهم من يبنيها على الفتح ومنهم من يبنيها على الكسر وفيها لغات اخر غير هذه واما امس فمنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يقول انها اسم معرب لكنه لا ينصرف وانشدوا على هذه اللغة وهو

لقد رايت عجبا مذ امسا عجايزا مثل السعالى خمسا

هذا اذا كانت امس معرفة فاما اذا كانت نكرة فهى معربة قولا واحدا فسكت وكان كثيرا ما يستعمل العربية فى شعره فمن ذلك قوله ولا ادرى هل انشد به ام لا فانه انشدنى شيئا كثيرا من شعره وما ضبطت كلما انشدنى وكذلك كل شى اذكره بعد هذا الا الحق الكال فى سماعى منه فاورده مهملا فمنه ○

وكنا خمس عشرة فى التئام على رغم الحسود بغير آفه
فقد اصبحت تنوينا واضحى حبيبى لا تفارقه الاضافه

وله فى غلام ارسل احد صدغيه وعقد الآخر

ارسل صدغا ولوى قاتلى صدغا فاعيى بهما واصفه
فخلت ذا فى خده حية تسعى وهذا عقربا واقفه
ذا الف ليست لوصل وذا واو ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما انشدنى بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره

رحمه الله تعالى لنفسه من جملة ابيات

عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه على فانى اعرف الواو تعطف

ولابى المحاسن الشوا ايضا

ناديت وهو الشمس فى شهرة والجسم للخفية كالفيء
يا زاهيا اعرف من مضمر صل واهيا انكر من شيء

وله فى شخص لا يكتم السر

الى صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة او محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثه حديثا اعاده فى الحال

وله ايضا

قالوا حبيبك قد تضوع نشره حتى غدا منه الفؤاد معطرا
فاجبتهم والخال يعلو خده او ما ترون النار تحرق عنبرا

قلت وقد تقدم فى ترجمة يحيى بن نزار المنبجى عدة مقاطيع من شعر العماد
المحلى وغيره وفيها الملام بهذا المعنى ولابى المحاسن ايضا

هواك يا من له اختيال ما لى على مثله احتيال
قسمة افعاله يحيى ثلاثة ما لها انتقال
وعدك مستقبل وصبرى ماض وشوقى اليك حال

وله ايضا

فديت بنفسي رأس عين ومن فيها وبيض السواقي حول زرق سواقيها
اذا رأتني منها جواري عيونها اراق دمي منها عيون جوانيها

وله ايضا

ان كان قد حجبوه عني غيرةً منهم عليه فقد قنعت بذكره
كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه عنه فاغنى نشره عن نشره

وله في غلامٍ قد ختن

هنات من اهواه عند ختانه فرحا وقلت وقد عراه وجوم
يفديك من الم الم بك امرؤ تخشى عليك اذا ثناك نسيم
امعذبي كيف استطعت على الاذى جلدا واجزع ما يكون الريم
لولم يكن هذا الطهار سنة قد سنها من قبل ابرهيم
لفتكت جهدي بالمزين اذ غدا في كفه موسى وانت كليمه

ومعظم شعره على هذا الاسلوب وقد اوردت منه انموذجا فيه كفاية وكان من المتغالين في التشيع واكثر اهل حلب ما كانوا يعرفونه الا بمحاسن الشوا والصواب فيه هو الذي ذكرته هاهنا وان اسمه يوسف وكنيته ابو المحاسن وكان مولده تقديرا من سنة اثنين وستين وخمس مايه فانه كان لا يحقق مولده وتوفي ليلة الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلثين وستمئة بحلب ودفن بظاهرها

بمقبرة باب انطاكيه غربي البلد ولم احضر الصلاة عليه لعذر عرض
الى ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم الصاحب واما شيخه ابن
الجبراني فهو طاي بحتري وكان من قرية من اعمال عزاز يقال لها
جبرين قورسطانا فنسب اليها هكذا اخبر عن نفسه وكان متضلعا
من علم الادب خصوصا اللغة فانها كانت غالبة عليه وكان متحرافيها
وكان له تصدر في جامع حلب في المقصوره الشرقيه المشرفه على صحن
الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قاضي حلب يوم الجمعه ولقد كنت
يوما قاعدا في هذه المقصورة عند الدرابزين الذي الى جهة الصحن واذا
به حضر ومعه جماعة من اصحابه وفيهم الشهاب ابو المحاسن الشوا
المذكور وجلس في المحراب الذي في هذه المقصورة وهو موضع تصدره
فجعلت بالي من تكلمه وانا في ذلك الوقت مشتغلا بالادب فسمعته تكلم
في قاعدة الافعال الثلثه التي اولها واو وهي على فعل بكسر العين مثل
وجل وغير وان مضارعه فيه اربع لغات يوجل وييجل وياجل
وبجل الا ما شذ من الافعال الثمانيه التي هي وثم وورث وورع
وورى وومق ووثق ووفق وولى فان مضارعها بالكسر
ايضا كماضيها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع ووطي يطا وانما الفتح
هذا الفعلان في المضارع لاجل حرف الحلق واطال الكلام في ذلك بما لم

اقدر على حفظه في ذلك الوقت ولم اسمع منه عن هذا الفصل وكان
مولده يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة احدى وستين
وخمس مايه وتوفي في يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وعشرين
وستمئة بحلب ودفن في سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى

ابو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري

البياسي احد فضلاء الاندلس وحفاظها المتقنين كان اديبا بارعا
فاضلا مطلعا على اقسام كلام العرب من النظم والنثر وراويا لوقايعها
وحروبها وايامها بلغني انه كان يحفظ كتاب الحماسة تاليف ابي تمام
الطاي والاشعار الستة وديوان ابي تمام المذكور وديوان ابي الطيب
المتنبي وسقط الزند وغير ذلك من الاشعار من شعراء الجاهلية
والاسلام وتنقل في بلاد الاندلس وطاف باكثرها وقدم من
جزيرة الاندلس الى مدينة تونس جمع للامير ابي زكريا يحيى بن ابي محمد
عبد الواحد بن ابي حفص عمر صاحب افريقيه رحمهم الله تعالى اجمعين
كتابا سماه كتاب الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ابتدا فيه
بمقتل عمر رضي الله عنه وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري
على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت ترجمة المذكور

وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني
وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة ايضا قبل هذا واستوفيت
القصة في الترجمتين ورايت هذا الكتاب وطالعته وهو في مجلدين
اجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن ورايت له ايضا
كتاب الحماسة ايضا في مجلدين وقد قريت النسخة عليه وعليها خطه
كتبه في اواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمئة وقال في آخر
الكتاب وكان الفراغ من ترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في
شوال سنة ست واربعين وستمئة ونقلت من اوله بعد الحمد له
ما مثاله اما بعد فاني كنت في اول حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع
بالادب ومحبة في كلام العرب ولم ازل متتبعا لمعانيه ومفتشا على
قواعده ومبانيه الى ان حصلت لي منه جملة لا يستطيع الطالب المجتهد
حملها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الا يكون عنده مثلها وحملتني المحبة
في ذلك العلم والولوع به على ان جمعت مما اخترته واستحسنته من
اشعار العرب جاهليها ومخضرمها واسلاميها ومولدها ومن اشعار
المحدثين من اهل الشرق والاندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة ويحمل
عليه المناظرة ثم اني رايت ان بقاها دون ان تدخل تحت قانون وديوان
يؤلفها موذن بذهابها ومؤد الى فسادها فرايت ان اضم مختارها

واجمع مستحسنها تحت ابواب تقيد نافرها وتضم نادرها ونظرت
في ذلك فلم اجد اقرب تبويب ولا احسن ترتيب مما بوبه ورتبه ابو تمام
حبيب بن اوس الطائي رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة
وحسن الاقتدا به والتوخي لمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده
منها باوفر حظ وانفس بضاعة   فاتبعت في ذلك مذهبه ورعيت
منزعه وقرنت الشعر بما جانسه   ووصلته بما يناسبه ونقحت
ذلك واخترعته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي قلت
واطال القول بعد هذا مما لا حاجة بنا الى ذكره ونقلت منه شيا
كثيرا فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي قال ابو علي القالي البغدادي
انشدنا ابو بكر بن دريد قال انشدنا ابو حاتم السجستاني ٥

الا في سبيل الله ماذا تضمنت   بطون الثرى واستودع البلد القفر
فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم   حياتهم فخر وموتهم ذكر
حياتهم كانت لاعدائهم عمى   وموتهم للفاخرين بهم فخر

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الاحنف

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه   وان كنت مظلوما فقل انا الظالم
فانك ان لا تغفر الذنب في الهوى   يفارقك من تهوى وانفك راغم

وللواوا الدمشقي وقيل لابي فراس بن حمدان والله اعلم ٥

بِاللهِ رَبِّكُما عُوجا عَلى سَكَنِي وَعاتِباهُ لَعَلَّ العَتْبَ يَعطِفُه

وعَرِّضا بِي وَقُولا في حَدِيثِكُما ما بالُ عَبدِكَ بِالهِجْرانِ تُتْلِفُهُ

فَإِنْ تَبَسَّمَ قُولا في مُلاطَفَةٍ ما ضَرَّ لَوْ بِوِصالٍ مِنكَ تُسعِفُهُ

وَإِنْ بَدا لَكُما مِن سَيِّدِي غَضَبٌ فَغالِطاهُ وَقُولا لَيسَ نَعرِفُهُ

وَقَولُ المجنون

تَعَلَّقتُ لَيلَى وَهِيَ بِكرٌ صَغِيرَةٌ وَلَم يَبدُ لِلأَترابِ مِن ثَديِها حَجمُ

صَغِيرَينِ نَرعَى البَهمَ يا لَيتَ أَنَّنا إِلى اليَومِ لَم نَكبَرْ وَلَم يَكبَرِ البَهمُ

البهم الصغار من اولاد الضان الواحد بهمه بفتح الباء الموحده وسكون الهاء وهذان البيتان تستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول له معا بلفظ واحد فان صغيرين انتصب على الحال من التا في قوله تعلقت وهى فاعله ومن ليلى وهى مفعوله ومثله قول عنترة

العبسي

صوابه ذوائف

مَتى ما تَلقَنِي فَرْدَينِ تَرجُفْ رَوادِفُ أَليَتَيكَ وَتُستَطارا

نصب فردين على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الانباري في كتاب اسرار العربية في باب الحال وقال الواوا الدمشقي ايضا ذكره في حماسه البياسي المذكور

وَزائِرٍ راعَ كُلَّ النّاسِ مَنظَرُهُ أَحلَى مِنَ الأَمنِ عِندَ الخائِفِ الوَجِلِ

ان يسلم البلد الا بكتاب الخليفة واعتد اهل شيراز للحصار وقد كانت
المنهزمه من اصحاب طوق قد اسروا ثلثة انفس من اصحاب يعقوب فحبسهم
على بن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه الى يعقوب اشترى دارا بشيراز
يستعين بها على سكنه بسبعين الف درهم وقدر للنفقة مالا فكتب طوق
الى ابنه لا يقطع البناء عن الدار فان يعقوب قد اكرمني واحسن الي وسال
اطلاق الثلثة الماسورين من اصحابه فان يعقوب سال ذلك ليطلقهم
اذا وافوا اليه فقال على بن الحسين اكتبوا الى يعقوب ليصل طوق
ابن المغلس وان اقل عبد من عبيده اكبر عنده منه وسال يعقوب بن
طوق بن المغلس عن امور على بن الحسين فضعف امره عنده وتقرب طوق
الى يعقوب بمال عنده بشيراز وانه يكتب الى اهله في حمله اليه ليقوى
به على حربه فامره يعقوب ان يفعل ذلك فكتب الى ابنه فوقع الكتاب
في يد على بن الحسين فاخذ المال وغيره من دار طوق وحمله الى داره
وزحف يعقوب واحتشد على بن الحسين قال احمد بن الحكم قال لي يعقوب
اخبرني عن على بن الحسين امسلم هو قلت نعم قال افرايت مسلما يوجه
بالاكراد الكفار الى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم وياخذون
اموالهم الم تعلم ان احمد بن الليث الكردي قتل بكرمان سبعماية انسان
على دم واحد وافتض الاكراد مايتي بكر من اهل البيوتات وحملوا معهم

نحو الفی امراه الی بلادهم فهل رأيت مسلماً فعل او رضی بمثل هذا قلت
نعل احمد هذا عن غير امره ثم قال له يعقوب في غير مناظرة انه قل لعلی
ابن الحسين ان معی احرار جئت بهم وليس بهم الی دارهم الا انهم يحتاجون ان ترجع
الی بما يرضيهم ووجه لي في نفسی بما يشبهه مثلی من البر فاذا فعلت فانا
اخوك وعونك علی من حاربك وادفع لك كرمان تاكلها وانصرف الی
عملی وارتحل يعقوب الی قرية يقال لها خوزاستان وورد الی احمد بن الحكم
الی علی بن الحسين يوم الثلثاء لثمان خلون من جمادی الاولی من السنة
المذكورة وعلی يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم فلم يفهم علی بن الحسين
شيئاً مما جئته به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعاء له فهمت
كتابك وذكرك ورودی هذا البلد العظيم خطره بغير اذن من امير
المومنين فانی لست ممن تطمع نفسه فی محاولة ظلم ولا ممن يكنه ذلك وقد
اسقطت عنك مؤونة الاهتمام فی هذا الباب فان البلد لامير المومنين
ونحن عبيده نتصرف بامره فی ارضه وسلطانه وطاعة الله وطاعته وقد
اسمعت من رسولك ورجعت اليه فی جواب ما حملته واداء ما يورده
عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحاً فان استعملته ففيه السلامة
ان شاء الله وان ابيت فان قدر الله تعالی نافذ فلا محيص عنه ونحن
نعتصم بالله تعالی من الهلكة ونعوذ به من دواعی البغی ومصارع الخذلان

وخنس هو صاحب جهار سوج خنيس بالكوفه وهو لفظ اعجمي تفسيره
بالعربي اربع طرق لان هذا المكان رحبه مربعه تفترق الى اربع جهات

يعقوب بن اسحق المقرئ

ابو محمد يعقوب بن اسحق بن زيد

ابن عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي بالولاء البصري المقرئ المشهور وهو احد القراء العشرة وهو المقرئ الثامن وله في القراات رواية مشهورة منقولة عنه وهو من اهل بيت العلم بالقرات والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقه وكان من اقرا القراء واخذ عنه عامه حروف القران مسندا وغير مسند من قراة الحرميين والعراقين واهل الشام وغيرهم واخذ هو القراة عرضا عن سلام بن سليمن الطويل ومهدي بن ميمون وابي الاشهب العطاردي وغيرهم وروى عن حمزة حروفا وسمع الحروف من ابي الحسن الكسائي وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبه واما اسناده في القراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قرا على سلام المذكور وقرا سلام على عاصم بن ابي النجود وقرا عاصم على ابي عبد الرحمن السلمي وقرا ابو عبد الرحمن على علي بن ابي طالب عليه السلم وقرا علي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى القراة عن يعقوب المذكور عرضا جماعة منهم روح بن عبد المومن ومحمد بن المتوكل وابو حاتم

وغيرهم وسمع منه الزعفراني واقتدى به في اختياره عامة البصريين بعد
ابي عمرو بن العلا فهم او اكثرهم على مذهبه وكان طاهر بن عبد المنعم بن غلبون
امام الجامع بالبصرة لا تقرأ الا بقراءة يعقوب وقال ابو الحسن بن المنادي
قراءة يعقوب على ابي عمرو وغلط في ذلك وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم
سئل احمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال صدوق
وسئل ابو حاتم الرازي عنه فقال صدوق وقال ابو حاتم السجستاني
كان يعقوب الحضرمي اعلم من ادركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في
القرآن الكريم وتعليله ومذاهبه ومذاهب النحو في القرآن الكريم وله
كتاب سماه الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف الى
من قرأ به وبالجملة فانه كان امام اهل البصرة في عصره في القراءات وكان
ياخذ اصحابه بعد اي القرآن العزيز فاذا اخطأ احدهم في العدد
اقامه وتوفي يعقوب المذكور في ذي الحجة وقيل جمادى الاولى سنة
خمس ومائتين وهو الاصح وعاش هو وابوه اسحق وجده زيد كل واحد منهم
ثمان وثمانين سنة رحمهم الله تعالى واما جد ابيه ابي عبد الله بن ابي اسحق
الحضرمي فانه كان من الائمة الاعلام المشار اليه في علوم قال ابو عبيدة معمر
ابن المثنى اول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلي ثم ميمون الاقرن ثم
عنبسة الفيل ثم عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وقد جاء في رواية اخرى ان

وان سبقت بنا ايدى المنايا فكم من غائب تحت التراب

وقال ابو عبد الله الحاكم ابو عوانة من علماء الحديث واثباتهم ومن الرحالة
فى اقطار الارض لطلب الحديث توفى سنه ست عشرة وثلثمائه وقال حمزة بن
يوسف السهمى روى بجرجان سنة اثنين وتسعين ومائتين قال الحافظ ابو
القسم بن عساكر حدثنى الشيخ الصالح الزاهد الاصيل ابو عبد الله محمد
ابن محمد بن عمر بن الصفار الاسفراينى قال قبر ابى عوانه باسفراين مزار العالم
ومتبرك الخلق وبجنب قبره قبر الراوية عنه ابى نعيم عبد الملك عبد الملك
ابن حسن الازهرى الاسفراينى فى مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل
من باب نيسابور من اسفراين وقريب من مشهده مشهد الامام الاستاذ
ابى اسحق الاسفراينى على يمين الداخل من باب نيسابور والى جانب قبره قبر
الاستاذ ابى منصور البغدادى الامام المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب
حيا وميتا المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين سمعت جدى الامام
عمر بن الصفار رحمه الله تعالى ونظر الى القبور حول قبر الاستاذ ابى اسحق
واشار الى المشهد وخارج المشهد وقال قد قيل ها هنا من الايمة والفقهاء
على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه اربعين اماما كل واحد منهم لو تصرف
فى المذهب وافتى برايه واجتهاده يعنى على مذهب الامام الاستاذ الشافعى
لكان حقيقا بذلك والعوام يتقربون الى مشهد الاستاذ ابى اسحق اكثر مما يتقربون

الى ابى عوانه وهم لا يعرفون قدر هذا الامام الكبير المحدث ابى عوانه لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الاستاذ ابى اسحق وابو عوانه هو الذى اظهر لهم مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه باسفرايين بعد ما رجع عن مصر واخذ العلم عن ابى ابرهيم المزنى رحمه الله تعالى وكان جدى اذا وصل الى مشهد الاستاذ زاره لا يدخله احتراما بل كان يقبل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم تعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبه واذا وصل الى مشهد ابى عوانه كان اشد تعظيما له واجلالا وتوقيرا ويقف اكثر من ذلك رحمهم الله تعالى وعوانه بفتح العين وبعد الالف نون وقد تقدم الكلام على النيسابورى والاسفراينى فلا حاجة لى اعادته

ابو يوسف يعقوب بن اسحق المعروف

يعقوب بن السكيت

بابن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وغيره ذكره الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق فقال حكى عن ابى عمرو اسحق بن مراجف والشيبانى ومحمد بن مهنا ومحمد بن صبح السماك الواعظ حكى عنه محمد بن فرج ومحمد بن عجلان الاجارى وابو عكرمه الضبى وابو سعيد السكرى وميمون بن هرون الكاتب وغيرهم وكان يودب اولاد المتوكل وقال قال محمد بن السماك من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم وراس المداراه ترك المماراه وروى ابن

١٦٢
١٥٥

السكيت ايضا عن الاصمعي وابي عبيدة والفرا وجماعة غيرهم وكتبه
جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق وكتاب الالفاظ وكتاب في معاني
الشعر وكتاب القلب والابدال ولم يكن له نفاذ في علم النحو وكان
يميل في رايه واعتقاده الى مذهب من يرى تقديم علي بن ابي طالب
عليه السلم قال ابو علي احمد بن عبيد شاورني ابن السكيت في منادمة
المتوكل فنهيته فحمل قولي على الحسد واجاب الى ما دعي اليه من
المنادمة فبينا هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل
يا يعقوب ايما احب اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين فغض
ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين رضي الله عنهما ما
هما من اهله فامر الاتراك فداسوا بطنه وحمل الى داره فمات
بعد غد ذلك اليوم وكان ذلك في سنة اربع واربعين ومائتين
وقال عبد الله بن عبد العزيز مثل ذلك وكان نهى يعقوب عن
اتصاله بالمتوكل ما افاده شيئا فقال بعض الشعراء في المعنى
نهيتك يا يعقوب عن جب شاذن اذا ما سطا اربى على ام قشعم
فذق واحس ما استحسنته لا اقول اذ عثرت لعا بل لليدين وللفم
وحكى ان الفرا سال ابن السكيت عن نسبه فقال خوزي اصلحك الله
من دورق قلت وهي بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة را ثم

كاف

وهي بليدة من اعمال خوزستان قال من كور الاهواز قلت والاهواز
من خوزستان ايضا قال فبقي في بيته اربعين يوما لا يظهر لاحد من
اصحابه فسئل عن ذلك فقال سبحان الله استحي ان ارى السكيت
لانني سالته عن نسبه فصدقني وفيه بعض القبح فقال ابو الحسن
الطوسي كنا في مجلس ابي الحسن علي اللحياني وكان عازما ان يملي
نوادره ضعف ما املى فقال يوما تقول العرب مثقل استعان
بدقنه يريدون الجمل اذا نهض بحمله استعان بجنبيه فقطع الاملا
فلما كان املى فقال تقول العرب هو جاري مكاسري فقام اليه ابن
السكيت فقال اعزك الله ما معنى مكاسري انما هو مكاشري كشر
معي الى الكشر بينه فقطع اللحياني الاملاء فما املى بعد ذلك شيا
وقال ابو العباس المبرد ما رايت للبغداديين كتابا احسن من
كتاب ابن السكيت في المنطق وقال احمد بن محمد بن ابي شداد شكوت
الى ابن السكيت طايفة ففال هل قلت شيا قلت لا قال
فاقول انا ثم انشدني

نفسي تروم امورا لست مدركها ما دمت احذر ما ياتي به القدر
ليس ارتحالك في كسب الغنى سفرا لكن مقامك في ضر هو السفر

وقال ابن السكيت كتب رجل الى صديق له قد عرضت لي قبلك

حاجة فان نجحت فالفاني منها حظي والباقي حظك وان تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلم ونقل من خطه ما مثاله عرض سليمن بن ربيعة الباهلي الخيل فمر عمرو ابن معدي كرب الزبيدي على فرس له فقال سلمان هذا الفرس هجين فقال عمرو بل هو عتيق فقال سلمان هجين فقال عمرو عتيق فامر سلمان نعطش ثم دعا بطشت فيه ماء ودعا بخيل عتاق فشربت وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين فقال له سلمان اترى فقال عمرو اجل ان الهجين يعرف الهجين فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى عمرو قد بلغني ما قلت لاميرك وبلغني ان لك سيفا تسميه الصمصامه وعندي سيفا اسمه مصمما وايم الله لان وضعته على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به رهابتك فان سرك ان تعلم حق ما اقول فعد والسلم الرهابه على وزن السحابه عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان والله اعلم

وقال ابو عثمان المازني اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير فقال محمد بن عبد الملك سل ابا يوسف عن مسئلة فكرهت ذلك وجعلت اتباطى وادافع مخافة ان اوحشه لانه كان الى صديق فالح علي محمد بن عبد الملك وقال لم لا تسأله فاجتهدت في اختيار مسئلة سهلة لاقارب يعقوب فقلت له ما وزن نكتل من الفعل

في قول الله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل فقال لي نفعل فقال ينبغي أن
يكون ماضيه كِل فقال لا ليس هذا وزنه إنما هو نفتعل فقلت له نفتعل كم
حرفاً هو قال خمسة أحرف قلت فنكتل كم حرفاً قال أربعة أحرف فقلت أيكون
أربعة أحرف على وزن خمسة أحرف فانقطع وخجل وسكت فقال محمد بن عبد
الملك إنما تأخذ كل شهر ألفي درهم على أنك لا تحسن وزن نكتل قال فلما خرجنا
قال لي يا أبا عثمن هل تدري ما صنعت فقلت والله لقد قاربتك جهدي
وما لي في هذا ذنب قلت وذكر أبو الحسن بن سيده هذه الحكاية في
أول خطبة كتابه المحكم في اللغة لكنه قال إن ذلك كان بين يدي المتوكل
والله أعلم وقال غير ابن عساكر كان يعقوب بن السكيت مع أبيه بمدينة
السلم في درب القنطرة يعلم صبيان العامة حتى احتاج إلى الكسب فجعل
يتعلم النحو وحكى عن أبيه أنه كان قد حج وطاف بالبيت وسأل الله تعالى أن
يعلم ولده النحو فتعلم النحو واللغة وكان يختلف إلى قوم من أهل القنطرة
فأجروا له كل دفعة عشرة دراهم حتى اختلف إلى بشر وهرون ابني هرون كانا
يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي فما زال يختلف إليهما وإلى أولادهما
دهراً فاحتاج ابن طاهر إلى رجل يعلم أولاده وجعل ولده في حجر ابرهيم
ابن إسحق المصعبي فرتب يعقوب وجعل له خمسمائة درهم ثم جعلها ألف درهم
وقال أبو العباس ثعلب كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم وكان أبوه

١٦٤
١٦٥

وكان ابوه رجلا صالحا وكان من اصحاب ابي الحسن الكسائي حسن المعرفه بالعربيه وكان سبب تعود يعقوب للناس وتصدّيهم اياه انه عمل شعر ابي النجم العجلي وجرّده فقلت له ادفعه الي لانسخه فقال يا ابا العباس حلفت بالطلاق انه لا تخرج من يدي ولكنه بين يديك فانسخه واحضر يوم الخميس فلما وصلت اليه عرفت بني فحضر بحضوري قوم ما ثم انتشر ذلك فحضر الناس وقال ثعلب ايضا اجمع اصحابنا انه لم يكن بعد ابن الا احدا اعلم باللغة من ابن السكيت وكان المتوكل قد الزمه تاديب ولده المعتز بالله فلما جلس عنده قال له باي شيء يحب الامير ان يبدا بما يريد من العلوم فقال المعتز بالانصراف قال يعقوب فاقوم قال المعتز فانا اخف نهوضا منك وقام فاستعجل فعثر بسراويله فسقط والتفت الى يعقوب خجلا وقد احمرّ وجهه فانشد يعقوب هذين البيتين

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب راسه ... وعثرته في الرجل تبرا في مهل

غرابي

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فاخبره بما جرى فامر له بخمسين الف درهم وقال قد بلغني البيتان وكان يعقوب يقول انا اعلم من ابي بالنحو وابي اعلم مني بالشعر واللغة وقال الحسين ابن عبد المجيب الموصلي سمعت ابن السكيت يقول في مجلس ابي بكر بن ابي شيبة

ومن الناس من يحبك حبًا ظاهر الحب ليس بالتقصير
واذا ما رأيته عشر فليس الصق الحب باللطيف

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تثق النفس به فمن ذلك قوله

اذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واستقرت وارست في اماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت فموصول بها فرج قريب

وكل العلماء يقولون اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وادب الكاتب تاليف
ابن قتيبه خطبة بلا كتاب لانه طول الخطبة واودعها فوايد وقال بعض
العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل اصلاح المنطق ولا
شك انه من الكتب النافعة الممتعه الجامعه للكثير من اللغه ولا نعرف
من حجمه في بابه مثله وقد عني به جماعة فاختصره الوزير ابو القسم
الحسين بن علي المعروف بابن المغربي المقدم ذكره وهذبه الخطيب ابو زكريا
التبريزي وتكلم على الابيات المودوعه فيه لابن السيرافي وهو كتاب مفيد
ولابن السكيت من التصانيف ايضًا كتاب الزبرج وكتاب الالفاظ وكتاب
الامثال وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمونث وكتاب الاجناس

وهو كبير وكتاب الفرق وكتاب السرج واللجام وكتاب فعل وافعل وكتاب
الحشرات وكتاب الاصوات وكتاب الاضداد وكتاب الشجر والنبات
وكتاب الوحش وكتاب الابل وكتاب النوادر وكتاب معاني الشعر الكبير
وكتاب معاني الشعر الصغير وكتاب سرقات الشعر وما اتفقوا عليه
وغير ذلك من الكتب ومع شهرته فلا حاجة الى الاطالة في ذكر فضله
وقد روي في قتله غير ما ذكرته اولا فقيل ان المتوكل كان كثير التحامل
على علي بن ابي طالب عليه السلم وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما
وقد تقدم في ترجمة ابي الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام ابيات تدل
على هذا ايضا وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم والتوالي لهم فلما
قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت والله ان قنبرا خادم علي
ابن ابي طالب عليه السلم خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه
من قفاه ففعلوا ذلك به فمات وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من
رجب سنة اربع واربعين ومائتين وقيل سنة ثلث واربعين وقيل
سنة ست واربعين والله اعلم وبلغ عمره ثمان وخمسين سنة ولما مات
سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك رحمه
الله تعالى وقال ابو جعفر احمد بن محمد المعروف بابن النحاس كان اول
كلام المتوكل مزاحا مع ابن السكيت ثم صار جدا وقيل ان المتوكل امره ان

يشتم رجلاً من قريش وان يسأل منه فلم يفعل فامر القرشي ان ينال من ابن السكيت
ففعل فجاوبه ابن السكيت فقال له المتوكل امرتك فلم تفعل فلما شتمك فعلت
وامر به فضرب وحمل من عنده والله اعلم اي ذلك كان وقد تقدم في
ترجمة عبد الله ابن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معويه وعمر
ابن عبد العزيز وايهما افضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف
المشددة والياء المثناة من تحتها والتاء المثناة من فوقها وعرف بذلك
لانه كان كثير السكوت طويل الصمت وكلما كان على وزن فعيل او فعليل
فانه مكسور الاول وقوله خوزي فهو بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاي
هذه النسبة الى خوزستان وهو اقليم بين البصره وبلاد فارس

يعقوب بن الليث الصفار

ابو يوسف يعقوب بن الليث الصفار

الخارجي قد اكثر اهل التاريخ في ذكر هذا الرجل وذكر اخيه عمرو وما ملكا
من البلاد وقتلا من العباد وما جرى للخلفاء معهما من الوقايع وقد اخترت
من ذلك ما اودعته في هذه الاوراق فاقول قال ابو عبد الله محمد بن الازهر
الاخباري حدثني علي بن محمد وكان عالماً بامور يعقوب بن الليث الصفار
ومحاربته واول امره انه هو واخاه عمرو كانا صفارين في حداثتهما
وكانا يظهران الزهد وان رجلاً من اهل سجستان كان مشهوراً بالتطوع

في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعي من اهل بست
فصحباه وحظيا به فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراه اخا يعقوب
المذكور واقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفه له ثم هلك
صالح فتولى مكانه درهم بن الحسن بن المطوعه ايضا فصار يعقوب مع
درهم كما كان مع صالح ثم ان صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به
فحمل الى بغداد فحبس بها ثم اطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته يظهر
النسك والحج والاقتصاد حتى غلظ امر يعقوب وذكر شيخنا عز
الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير في تاريخه في سنة
سبع وثلثين ومائتين ابتدا امر يعقوب المذكور فقال وفي هذه
السنه تغلب انسان من اهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على
سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر
ابن الحسين امير خراسان استنقذها منه ثم ظهر بها انسان اسمه
درهم بن الحسن من المتطوعه فغلب عليها وكان غير ضابط لامور عسكره
وكان يعقوب بن الليث قايد عسكره فلما راوا اصحاب درهم ضعفه وعجزه
اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه امرهم لما راوا من تدبيره وحسن
سياسته وقيامه بامرهم فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الامر وسلم
اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت شوكته

وقصدته العساكر من كل ناحية فصار من امره ما نذكره ورجعنا الى تمام
ما ذكره على بن محمد فلما دخل درهم بن الحسن بغداد تولى يعقوب امر المطوعة
وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى افناهم واخرب ضياعهم
واطاعه اصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها احدا كان قبله ثم انه
اشتدت صولته فغلب على سجستان وهراة وابوسلج وما والاها وكانت
الترك تخوم سجستان وملكهم رتبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدرارك
فحضه أهل سجستان على قتالهم واعلموه انهم اضر من الشراة الخوارج وانهم
اوجب محاربة فغزى الترك فقتل رتبيل ملكهم وقتل ملكه من ملوكهم
بعد رتبيل ويسمى كل ملك لهم رتبيل وانصرف يعقوب الى سجستان
وقد حمل رؤوسهم مع رؤوس الوف منهم فرهبته الملوك الذين حوله منهم
الملك ولنان الرخج وملك الطبسين وملك زابلستان وملوك السند
ومكران وغيرهم واذعنوا له وكان قصده هراة وبوشنج سنة ثلث
وخمسين وامير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين
الخزاعي وعامله عليها محمد بن اوس الانباري فخرج لمحاربته في تعبية
وباس شديد وزي جميل فحاربه واحسن مقاومة حتى احتال له يعقوب
فحال بينه وبين دخول المدينة وهي بوشنج وانحاز ابن اوس منهزما فقيل
انه لم يقاتله احد احسن مواقعة كما احسنها ابن اوس ودخل يعقوب بوشنج

عنبسة قبل ميمون والله اعلم وكان في زمان عبد الله بن ابي اسحق عيسى بن
عمر الثقفي وابو عمرو بن العلا ومات عبد الله قبلهما وذكر ابو عبد الله
المرزباني في كتابه المقتبس في اخبار النحويين ان المبرد قال اجمعت العلماء بالنحو
ان اول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلي وانه لقن ذلك عن علي بن
ابي طالب عليه السلم ثم اخذ النحو عن ابي الاسود عنبسه بن معدان المهري
اخذ عنه ميمون بن الاقرن واخذ عنه عبد الله بن الحضرمي واخذ
عنه علي بن عمر واخذ عنه الخليل بن احمد واخذ عنه سيبويه واخذ
عنه الاخفش وكان بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه قد جمع بين عبد الله بن ابي عمرو بن العلا وبلال يومئذ متولي البصرة
قال ابو عمرو فغلبني ابن ابي اسحق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه
وكان عبد الله كثيرا ما ياخذ على الفرزدق الغلط في شعره فقال الفرزدق
والله لاهجونه ببيت يكون شاهدا على لسان اهل الادب ويتمثلون به فعمل

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وانما قال الفرزدق ذلك لان عبد الله مولى الحضرميين وهم حلفاء بني
عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ولهم على ذلك شوا
ولولا خوف الاطالة لذكرت طرفا من ذلك لكن ليس هذا موضع ذكره
وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم

أبو عوانة يعقوب بن إسحق بن إبرهيم

ابن يزيد النيسابوري ثم الاسفرايني الحافظ صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج كان ابو عوانة احد الحفاظ الجوالين والمحدثين المكثرين طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن واصبهان والري وفارس قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق سمع ابو عوانة بدمشق يزيد بن عبد الصمد واسمعيل بن محمد بن قيراط وشعيب بن شعيب بن اسحق وغيرهم وبمصر يونس بن عبد الاعلى وابن اخي وهب والمزني ومحمدا وسعدا ابني عبد الحكم وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفراني وعمر بن شبه وغيرهم وبخراسان محمد بن يحيى الذهلي ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجا السندي وغيرهم وبالجزيرة علي بن حرب وغيره وروى عنه ابو بكر الاسماعيلي واحمد بن علي الرازي وابو علي الحسين بن علي وابو علي احمد بن علي وسليمن الطبراني ومحمد ابن يعقوب بن اسمعيل الحفاظ وابو الوليد الفقيه وابنه ابو يوسف مصعب محمد بن ابي عوانه وحج خمس مرات وقال كنت بالمصيصة فكتب الي اخي محمد بن اسحق فكان في كتابه هذه الابيات ٥

فان نحن التقينا قبل موت شفينا النفس من مضض العتاب

وهراة وصارت المدينتان في يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون
الى طاهر بن الحسين الخزاعي فحملهم الى سجستان حتى وجه المعتز بالله الخليفة
اليه المعروف بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب فاطلقهم
قال ابن الازهر الاخباري المذكور حدثني محمد بن عبد الله بن مروان
قال حدثني ابن بلعم المذكور قال صرت اليه بكتاب امير المؤمنين المعتز
بالله الى زرنج قلت وهي بفتح الزاي والراء وسكون النون وبعدها
جيم وهي كرسي بلاد سجستان قال ابن بلعم فاستاذنت عليه فاذن
لي فدخلت ولم اسلم عليه وجلست بين يديه من غير امره ودفعت الكتاب
اليه فلما اخذه قلت له قبّل كتاب امير المومنين فلم يقبله ونصّه فرجعت
القهقرا الى باب مجلسه الذي كان فيه ثم قلت السلم عليك ايها الامير
ورحمة الله فاعجبه ذلك واحسن مثواي ووصلني واطلق الطاهرية
وقال ابن بلعم المذكور ايضا دخلت على يعقوب بن الليث الصفار يوما فقال
لي ينبغي ان يجينا من ناحية فارس رجل مسنا من ومعه ثلثة انفس او اربعة
بل هو تمام الخمسة قال فانكرت هذا منه وامسكت فما علمت الا وحاجبه
قد دخل وقال ايها الامير بالباب رجل مسنا من ومعه اربعة انفس
فقال ادخله فدخل فسلّم وقال ايها الامير معي اربعة انفس فاذن لهم
فدخلوا عليه فالتفت الى الحاجب وقلت قد اختم في المخاريق فخلف

ايمانا مغلظة انهم جاؤا بغتة ما علم بهم احد من الناس وسالت يعقوب
بعد ذلك وقلت ايها الامير لقد رايت منك عجبا فى امر المستامنة فكيف
علمت بهم فقال اخبرك انى فكرت فى امر فارس ورايت غرابا واقعا بازاء
طريق واختلجت احدى اصابع رجلى ثم تبع بعضها بعضا فعلمت انه عضو غير
شريف وانه سياتينا من ذلك الصقع قوم مستامنة او رسل ليسوا باجلة
فكانوا هولاء وقال على بن الحكم سالت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة
التى على وجهه وهى منكرة على قصبة انفه ووجنته فذكر ان ذلك اصابه
فى بعض وقايع الشراة وانه طعن رجلا فرجع عليه وضربه هذه الضربة
فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكثت عشرين يوما انبوبة قصب
وفمى مفتوح لئلا يتقرح راسى وكان يصب على حلقى الشى بعد الشى من الغذاء
قال حاجبه وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبى اصحابه للحرب ويقاتل
وارسل يعقوب الى المعتز بالله هدية سنية من جملتها مسجد فضة مخلع يصلى
فيه خمسة عشر انسانا وسال ان يعطى بلاد فارس وان يقرر عليه خمسة
عشر الف الف درهم على ان يتولى اخراج على بن الحسين بن قريش وكان على فارس
ثم شخص من سجستان فى اثر كتابه الى المعتز يريد كرمان فنزل بم قلت وهى
بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة وهى الحد الفاصل بين سجستان
وكرمان قال وكان بكرمان العباس بن الحسين بن قريش اخو على بن الحسين المذكور

ومعه احمد بن الليث الكردي فخرجا عن كرمان يريدان شيراز وقدم يعقوب
اخاه علي بن الليث الى السيرجان قلت وهي بكسر السين المهملة وسكون
الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعد الالف نون مدينة كرمان
قال وضم اليه جماعة واقام هو على بم فرد اليه احمد الكردي من الطريق
في جمع كبير من الاكراد وغيرهم فصاروا الى داربجرد قلت وهي
بفتح الدال المهملة وبعد الالف راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة ثم راء
وبعدها دال مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلثة مواضع
الاول كورة عظيمة مشهورة بفارس قصبتها داربجرد والثاني قرية
بفارس ايضا من اعمال اصطخر فيها معدن الزيبق فيحتمل ان يكون
مصيرهم الى الاولى والى الثانيه واما الثالثه فهو موضع بنيسابور ولا
يحتمل مصيرهم اليه لانه بخراسان فلا تعلق له بفارس قال الراوي
فظفر احمد المذكور بجماعة من اصحاب يعقوب يطلبون العلف فقتلهم
وهرب منهم جماعة ووجه احمد رؤس من قتل من اصحاب يعقوب
الى فارس فنصب علي بن الحسين رؤسهم فبلغ الخبر يعقوب فدخل كرمان
فندب علي بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس في خمسة آلف من الاكراد
سوى من تقدم مع احمد بن الليث الكردي وسار حتى نزل على مدينة اياس
من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه انه اخطا اذ دخل عملا ليس اليه

فردّ عليه طوق انت بعمل الصفر اعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على
يعقوب وكان في عسكر طوق ثلثمايه رجل من الابناء فوافى يعقوب مدينة
اياس فاوقع بطوق وقتل اصحابه وهزم من بقى وصبر الابناء حتى استجوا
يعقوب فاعطاهم الامان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل يعقوب
فى هذه الواقعه الفى رجل واسر الفا واسر طوق ابن المغلس وقيّده بقيد خفيف
ووسّع عليه فى مطعمه وغيره واستخرج منه الاموال ورحل يعقوب عن
اياس ودخل عمل فارس فخندق على ابن الحسين على نفسه بشيراز وذلك
فى يوم الثلثا لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة خمس وخمسين
ومائتين وكتب على بن الحسين الى يعقوب يعلمه ان طوق بن المغلس فعل ما فعل من
غير اذنه وانه لم يامره بمحاربته وقال له ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها
وراك وان كنت تطلب فارس فكتاب امير المومنين بتسليم العمل اليك لانصرف
فردّ عليه يعقوب انّ كتابا من السلطان معه لايتهيا ان يوصله حتى يدخل
البلد وان هو ان اخلى له البلد فقد ودع وازاح علته والا فالسيف
بيننا والموعد مرج سنكان وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلثه
فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه البلد الى يعقوب يعلمونه انه ما
ينبغى له مع ما وهبه الله له من الديانة والتطوع وقتل الخوارج ونفيهم
عن بلاد خراسان وسجستان التسرع الى سفك الدما لانّ على بن الحسين

القى على الليل ليلا من ذوائبه فهابه الصبح ان يدنو من الخجل
اراد بالهجر قتلي فاستجرت به فاستقبل بالوصل روحي من يدي اجلي
فصرت فيه امير العاشقين وقد صارت ولاية اهل العشق في قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي بن الزقاق

ومرتجة الاعطاف اما قوامها فلدن واما ردفها فرداح
المت فبات الليل من قصر بها يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بانعم ليلة يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمايل وفي خصرها من ساعدي وشاح

وقال احمد بن حسين بن خلف المعروف بابن البني اليعمري قلت هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المومن صاحب المغرب وكان قد اخرجه صاحب ميورقة وسيره الى البحر فسار يومهم ثم هبت عليهم الريح فردتهم فقال

اجيرتنا الاولى عتبوا علينا فاقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا فهل في العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم كان قلوبنا فيها شراع ٥

وقال الواثق بالله وله فيه غناء

ما كنت اعرف ما في البين من حرب حتى تنادوا بان قد جيء بالسفن

قالت تودعني والدمع يغلبها فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت علي تقبلني وترشفني كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية يا ليت معرفتي اياك لم تكن
واورد له في باب القرى والاضياف والفخر والمديح قول ابي الحسن
جعفر بن ابرهيم بن الحاج اللورقي

عجبا لمن طلب المحامد وهو يمنع ما لديه
ولباسط اماله للمجد لم يبسط يديه
لم لا احب الضيف او ارتاح من طرب اليه
فالضيف ياكل رزقه عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب الى عبد الله بن عباس حين كف بصره

ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وذهني غير ذي دخل ففي فمي صارم كالسيف مطرور

وذكر في ابيات الهجا والعتاب وما يتعلق بهما لابي العالية احمد
ابن مالك الشامي

اذم بغداد والمقام بها من بعد ما خبرة وتجريب
ما عند املاكها لمرتقب رفق ولا فرجة لمكروب
خلوا سبيل العلى لغيرهم وتنازعوا في الفسوق والحوب

محتاجُ راجي النجاح عندهم الى ثلثٍ من بعدِ تقريب
كنوزُ قارونَ ان تكونَ له وعمرُ نوحٍ وصبرُ ايوب

وانشد ابو بكر محمد بن يحيى الصولى لابى العطاف الكوفى في صالح بن عبد الرحمن بن شيط

يا ابن الوليد ابن لنا انّ الّسان له حدود
مالى اراك مسيّبًا ابن السلاسل والقيود
أغلا الحديد بارضكم ام ليس يضبطك الحديد

قلت الى هاهنا نقلت من الحماسه المذكوره وفيه كفاية اذ كان الغرض ايراد شي من اختيار هذا الرجل ليستدلّ به على معرفته فى الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنه ثلث وسبعين وخمس مايه وتوفى يوم الاحد الرابع من ذى القعده سنه ثلث وخمسين وستمئة بمدينه تونس رحمه الله تعالى والبياسى بفتح البا الموحده والياء المشدده المثناه من تحتها هذه النسبة الى بياسه وهى مدينة كبيرة بالاندلس معدودة من كورة جيّان هكذا قاله ياقوت الحموى فى كتابه المشترك

ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوى

قال ابو عبد الله المرزبانى فى كتابه المقتبس فى اخبار النحويين وهو مولى ضبّة

وقيل مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمي
من بني ضبيعة بن بجالة وهو من اهل جبل ومولده سنة تسعين ومات
سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان يقول اذكر موت الحجاج وقال عبيد
المرزباني اخذ يونس الادب عن ابي عمرو بن العلا وحماد بن سلمة
وكان النحو اغلب عليه وسمع من العرب وروى سيبويه عنه كثيرا
وسمع منه الكسائي والفراء وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها
من الطبقة الخامسة في الادب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الادبا
وفصحاء العرب واهل البادية قال ابو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت
الى يونس اربعين سنة املا كل يوم الواحي من حفظه وقال ابو زيد
الانصاري النحوي جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس قبلي
خلف الاحمر عشرين سنة وقال يونس قال لي رؤبة بن العجاج حتام
تسئلني عن هذه البواطل وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ في
لحيتك وليونس من الكتب التي صنفها كتاب معاني القرآن الكريم
وكتاب اللغات وكتاب الامثال وكتاب النوادر الصغير ٥
وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي عاش يونس ثمان وثمانين سنة لم يتزوج
ولم يتسر ولم تكن له همة الا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال
يونس لو تمنيت ان اقول الشعر لما تمنيت ان اقول الا مثل قول علي زيد

فقال ابو عبيدة القول في البيت ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في
الغريب من اللغة قال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج الى الطباخ رقاعا
يستدعي بها الطعام وفيها الالفاظ الغريبة الحوشية ولا يدري الطباخ
ما فيها حتى يمضي بها الى ابن ابي اسحق ويحيى بن معمر وغيرهما يفسرون فيها
من الالفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها اتاه بما استدعاه فقال
له يوما ويحك اني اصوم معك فيقول له الطباخ سهل كلامك حتى يسهل
طعامك فيقول يا ابن اللخناء افادع عربيتي لعينك وكان يونس من اهل
جبل وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط وكان لا يوثر ان ينسب
اليها فلقيه رجل من بني ابي عميرة فقال له يا ابا عبد الرحمن ما تقول في
جبل انصرف ام لا ففطنه يونس فالتفت العميري فلم ير احدا يشهد عليه
فتركه حتى اذا كان من الغد وجلس للناس اتاه العميري فقال يا ابا عبد
الرحمن ما تقول في جبل انصرف ام لا فقال له يونس الجواب ما قلته لك
امس وجبل بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة كذا ذكره الحافظ ابن السمعاني
في كتاب الانساب وحبيب اسم امه ولهذا لا يصرفونه فانه لا يعرف له ابا
ويقال انه ولد ملاعنة ويقال انه اسم ابيه فينصرف والله اعلم
وكذلك محمد بن حبيب ايضا ودخل يونس المجلس يوما وهو يتهادى
بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان ينبهه في مودته بلغت ما ارى
يا ابا عبد الرحمن فقال هو الذي ترى لا بلغته فاخذ هذا المعنى جماعة من

الشعراء فنظمه وقال ابو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز
ضيق الراس لا يدخله شي الا بعسر واذا دخله لم يخرج منه معناه انه
لا ينسى شيا وقد ذكرت تاريخ مولده ووفاته فى اول الترجمه وقد قيل
انه توفى سنه ثلث وثمنين وقيل خمس وثمنين وقال عبد الباقى بن
قانع توفى سنه اربع وثمنين ومايه والله اعلم وقيل انه عاش ثمان وتسعين
سنه رحمه الله

يونس عبد الاعلى

ابو موسى يونس بن عبد الاعلى بن

موسى بن ميسره بن حفص بن حيان الصدفى المصرى الفقيه الشافعى احد
اصحاب الامام الشافعى رضى الله عنه والمكثرين فى الروايه عنه والملازمه
له وكان كثير الورع متين الدين علامة فى علم الاخبار والصحيح والسقيم
لم يشاركه فى زمانه احد وقد تقدم فى هذا الكتاب ذكر حفيده ابى سعيد
عبد الرحمن بن احمد بن يونس المذكور صاحب تاريخ مصر وذكر ولد هذا
الحفيد ابى الحسن على بن ابى سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وهو المنجم
المشهور صاحب الزيج وكل واحد منهم امام فى فنه واخذ يونس القراة
عن صاحبى ورش وسقلاب بن شنينه ومعلى بن دحيه عن نافع وعن
على بن كيسه بن سليم بن حمزه بن حبيب الزيات وسمع سفيان بن عيينه
وعبد الله بن وهب المصرى روى القراة عنه مواس بن سهل ومحمد
ابن الربيع واسامه بن احمد ومحمد بن اسحق بن خزيمه ومحمد بن جرير الطبرى

وغيرهم وكان محدثا جليلا وذكره القضاعي في كتاب خطط فقال كان من
افضل اهل زمانه وكان من العقلاء يروى عن الشافعي رضي الله عنه انه قال
ما رايت بمصر اعقل من يونس بن عبد الاعلى وصحب الشافعي واخذ عنه
الحديث والفقه وحدث بسماعه عنه وله حبس في ديوان الحكم وعقب وداره
مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه وتاريخها سنه عشر ومائتين
وكان احد الشهود بمصر اقام شاهدا ستين سنة وذكر غير القضاعي ان
يونس ابن عبد الاعلى روى عنه الامام مسلم بن الحجاج القشيري وابو عبد الرحمن
النسائي وابو عبد الله بن ماجه وغيرهم وقال ابو محمد الحسن بن زولاق
في كتاب اخبار قضاة مصر ان القاضي بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه
اليها من بغداد لقي في طريقه محمد بن الليث قاضي مصر الذي كان قبله بالجفار
خارجا من مصر الى العراق مصروفا فقال له بكار انا رجل غريب وانت
قد عرفت البلد فدلني على من اشاوره واسكن اليه فقال له عليك
برجلين احدهما عاقل وهو يونس بن عبد الاعلى فاني سعيت في دمه
فقدر على حقن دمي والاخر ابو هرون موسى بن عبد الرحمن بن القسم فانه
رجل زاهد فقال بكار صف لي الرجلين فقال اما يونس فرجل طويل
ابيض ووصفه ووصف موسى فلما دخل بكار مصر ودخل الناس اليه
دخل شيخ فيه صفه يونس فرفعه بكار واقبل بحديثه ويقول يا ابا موسى

في كل حديثه فبينا بكار كذلك اذ جاء يونس فقال للرجل يا هذا من انت
وما سكوتك كذا لو افشيت اليك سرا ثم دخل يونس فرفعه واكرمه واتاه
موسى بن عبد الرحمن فاحتضن بهما واخذ راسهما وقيل ان موسى المذكور
اختص به القاضي بكار وكان يتبرك به لزهده فقال له يوما يا ابا هرون
من اين المعيشه فقال من وقف وقفه ابي فقال له بكار ايكفيك قال
قد تكفيت به وقد سالني القاضي فاريد ان اساله فال سل قال هل ركب
القاضي دين بالبصره حتى تولى لسببه القضا قال لا قال فهل رزق ولدا
احوجه الى ذلك قال لا ما نكحت قط قال فلك عيال كثير قال لا قال فهل
اجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال فضربت
اباط الابل من البصره الى مصر عن غير حاجة ولا ضرورة لله علي لا دخلت
عليك ابدا فقال يا ابا هرون اقلني قال انت بدات بالمسالة ولو سكت
لسكت ثم انصرف عنه ولم يعد اليه بعدها وقال يونس رايت في
المنام قايلا يقول لي ان اسم الله الاكبر لا اله الا الله ونقلت من كتاب
المنتظم في اخبار من سكن المقطم قال في ترجمة يونس المذكور ومن حكاياته
التي حكاها عن غيره ان رجلا جاء الى نخاس فقال له اسلفني الف دينار
الى اجل قال له النخاس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فاعطاه الف دينار
فسافر بها الرجل ليتجر فلما بلغ الاجل اراد الخروج اليه فحبسه الريح فعمل

تابوتا وجعل فيه الف دينار وغلقه وسمره والقاه في البحر وقال اللهم
هذا الذي ضمنته لي وخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال
فراى سوادا في البحر فقال ائتوني بهذا فاتي به بالتابوت ففتحه فاذا هو
الف دينار ثم ان الرجل اجمع الفا بعد ذلك وطابت الريح فجاء الى
النخاس فسلم عليه فقال له النخاس من انت فقال صاحب الالف
دينار هذه الفك فقال له النخاس لا اقبلها منك حتى تقول لي ما صنعت
بها فاخبره بالذي صنع وان الريح لم تطب فقال له النخاس قد ادى الله
عنك الفا ووصلت الي وله اخبار كثيرة وروايات ماثورة وكان
يونس يروي للامام الشافعي رضي الله عنه هذين البيتين

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك
واذا قصدت لحاجة فاقصد لمعترف بقدرك

وقال يونس قال لي الشافعي رضي الله عنه يا يونس دخلت بغداد فقلت
لا فقال ما رايت الدنيا ولا رايت الناس وقال علي بن قريد كان
يونس بن عبد الاعلى يحفظ الحديث ويقوم به وذكره ابو عبد الرحمن احمد
ابن شعيب النسوي فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس في ذي الحجة
سنه سبعين ومايه وتوفي يوم الثلثا ليومين بقيا من شهر ربيع الاخر
سنه اربع وستين ومائتين وهي السنه التي مات فيها المزني رحمهما الله تعالى

وكانت وفاته بمصر ودفن في مقابر الصدف وقبره مشهور بالقرافة
واما ابو عبد الاعلى فانه يكنى ابا سلمة وكان رجلا صالحا ومن كلامه من
اشترى ما لا يحتاج اليه اباع ما يحتاج اليه قال ولده يونس والامر عندى
كما قال وتوفى عبد الاعلى المذكور في المحرم سنه احدى ومايتين ومولده
سنه احدى وعشرين ومايه ٥ واما ولده ابو الحسن بن يونس والد ابي سعيد
عبد الرحمن بن احمد صاحب تاريخ مصر فان ابنه ابا سعيد عبد الرحمن بن احمد
ذكر في تاريخه انه ولد في ذي القعده سنة اربعين ومايتين وتوفي يوم
الجمعه مستهل رجب سنه اثنين وثلثمائة وقال هو عداد للصدف
وليس من انفس الصدف ولا من مواليهم والصدفى بفتح الصاد والدال
المهملتين وبعدهما فاء هذه النسبة الى الصدف بكسر الدال وذكر
السهيلي انه بفتح الدال وكسرها وانما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في
غير النسب كي لا يتوالى كسرتين قبل يا النسب كما قالوا في النسبة الى النمر
نمرى وغير ذلك واختلفوا في اسم الصدف فقيل هو ملك بن سهل
ابن عمرو بن قيس هكذا قاله القضاعي في كتاب الخطط وزاد السمعاني
في كتاب الانساب على هذا النسب فقال الصدف بن سهل بن عمرو بن قيس
ابن معويه بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن الغوث بن حدان بن قطن بن عريب
ابن زهير بن ايمن بن هميسع بن حمير بن سبا وقال الدارقطني اسم الصدف

شهال بن دعمي بن زياد بن حضرموت وقال الحازمي في كتابه العجالة في النسب هو عمرو بن مالك والله اعلم وقال القضاعي دعوتهم مع كندة وانما سمي الصدف لانه صدف بوجهه عن قومه حين اتاهم سيل العرم فاجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه فلما حضر موت فسمي الصدف ويقال سمي الصدف لانه كان رجلا شجاعا لا يدين لاحد من العرب فبعث اليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه فعدى على الرسول فقتله وخرج هاربا فبعث الملك اليه رجلا في خيل عظيمة فكان كلما جاء حيا من احياء العرب سال عن الصدف فيقولون صدف عنا بوجهه وما راينا له وجها فسمي الصدف من يومئذ ولحق بكندة فنزل فيهم قال ارباب علم النسب اكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله اعلم قلت قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو من فائدة

يونس بن محمد بن منعة بن ملك

ابو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن ملك

ابن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عايذ بن قيس بن كعب الملقب رضي الدين والد الشيخين عماد الدين ابي حامد محمد وكمال الدين ابي الفتح موسى وقد تقدم ذكرهما قلت هكذا وجدت نسبه بخط بعض اصحابنا المتادبين ولم اعلم من اين له هذه الزياده والذي اعرفه

من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولده والله اعلم كان الشيخ يونس
المذكور من اهل اربل ومولده بها وقدم الموصل فتفقه بها على تاج الاسلام
ابي عبد الله الحسن بن نصر المعروف بابن حسين الكعبي الجهني المقدم
ذكره وسمع عليه كثيرا من كتبه ومسموعاته ثم انحدر الى بغداد وتفقه
بها على الشيخ ابي منصور سعيد بن محمد عمر المعروف بابن الرزاز مدرس
النظامية ثم اصعد الى الموصل وصادف بها قبولا تاما عند المتولي بها
الامير زين الدين ابي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر
الدين صاحب اربل المقدم ذكره في حرف الكاف وفوض اليه تدريس
مسجده المعروف به وجعل نظره اليه فكان يدرس ويناظر ويفتي
ويقصده الطلبة لاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين
ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة الى ان توفي بالموصل
يوم الاثنين سادس المحرم سنه ست وسبعين وخمس مايه وسمعت
بعض خواصهم يقول توفي سنه خمس وسبعين وانما ولده الشيخ
كمال الدين يقول توفي سنه ست وسبعين والله اعلم بذلك ودفن
بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله تعالى وكان عمره
ثمان وستين سنة وقد تقدم ذكر حفيده ايضا شرف الدين احمد
ابن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور رحمه الله ورحم الجماعة

لكن هذا جهد المقل وبذل الاستطاعه وما تكلف الانسان الا ما
تصل قدرته اليه وفوق كل ذي علم عليم وقد تقدم في اول هذا
الكتاب الاعتذار عن الدخول في هذا الامر والكامل عليه فاغنى عن
اعادته هاهنا والله عز وجل يستر عيوبنا بستر كرمه الضافي ولا
يكدر علينا ما منحنا من مسبوغ اعطائه النمير الصافي بمنه وكرمه

تم الكتاب ——— بحمد الله ومنه

وصلى الله على النبي محمد وآله وعترته وصحبه وسلم

ولله در القائل فيه

تم الكتاب على التمام مضمنا منظوم در او نضيد جمان
حاوي الفرائد والفوائد شاملا في نثره اخبار كل زمان

كتبه العبد الفقير الى الله
عز وجل محمد تمام حامدا لله تعالى
ومصليا على النبي محمد وآله ومسلما
وذلك في شهور سنة سبع وسبعين
وثمانمية احسن الله تقضيها

174 Bl.
26.5.10 [illegible]

Ms. orient.
Fol. 3045

Arab.

إني بليت بأربع ما سلطوا إلا لعظم بليتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

الجزء السابع من وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان
مما أثبته النقل أو السمع
أو العيان جمع القاضي الصدر
العلامة شمس الدين أبي العباس
أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان
البرمكي رحمه الله تعالى

cm 1 2 3 4 5
Staatsbibliothek zu Berlin
Preußischer Kulturbesitz